حياة

الإمام الحسن العسكري

دراسة وتحليل

باقر شريف القرشي

دار الكتاب الاسلامي

حياة
الإمام الحسن العسكري

حياة
الإمام الحسن العسكري
دراسة وتحليل

باقر شريف القرشي

دار الكتاب الاسلامي

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمّد وعلى آله الطاهرين .

يسرّ إدارة دارة الأضواء للطباعة والنشر أن تقدّم للأخوة القرّاء سفراً جديداً ، عن حياة الإمام الحسن العسكري والذي لم تحض حياته بالنصيب الوافر من أقلام المؤلّفين مثلما عرض له سماحة العلّامة الحجّة الشيخ باقر نجل المقدّس الشيخ شريف القرشي حول حياة الإمام وعصره ، وتلامذته وملوك عصره . مما يسلّط الأضواء على أهمية حياة إمامنا العسكري .

وهذه الدراسة تقدّم في مجلد واحد

نسأل الله التوفيق مجدداً للمؤلف لإكمال ما بدأه والله وليّ التوفيق .

بيروت في ٢٠/ ٩/ ١٩٨٨م
٩/ صفر/ ١٤٠٩هـ

دار الأضواء

الإهــداء

إلى . . . رائد الفكر الإنساني .

إلى مؤسّس الحضارة الإنسانية .

إلى . . . من ملأ الدنيا بفضائله وعلومه .

إلى . . . الإمام المعلّم جعفر الصادق .

أرفع إلى مقامه الرفيع ـ بتواضع وخشوع ـ هذا المجهود عن حياة حفيده الإمام أبي محمد الحسن العسكري الذي رفع راية الحق والعـدل في دنيا الإسلام ، آملاً أن يحظى بالرضا والقبول .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

- ١ -

الإمام أبو محمد الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين حملوا رسالة الإسلام ، وتبنوا أهداف الدين الحنيف ووهبوا حياتهم في سبيله ، ووطنوا أنفسهم لمواجهة الكوارث وتحدي الصعاب والشدائد من أجل نشر قيمه وأهدافه ، فما أعظم عائداتهم عليه ، وما أكثر ألطافهم وأياديهم على المسلمين .

لقد كان هذا الإمام العظيم فذاً من أفذاذ العقل البشري بمواهبه وطاقاته الثقافية والعلمية ، كما كان بطلاً من أبطال التاريخ ، وذلك بصموده أمام الأحداث ، وبإرادته الصلبة تجاه الحكم العباسي المنحرف ، فقد تمرد الإمام على نظمه الفاسدة ، وسعى إلى تحقيق الحق والعدل بين الناس .

- ٢ -

أما مثل الإمام أبو محمد عليه السلام ونزعاته ، فهي تضارع مثل آبائه ونزعاتهم ، فقد تشابهوا واتحدوا جميعاً في بلوغ أسمى مراتب الفضائل والكمال .

لقد كان هذا الإمام العظيم وحيد عصره في وفرة علومه . يقول المؤرخون إنه كان أعلم الناس بشؤون الدين وأحكام الشريعة ، وإن جميع

علماء عصره كانوا محتاجين إلى الانتهال من نمير علومه ، ومن مثله البارزة . انه كان أعبد الناس ، وأشدهم حريجة في الدين ، وقد آثر طاعة الله على كل شيء ، وكذلك كان أحلم الناس ، وأكظمهم للغيظ ، وقد قابل من أساء إليه بالصفح والعفو عنه ، وظاهرة أخرى من نزعاته ، أنه كان من أجود الناس ، وأنداهم كفاً وأكثرهم إسعافاً للفقراء وإعانة للمحوجين ، وقد قام بدور مهم في إنعاش الفقراء ، فقد نصب له وكلاءَ في كثير من مناطق العالم الإسلامي ، وعهد إليهم بتوزيع الحقوق التي ترد إليه، على فقراء المسلمين وضعفائهم مما أوجب إنعاشهم وإنقاذهم من البؤس والحرمان في حين أنه كان يعيش عيشة الفقراء ، فلم يحفل بأي شيء من متع الدنيا وملاذها ، شأنه شأن آبائه الذين أعرضوا عن الدنيا ، واتجهوا صوب الله والدار الآخرة .

- ٣ -

ويحدثنا الرواة عن إجماع الناس - في عصر الإمام - على تعظيمه ، والإعتراف له بالفضل والتفوق على جميع العلويين والعباسيين . ومن مظاهر ذلك التعظيم أنه إذا جاء إلى البلاط العباسي لم يبق أحد من عظماء الحاضرين إلا قام له تكريماً وانحنى له تعظيماً ، فالوزراء والكتاب وقادة الجيش ، وجميع أعضاء الدولة وأجهزتها كانوا يقابلونه بمزيد من التكريم والتعظيم وكان الفتح بن خاقان ، وهو رئيس وزراء دولة المتوكل يقدم الإمام ويعترف له بالفضل والتفوق على جميع الشخصيات العلمية البارزة في عصره .

- ٤ -

وكان من الطبيعي تقدير الأمة بجميع طبقاتها للإمام أبي محمد عليه السلام وتعظيمها له ، فقد وقفت على هديه وصلاحه ، وعزوفه عن الدنيا ،

وإخلاصه للحق ، وتفانيه في طاعة الله وعبادته ، واستبـان لها أنـه بقية الله في أرضه والممثل الوحيد لجده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وبـالإضافـة إلى ذلك فقد تبنّى الإمام القضايا المصيريـة للعالم الإسـلامي ، ونادى بحقـوق المسلمين ، ونعى على حكـام عصره ظلمهم للرعيـة ، واستهـانتهم بحقـوقهـا فلذا أجمعت الأمة على تعظيمه والولاء له ، والإعتراف بقيادته الهامة لها .

- ٥ -

وشق على ملوك بني العباس ما يرونه ، ويسمعونه من تعـظيم الجماهيـر للإمام عليه السلام ، وذهاب جمهرة كبيرة من المسلمين إلى إمامته ، وإيمانهـا المطلق بأنه أحق بالخلافة والإمامة من بني العباس الذين لم يتمتعوا بأي صفة أو موهبة تؤهلهم لمركز الخلافة الإسلامية ، وقد نخر الحقد على الإمام قلوب حكام العباسيين ، فاتخذوا ضده الإجراءات القـاسية ، التي كـان منها فـرض الحصـار الاقتصادي على الإمـام ، فضيقوا عليـه غايـة التضييق ، كما فـرضوا عليه الإقامة الجبرية في سامـراء ، وأحاطـوه بقوى مكثفـة من المباحث والأمن تحصي عليه أنفاسه ، وتسجل كل من يتصل به ، وتنزل به أقسى العقوبـات ، وفيما اعتقد أن هذا هو السر في قلة الرواة عنه كما هو السر في قلة مـا أثر عنـه من الحكم والآداب ، وأحكام الشريعة الغراء .

- ٦ -

وكان هناك عـامل آخـر شديـد الحساسيـة قد دعـا العباسيين إلى مـراقبة الإمام تـلك المراقبة الصارمة ، وهو أنه أبو الإمام محمد المهدي عليه السـلام المصلح العام للبشرية كلها ، والمحـطم الأول لجميع أنـواع الظلم ، وأفـانين الاستبداد، وقد بشر به الرسول الأعظم وأوصياؤه العظام، وأحاطـوا الأمة علمـاً بأنه هـو الذي ينشـر العدل السيـاسي ، والعدل الاجتمـاعي في الأرض ، وقد

آمن بذلك المسلمون على اختلاف نزعاتهم وميولهم واتجاهاتهم، ففزع العباسيون من ذلك، واعتقدوا بأنه هو الذي سيزيل ملكهم؛ فبثوا العيون على الإمام للتعرف على ولده كما بثوا العيون من النساء على من تلد من نسائه لإلقاء القبض عليه ، ولكن الله تعالى أخفى عليهم أمر المهدي لجهة الحمل به وولادته ، كما أخفى ولادة نبيه موسى بن عمران الذي قضى على فرعون زمانه، وأطاح بحكومته المستبدة التي استذلت الشعب المصري .

- ٧ -

وعنى هذا الكتاب بدراسة عصر الإمام ، وما انتشر فيه من الأحداث فإن دراسة العصر ، مبحث من البحوث المنهجية التي لا غنى للباحث عنها لأنها تلقي الأضواء على الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ذلك العصر ، ومن الطبيعي إن لذلك تأثيراً مباشراً على حياة الشخص ، كما أنها تكشف عن أبعاد حياته ، ومدى تأثره بالأحداث التي رافقته .

- ٨ -

ويعرض هذا الكتاب إلى تصوير الحياة الاقتصادية في ذلك العصر فإنها لم تكن سليمة ، ولا مستقرة ، وإنما كانت مشلولة ومضطربة ، فلم تحقق الحكومات العباسية التي عاصرها الإمام الرخاء بين الناس ، ولم توفر لهم الحياة الكريمة التي يريدها الإسلام ، فقد اختص بالثراء الفاحش أبناء الأسرة العباسية ، وكبار رجال الدولة، وسائر عملائهم ، فقد أسرفوا في الترف والبذخ ،واستأثروا بطيبات الأرض وخيراتها بينما كانت الأكثرية الساحقة من الشعوب الإسلامية تعاني الفقر والحرمان كما كانت تعاني أقسى الآلام في تسديد المتوجب عليها من جلب الصدقات والخراج ، وإرغامها على الذل والهوان .

- ٩ -

وقدمنا في هذا الكتاب دراسة عن ملوك عصره ، الذين كان معظمهم من التافهين ، فقد استسلموا للشهوات ، وشغفوا بالجواري الحسان ، والقيان الملاح ، وكانت لياليهم الحمراء تعج بصنوف من الشهوات والمنكرات ، وقد تركوا ما أمر الله به ولاة المسلمين من العمل على تطوير الحياة العامة ، وتقديم الخدمات اللازمة للشعوب ، وإيجاد الفرص المتكافئة لجميع المواطنين ، ولم يعمل أكثر ملوك بني العباس أي شيء من ذلك ، وإنما اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ، وساسوا الأمة سياسة بطش وعنف ، فسلطوا عليها الأتراك الذين لم تكن لهم أية دراية وخبرة في الشؤون السياسية والإدارية فأغرقوا البلاد في المحن والفتن ، واستبدوا في الحكم بين الناس .

- ١٠ -

إن الواجب يقضي على كل باحث في الشؤون التاريخية أن ينظر بدقة ، ويتفحص بإمعان في شؤون التاريخ . فقد خلط بكثير من الموضوعات إذ عمد بعض المؤرخين إلى وضع تغطية لبعض الملوك والحكام ، وإضفاء الألقاب الكريمة، والنعوت الحسنة، عليهم، في حين أنهم كانوا من المحترفين الذين أغرقوا البلاد في الظلم والفساد ، وسخروا اقتصاد الأمة لشهواتهم وملاذهم ، وأشاعوا الفقر والبؤس في الأوساط الشعبية ، فليس من الأمانة ، ولا من الحق أن ينظر إلى هؤلاء نظرة تقديس وتعظيم ، ويمنحون الثقة العامة لجماهير الشعب . . إذ من الضرورة الملحة دراسة التاريخ الإسلامي دراسة واعية وموضوعية تقضي بالتجرد من كل نزعة تقليدية ، فعلى الكاتب ألّا يتحيز ، ويتعصب وأن يكون رائده الحق ، وخدمة هذه الأمة .

- ١١ -

وتعرضنا في هذا الكتاب لترجمة كوكبة من الفقهاء والعلماء ممن رووا عن الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأخذوا عنه بعض علومه ومعارفه ، وكان ذلك ضرورياً - فيما أحسب - لأنه من متممات البحث عن شخصيته الكريمة ، فإن ذلك يكشف عن مدى اتصاله برجال العلم ، ومدى اتصالهم به في ذلك الوقت الرهيب الذي كان شديد الحساسية ، فقد وضعت عليه الحكومة العباسية الرقابة الشديدة ونكلت بكل من يتصل به من الفقهاء والعلماء فكان اتصالهم به مرهقاً وعسيراً ، وكان لذلك تأثير على الإمام ، فقد أترعت نفسه بالآلام ، فلا نكبة أشد ولا آلَمُ للعباقرة والموهوبين من حجبهم عن الإدلاء بعلومهم ومعارفهم ، وصدهم عن خلق أجواء علمية تحمل أفكارهم وآراءهم من بعدهم .

- ١٢ -

وليس من الوفاء في شيء ، بل ولا من الخدمة للعلم ، ولا من التقدير لحملته، أن لا أشيد بالجهود الخلاقة التي بذلها سماحة الحجة، العلامة الكبير، أخي الشيخ هادي شريف القرشي، من مراجعة بعض المصادر التي تخص الموضوع، بالإضافة إلى إرشاداته القيمة، وتوجيهاته المفيدة سائلاً الله تعالى أن يجزيه عن ذلك خير ما يجزي المخلصين من عباده . إنه تعالى ولي ذلك ، والقادر عليه .

وِلَادَتُه وَنَشْأَتُه

قبل أن نلتقي بالإمام الزكي أبي محمد عليه السلام ، ونتعرف على ولادته ونشأته ، نعرض ـ بإيجاز ـ إلى نسبه الوضاح والأصول الكريمة التي تفرع منها .

نسبه الوضاح :

أما نسبه الكريم فهو من صميم الأسرة النبوية التي أعز الله بها العرب والمسلمين ، والتي تبنت قضايا الحق والعدل بين جميع شعوب الأرض ، وتهذيب سلوك الإنسان ، وإبعاده عن المنعطفات التي تجر له المحن والويلات .

إنه ليس في دنيا الأنساب مثل هذا النسب الكريم الذي ينتمي إليه الإمام عليه السلام :

نسبٌ، كأن عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عمودا

يقول الوتري :

ماذا يقول المادحون بوصفهم ... وهم السراة خلائف المختار
ضربت قباب فخارهم وسموهم ... بين البتول الطهر والكرار

إنه ابن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام الرضا بن

الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهؤلاء هم أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين جعلهم الرسول الأعظم سفن النجاة ، وأمن العباد . . . ولا أكرم من هذا النسب ، ولا أشرف منه في دنيا الأنساب .

الأب :

أما أبو الإمام الحسن فهو الإمام علي الهادي عليه السلام ، وهو الإمام العاشر من أئمة التقى الذين تدين الشيعة بإمامتهم ومودتهم ، وكان من سادة أهل البيت ، ومن ألمع علماء عصره في وفرة علمه وتقواه ، وسائر مثله العليا . وقد استوفينا البحث عن سيرته ، وشؤون حياته في كتاب خاص ماثل للطبع .

الأم :

أما أمه الكريمة فكانت أفضل نساء عصرها، من السيدات الزاكيات، في عفتها ، وورعها ، وطهارتها ، ويقول الرواة : إنها كانت من العارفات الصالحات [١] ، وقد أثنى عليها الإمام علي الهادي عليه السلام ثناءً عاطراً وأشاد بمكانتها ، وسمو منزلتها ، فقال : « سليل - وهو اسمها - مسلولة من الآفات ، والأرجاس ، والأنجاس » [٢] ، وكفى بها فخراً وشرفاً ، أنها لم تلوث بالأرجاس والأدناس ، ولا بما يشين المرأة وينقصها في شرفها وعفتها ،

---

(١) عيون المعجزات .

(٢) أعيان الشيعة ٣/٤/٢٨٩ .

وهي أم ولد[1] نوبية[2]، ولا يضرُّ في سمو منزلتها أنها أم ولد، فإن الإنسان - في دين الإسلام - إنما يسمو بهديه وتقواه وصلاحه، وينحط بضلاله، وانحرافه عن الطريق القويم . وليس علو النسب أو انخفاضه ، بل ولا الكرسي ، ولا المال ، ولا غيرها من الشؤون الاعتبارية التي يؤول أمرها إلى التراب مما ترفع شأن الإنسان أو تعلي مركزه عند الله تعالى .

اسمها :

واختلف الرواة في اسمها الكريم ، فقالوا ما يلي :

١ - سليل ، وهو الأصح، للرواية السابقة .

٢ - سوسن [3].

٣ - حديثة [4] .

٤ - حريبة [5] .

الوليد العظيم :

وأشرقت الدنيا بمولود سليل خاتم النبوة ، وبقية الإمامة الزكي أبي محمد ، وقد ازدهرت يثرب وسامراء بهذا المولود العظيم الذي كان امتداداً

---

(١) أصول الكافي .

(٢) سر السلسلة العلوية (ص ٣٩) وفي الحديث بأبي ابن النوبية - يعني الإمام الحسن - الطيبة ، جاء ذلك في مجمع البحرين ، وفي معجم البلدان ٥/٣٠٩ النوبة : بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر . . . وقد مدح النبي (ص) أهلها فقال : «من لم يكن له أخ فليتخذ أخاً من النوبة» .

(٣) بحار الأنوار ٥٠/٣٧.

(٤) الإرشاد (ص ٣١٥) .

لحياة آبائه الذين أضاؤا الحياة الفكرية في دنيا الإسلام . . وقد عمت البهجة والأفراح الأسرة النبوية فقد علموا أنه الإمام والحجة بعد أبيه حسب ما أخبرهم بذلك الإمام علي الهادي عليه السلام .

مكان الولادة :

واختلف المؤرخون في المكان الذي حظي بولادة الإمام عليه لاسلام ، وفي ما يلي ذلك :

١ ـ في يثرب [١] .

٢ ـ في سامرّاء [٢] .

زمان الولادة :

واختلف الرواة أيضاً في الزمان الذي ولد فيه الإمام عليه السلام ، وهذا بعض ما قالوه :

١ ـ ولد سنة ٢٣٠هـ في شهر ربيع الأول [٣] .

٢ ـ ولد سنة ٢٣١هـ [٤] .

٣ ـ ولد سنة ٢٣٢هـ [٥] .

٤ ـ ولد سنة ٢٣٣هـ [٦] .

---

(١) أخبار الدول (ص ١١٧). بحر الأنساب (ص ٢). تحفة الإمام (ص ٨٦). علل الشرايع .

(٢) جواهر الأحكام كتاب الحج .

(٣) البحار ٣٥/٥٠ تأريخ أبي الفداء: ٤٨/٢ علل الشرائع .

(٤) النجوم الزاهرة ٣٢/٣ سر السلسلة العلوية (ص ٣٩) .

(٥) بحر الأنساب: (ص٢). أخبار الدول: (ص١١٧). الإتحاف بحب الأشراف (ص ٨٦). الكامل ٣٧٣/٥ .

(٦) دائرة معارف البستاني ٤٥/٧ .

مراسيم الولادة :

وسارع الإمام الهادي حينما بُشر بوليده المبارك فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى لقد استقبل الحياة بهذا النشيد المقدس الذي هو قبس من نور الله إنه : « الله أكبر » « لا إله إلا الله » .

وفي اليوم السابع من ولادته بادر الإمام الهادي عليه السلام فحلق رأس وليده ، وتصدق بزنته فضة أو ذهباً على المساكين كما عَقّ عنه بكبش ، عملاً بالسنة الإسلامية التي ندبت إلى ذلك ، وجعلته حقاً للمولود على أبيه .

تسميته :

وسمى الإمام علي الهادي عليه السلام وليده المبارك بـ (الحسن) وحقاً إنه من أجمل الأسماء ، وهو كاسم عمه الأعلى سيد شباب الجنة ، وريحانة رسول الله (ص) الإمام الحسن عليه السلام ابن الإمام أمير المؤمنين ، وقد سماه الله بهذا الأسم .

كنيته :

وكني الإمام الزكي (بأبي محمد) [1] وهو اسم ولده الإمام المنتظر محمد المهدي المصلح الأعظم للبشرية ، والذي هو أمل المحرومين والمستضعفين في الأرض .

---

(١) أخبار الدول: (ص ١١٧)، بحر الأنساب : (ص ٢) . تحفة الأنام (ص ٨٦) . النجوم الزاهرة ٣/٣٢.

ألقابه :

أما ألقابه فهي تحكي ما اتصف به من النزعات العظيمة ، والصفات الشريفة وهي :

١ ـ الخالص [١] . فقد كان خالصاً من كل دنس ، ومنزهاً عن كل عيب .

٢ ـ الهادي [٢] . وقد كان علماً لهداية الناس وإرشادهم إلى طرق الخير .

٣ ـ العسكري[٣] : ولقب بذلك للبلد الذي كان يقطنه وهو سامراء ، فقد كانت ثكنة عسكرية ، ومن الجدير بالذكر أن هذا اللقب إذا أطلق فإنه ينصرف إلى الإمام الحسن لا إلى أبيه حسب ما نصَّ عليه بعض المؤرخين .

٤ ـ الزكي [٤] : وهو أزكى إنسان في عصره ، فقد زكا نفسه ، ونماها في فعل الخيرات .

٥ ـ الخاص [٥] : وقد خصه الله بالفضائل واستجابة الدعاء .

٦ ـ الصامت [٦] : وكان صامتاً لا ينطق إلا بالحكمة والعلم وذكر الله .

٧ ـ السراج : لقد كان سراجاً يضيء معالم الطريق ، ويهدي الحائرين والضالين إلى التقى والصلاح .

---

(١) أخبار الدول (ص ١١٧). بحر الأنساب (ص ٢).
(٢) بحر الأنساب (ص ٢).
(٣) بحر الأنساب (ص ٢).
(٤) تحفة الأنام (ص ٨٧) البحار ٥٠/٢٣٦ ، وفي أخبار الدول وغيره (الخالص) .
(٥) تحفة الأنام (ص ٨٧).
(٦) تحفة الأنام (ص ٨٧).
جوهرة الكلام (ص ١٥٤).

٨ ـ التقي [١] : وهو أتقى إنسان في عصره ، وأشد الناس تمسكاً بالدين واعتصاماً بالله .

صفته :

أما ملامح شخصيته ، فقد وصفها أحمد بن عبيد الله بن خاقان ، فقال : إنه أسمر أعين [٢] حسن القامة ، جميل الوجه ، جيد البدن ، له جلالة وهيبة [٣] وقيل أنه كان بين السمرة والبياض [٤] .

نشأته :

نشأ الإمام أبو محمد عليه السلام في بيت الهداية ، ومركز الإمامة ، والمرجعية العامة للمسلمين ، ذلك البيت الرفيع الذي أذهب الله عن أهله الرجس ، وطهرهم تطهيراً . . . يقول الشبراوي في البيت الذي نشأ فيه الإمام وترعرع : « فلله در هذا البيت الشريف ، والنسب الخضم المنيف ، وناهيك به من فخار ، وحسبك فيه من علو مقدار ، فهم جميعاً في كرم الأرومة ، وطيب الجرثومة كأسنان المشط متعادلون ، ولسهام المجد مقتسمون ، فيا له من بيت عالي الرتبة ، فلقد طاول السماء علاً ونبلاً وسما على الفرقدين منزلة ومحلاً، واستغرق صفات الكمال فلا يستثنى فيه بـ«غير»، ولا بـ«الاَّ»، انتظم في المجد هؤلاء الأئمة انتظام اللآلي ، وتناسقوا في الشرف فاستوى الأول والتالي ، وكم أجتهد قوم في خفض منارهم ، والله يرفعه ، وركبوا

---

(١) سفينة البحار ١/٢٥٩ .

(٢) الأعين : واسع العين .

(٣) البحار ٥٠/٣٢٦.

(٤) البحار ٥٠/٢٣٨ أخبار الدول (ص ١١٧).

الصعب والذلول في تشتيت شملهم، والله يجمعه، وكم ضيعوا من حقوقهم، ما لا يهمله الله ولا يضيعه . . » [1] .

لقد أكدت البحوث التربوية على أن للبيت أثراً في تكوين سلوك الإنسان وبناء شخصيته ، وإن ما يشاهده في جو بيته من صور صحيحة أو فاسدة تنطبع في أعماق نفسه ، وتظل ملازمة له طوال حياته ، وعلى ضوء ذلك فقد ظفر الإمام أبو محمد عليه السلام بأسمى صور التربية الرفيعة فقد تربى وترعرع في بيت زكاه الله ، وأعلى ذكره ، ورفع شأنه . ذلك البيت الذي رفع كلمة الله عالية في الأرض ، وقدم القرابين الغالية في سبيل الإسلام .

لقد نشأ الإمام الزكي أبو محمد في بيت القرآن ، ومركز الإسلام ، وكان أبوه الإمام علي الهادي عملاق هذه الأمة يغذيه بهديه ، ويفيض عليه بمثله ليكون امتداداً ذاتياً لرسالة الإسلام .

الخشية من الله :

الظاهرة المتميزة في طفولة الإمام الحسن عليه السلام الخشية من الله تعالى ، فقد كان خائفاً وجلاً منه . روى المؤرخون أن شخصاً مَرَّ به ، وهو واقف مع أترابه من الصبيان ، يبكي ، فظن ذلك الشخص أن هذا الصغير يبكي متحسراً على ما في أيدي أترابه ولذا فهو لا يشاركهم لعبهم ، فقال له : اشتري لك ما تلعب به . فرد عليه :

- « لا ، ما للعب خلقنا ! . . » .
- وبهر الرجل فقال له : « لماذا خلقنا ؟ . . » .
- « للعِلم والعبادة » .
- « من أين لك هذا ؟ » .

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف (ص ٦٨) .

- « من قوله تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ﴾ ».

وبهت الرجل ، ووقف حائراً ، وانطلق يقول له : « ما نـزل بك ، وأنت صغير لا ذنب لك !!؟ ».

- « إليك عني ، إني رأيت والدتي توقد النـار بالحـطب الكبار ، فـلا تتقد إلا بالصغار ، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم . . » [1] .

لقد كان الإيمان بالله تعالى عنصراً من عناصره ، ومقوماً من مقـوماتـه ، فلم يَخْشَ إلا الله ، ولم يخف إلّاه ، وظلت هـذه الظاهـرة مـلازمـة لـه طـوال حياته .

مع أبيه :

وقطع الإمام الزكي أبو محمد عليه السلام شوطاً من حياته مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام لم يفارقه في حله وترحاله ، وكان يرى فيـه صورة صـادقة لأخلاق جده الرسول الأعظم (ص) التي امتاز بهـا على سائـر النبيين كما كـان يرى فيه ذاتيات آبائه الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وكان الإمام الهادي عليه السلام يرى في ولده الزكي امتداداً ذاتياً للإمامة الكبرى ، والنيابة العظمى عن النبي (ص) فاهتم بأمره ، وأشاد بفضله قائلاً فيه :

« أبو محمد ابني أصـح آل محمد صلى الله عليـه وآله غـريزة ، وأوثقهم حجـة ، وهـوالأكبـر من ولـدي ، وهـو الخلف ، وإليـه تنتهي عـرى الإمـامـة وأحكامنا »[2] ومن المؤكد أن مقام الإمام الهادي عليـه السلام بعيـد كل البعـد عن المحاباة ، أو الاندفاع لأية عاطفـة من عواطف الهـوى ، فلم يشد بمنـزلة

---

(١) جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٥٥) دائرة المعارف للبستاني ٧/ ٤٥ .

(٢) أعيان الشيعة ق ٣/ ج ٤/ ٢٩٥ .

ولده الزكي ويُذِعْ فضله إلا بعدما توفرت فيه جميع النزعات الكريمة ، والصفات الرفيعة ، وقد أضفى عليه أنه أصح آل محمد (ص) غريزة وطبيعة ، وأوثقهم حجة ودليلاً ، وإليه تنتهي عرى الإمامة ، والخلافة العظمى ، وبذلك فقد جمع الإمام الحسن عليه السلام أصول الفضائل والمكارم ولازم الإمام أبو محمد عليه السلام أباه الإمام الهادي ، وقد شاهد ما جرى عليه من صنوف الإرهاق والتنكيل من ملوك بني العباس خصوصاً في عهد الطاغية المتوكل ، الذي جهد في ظلم الإمام ، وأسرف في الجور والاعتداء عليه ، ففرض عليه الإقامة الجبرية في سامراء ، وأحاط داره بقوى مكثفة من المباحث والأمن ، تحصي عليه أنفاسه ، وتمنع العلماء والفقهاء وسائر الشيعة من الاتصال به، كما ضيق المتوكل على الإمام في شؤونه الاقتصادية، وكان يأمر بتفتيش داره بين حين وآخر ، وحمله إليه بالكيفية التي هو فيها ، والمتوكل هو الذي منع رسمياً زيارة الإمام الحسين رائد الكرامة والإنسانية ، وأمر بهدم القبر الشريف الذي هو من مراكز النور والشرف في الأرض، وكانت كل هذه الأحداث المروعة والمفجعة بمرأى ومسمعٍ من الإمام الزكي أبي محمد عليه السلام وهو في نضارة العمر وغضارة الشباب فكوت قلبه ، وملأت نفسه آلاماً وأحزاناً وقد عاش تلك الفترة مع أبيه وهو مروع، فذابت نفّسه أسىً وتقطعت حسرات !..

فجيعته بأخيه محمد :

كان السيد محمد أبو جعفر أنموذجاً رائعاً للأئمة الطاهرين ، وصورة صادقة لأفكارهم واتجاهاتهم ، وقد تميز بذكائه ، وخلقه الرفيع ، وسعة علمه ، وسمو آدابه ، حتى اعتقد الكثيرون من الشيعة أنه الإمام بعد أبيه الهادي عليه السلام ، وتحدث العارف الكلاني عن وقاره ، ومعالي أخلاقه ، فقال : صحبت أبا جعفر محمد بن علي الرضا وهو حدث السن ، فما رأيت

أوقر، ولا أزكى ، ولا أجل، منه. وكان خلفه أبو الحسن العسكري بالحجاز طفلاً ، فقدم عليه مشيداً [1] وكان ملازماً لأخيه أبي محمد عليه السلام لا يفارقه [2] وقد تولى عليه السلام تربيته ، فغذاه بعلومه وحكمه وآدابه .

ومرض أبو جعفر مرضاً شديداً ، واشتدت به العلة ، ولا نعلم سبب مرضه هل أنه سُقي سُماً من قبل أعدائه وحساده من العباسيين الذين عزّ عليهم أن يروا تعظيم الجماهير ، وإكبارهم إياه، أم أن ما مني به من المرض كان مفاجئاً ؟ .

وعلى أي حال فقد بقي أبو جعفر أياماً يعاني السقم حتى ذبلت نضارة شبابه وكان الإمام أبو محمد عليه السلام ملازماً له ، وقد طافت به الهموم على أخيه الذي كان من أعز الناس عنده ، ومن أخلصهم له ، وثقل حال أبي جعفر وفتك به المرض فتكا ذريعاً ، واشتد به النزع فأخذ يتلو آيات من الذكر الحكيم ، ويمجد الله حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها كما تصعد أرواح الأنبياء والأوصياء تحفها ملائكة الرحمن .

وتصدع قلب أبي محمد عليه السلام ، فقد فقد شقيقه الذي كان عنده أعز من الحياة ، وطافت به موجات من اللوعة والأسى والحسرات ، وخرج وهو غارق في البكاء والنحيب ، قد شق جيبه لهول مصيبته بأخيه وتصدعت القلوب لمنظره الحزين ، وألجمت الألسن ، وترك الناس بين صائح ونائح قد نخر الحزن قلوبهم .

---

(١) المجدي في النسب مخطوط .
(٢) المجدي .

أبو جعفر في مقره الأخير :

وجهز الإمام الهادي ولده أبـا جعفر فغسله وكفنـه وصلى عليه ، وحُمـل جثمانه الطاهر تحت هالة من التكبير تحف به مـوجات من البشـر ، وهي تعدد فضائل أبي جعفر ، وتذكر الخسارة الفـادحة التي مُني بهـا المسلمون ، وجيء بـه إلى مقره الأخيـر فواروه فيـه ، وأقيم له مـرقد هـومـن أقدس المـراقد في الإسلام ، ففي كل لحظة لا يخلو من الزائرين . فقد صار منزلاً وملجـأ لذوي الحاجات . وقد آمن الناس على اختلاف أفكارهم وميـولهم بأنـه ما تـوسل بـه أحـد بإخـلاص ، وتشفع بـه إلى الله إلا قضى الله مهمتـه ، وأرجعـه إلى أهله قرير العين . . . ألا بُورك ضريحك يا أبا جعفر ، وبركات من الله عليك غـادية ورائحة فما أعظم عائدتك على المسلمين حياً وميتاً .

الإمام الحسن والبداء :

وصرحت بعض الروايات بأن الإمام الهادي عليه السلام عزَّى ولده الزكي أبا محمد بأخيه أبي جعفر ، وفي الروايـات شبهة البـداء ، فلا بـد من ذكرهـا ودفع هذه الشبهة وفي ما يلي ذلك:

١ ـ روى علي بن محمد عن إسحاق بن محمد عن أبي هاشم الجعفري قال : كنت عند أبي الحسن بعدما قضى ابنه أبـو جعفر ، وإني لأفكـر في نفسي أريد أن أقول : كأنهما ـ أعني أبا جعفر وأبا محمد ـ في هـذا الوقت كـأبي الحسن موسى وإسماعيـل ابني جعفر بن محمـد عليه السـلام وإن قصتهما كقصتهما . إذ كان أبـو محمد المـرجى بعـد أبي جعفـر ، فـأقبـل علي أبـو الحسن عليـه السلام قبـل أن أنطق فقـال : نعم . يا أبـا هاشم بـدا لله في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله ، كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون ، وأبو محمد ابني الخلف من بعدي ، وعنده علم ما يحتاج

إليه الناس [١] .

٢ ـ روى محمد بن يحيى قال : دخلت على أبي الحسن بعد مضي أبي جعفر فعزيته ، وأبو محمد جالس فبكى أبو محمد ، فأقبل عليه أبو الحسن فقال له : إن الله قد جعل منك خلفاً فاحمد الله [٢] .

٣ ـ روى محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن ابن أبي الصهبان قال : لما مات أبو جعفر وضع لأبي الحسن كرسي فجلس عليه ، وكان أبو محمد الحسن قائماً في ناحية فلما فرغ من غسل أبي جعفر التفت أبو الحسن إلى أبي محمد ، فقال : يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً [٣] . .

وربما توهم هذه الروايات نسبة البداء إلى الله ، وهو من الأمور المستحيلة وذلك لاستلزامه نسبة الجهل إليه ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وعند التأمل لا علاقة لهذه الروايات بالبداء ، وإنما تدل على أن الله تعالى أظهر إمامة وليه الحسن العسكري إلى الشيعة الذين كانوا يعتقدون بإمامة أبي جعفر لهديه وصلاحه ، وقد علق الشيخ الغروي على هذه الروايات بقوله : إنها تدل دلالة واضحة على أن مكانة أبي جعفر ليست بتلك البعيدة عن مرتبة الإمامة ، وإن كان أبو محمد أرجح في الميزان ، ولذلك تعلق العلم الأزلي بتعيينه ، وجرى التقدير على وفاة أبي جعفر قبله، حتى تمت العلة في أبي محمد ، فإن المستظهر من أحاديث الباب المذكورة وغيرها أن كلاً من الصنوين قد اجتمعت فيه مقتضيات الإمامة غير أنها في أبي جعفر مشفوعة بالكبر الذي هو من لوازم الخلافة عند أصحاب الأئمة ، ولا بد أنه متلقى من

---

(١) أصول الكافي .
(٢) الإرشاد .
(٣) الغيبة للشيخ الطوسي .

الموالي أنفسهم سلام الله عليهم [1] .

وعلى أي حال فإن هذه الروايات لا علاقة لها بالبداء ، وإنما تدل على أن الله تعالى أظهر إمامة الحسن العسكري التي كانت مخفية على الشيعة ، وأما إحداث الشكر الذي أمر به الإمام الهادي وحده فإنما هو لأجل هذه الجهة لا لأجل منحه الإمامة بعد أن كانت لأبي جعفر حتى يستلزم التبدل في علم الله الذي هو من الأمور المستحيلة .

مع أخيه الحسين :

وكان الحسين بن علي الهادي عليه السلام فذاً من أفذاذ العقل البشري وثمرة يانعة من ثمرات الإسلام ، وقد تميز بسمو أدبه ، وسعة أخلاقه ووفرة علمه ، وكان شديد الاتصال بشقيقه الإمام الحسن عليه السلام وكانا يسميان بالسبطين تشبيهاً لهما بجديهما ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله : الحسن والحسين عليهما السلام ، وقد شاعت هذه التسمية في العصر الذي نشآ فيه فقد روى أبو هاشم فقال : ركبت دابة، فقلت: **﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾**[2]. فسمع مني أحد السبطين، فقال: لا بهذا أمرت، أمرت أن تذكر نعمة ربك إذا استويت عليه [3] .

رزؤه بأبيه :

ورزيء الإمام الحسن عليه السلام بأبيه الإمام الهادي ، وكان ذلك من أعظم النكبات والمصائب التي مُنِيَ بها في حياته .

---

(١) أبو جعفر محمد بن الإمام علي الهادي (ص ١٢ ـ ١٣).

(٢) سورة الزخرف : آية ١٣ .

(٣) سفينة البحار ١/ ٢٥٩ .

لقد عمد الطاغية المعتمد العباسي إلى اغتيال الإمام الهادي عليه السلام ، فدس له السم [1] ، وذلك لما يسمعه من تحدث الناس عن مآثر الإمام وشيوع فضله وعلومه ، وتقدمه بالفضل على غيره ، فورم أنفه ، وانتفخت أوداجه حسداً للإمام وحقداً عليه ، فقدم على اقتراف هذه الجريمة التي هي من أخطر الجرائم وأفظعها .

ولما سُقي الإمام السم لازم الفراش ، وقد تسمم بدنه ، وأخذ يقاسي الآلام الموجعة ، فتوافدت عليه الشيعة، وكبار رجال الدولة عائدين إياه، وممن دخل عليه عائداً الشاعر الملهم أبو هاشم الجعفري . فلما رأى الإمام يجود بنفسه، جزع، وغامت عيناه بالدموع . ونظم ذوب حشاه بقصيدة جاء فيها :

مادت الأرض بي وأدمت فؤادي	واعترتني موارد العوراء
حين قيل الإمام نضو عليل	قلت : نفسي فدته كل الفداء
مرض الدين لاعتلا لك واعتل	وغارت له نجوم السماء
عجباً إن منيت بالداء والسقم	وأنت الإمام حسم الداء
أنت آسي الأدواء في الدين و	الدنيا ومحيي الأموات والأحياء [2]

وحكت هذه الأبيات مدى حزن أبي هاشم وأساه على مرض الإمام الزكي ، وتمنى أن يكون فداءً له . . . فقد مرض الدين لاعتلال الإمام العظيم ، وغارت نجوم السماء من هول هذه الفاجعة المدمرة ويعجب أبو هاشم أن يُمنى الإمام بالداء والسقم وهو حسم الداء !! ودخل عليه عائداً أبو

---

(١) المناقب ٤/٤٠١ .

(٢) أعلام الورى .

دعامة ، فلما همَّ بالأنصراف قال له الإمام : « يا أبا دعامة ، قد وجب حقك أفلا أحدثك بحديث تسر به . . ».

وسارع أبو دعامة قائلاً : « ما أحوجني إلى ذلك يا بن رسول الله . . . ».

- حدثني أبي محمد بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن موسى ، قال : حدثني أبي موسى بن جعفر ، قال : حدثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي محمد بن علي قال : حدثني أبي علي بن الحسين ، قال : حدثني أبي الحسين بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله . اكتب يا علي ، قال : وما اكتب؟ ، قال لي : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم الإيمان ما وقرته القلوب وصدقته الأعمال ، والإسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة ».

قال أبو دعامة : فقلت : يابن رسول الله ما أدري والله أيهما أحسن الحديث أم الإسناد . فقال : إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله نتوارثها صاغراً عن كابر [1] .

لقد كان الإمام حريصاً على نشر الفكر والوعي والعلم ، ولم يمنعه المرض من الإدلاء بذلك .

نصه على إمامة الحسن :

ونص الإمام الهادي عليه السلام على إمامة ولده الزكي أبي محمد الحسن عليه السلام ، ونصبه علماً ومرجعاً لشيعة أهل البيت ، وسنذكر النصوص عند التعرض لإمامته ، وعهد أن يتولى تجهيزه والصلاة عليه ، ويواريه في داره ، كما أوصاه بغير ذلك مما يتعلق بشؤونه الخاصة .

---

(١) مروج الذهب : ١٧١/٤.

إلى الفردوس الأعلى :

وتفاعل السم في بدن الإمام ، وانهارت قواه ، وأخذ الموت يدنو إليه سريعاً ، ولما شعر بدنو الأجل المحتوم توجه صوب القبلة ، وأخذ يتلو بعض سور القرآن الكريم ، وقد وافاه الأجل وذكر الله بين شفتيه ، وقلبه مشغول بمناجاته . . . وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها ، وهي نقية طاهرة ، مشرقة تحفها ملائكة الرحمن ، وقد زفت إلى الفردوس الأعلى مقر الأنبياء والأوصياء . . . وارتفعت الصيحة ، ودوى النبأ المؤلم في أرجائها ، وقد ارتجت الأرض من هول المصيبة الفادحة ، فقد توفي القائد ، والموجه ، وأبو الضعفاء والمحرومين ، وخرجت جارية من دار الأمام ، وقد رفعت عقيرتها .

« ماذا لقينا في يوم الأثنين قديماً وحديثاً ؟» [١] .

وغامت عيون النسا بالدموع من هذا النداء المفزع الذي ألقى الأضواء على الأحداث المروعة التي حلت بأهل البيت ، وإنها تستند إلى يوم الأثنين وهو اليوم الذي عقدت فيه (السقيفة) ومن ذلك المؤتمر انصبت الكوارث والخطوب على أهل البيت .

تجهيزه :

وقام الإمام الزكي أبو محمد الحسن عليه السلام بتجهيز أبيه فغسل جسده الطاهر ، وأدرجه في أكفانه ، وصلى عليه ، وقد ذاب قلبه الشريف أسىً وحزناً من ألم المصاب .

---

(١) مروج الذهب : ٤/١٧١ .

مواكب التشييع :

وماجت سر من رأى من هول الفاجعة الكبرى ، وهرع الناس بجميع طبقاتهم لتشييع جثمان الإمام الذي يعتبر بقية النبوة والإمامة، وعطلت الأسواق، والمحلات التجارية والدوائر الرسمية ، وتقدم أمام النعش الوزراء والعلماء والقضاة وكبار رجال الدولة ، وسائر أفراد الأسرة العباسية ، وهم يعددون فضائل الإمام ، ومزاياه ، ويذكرون ما حل بالأمة الإسلامية من الخسارة العظمى التي لم تعوض بفقده . . . ويقول المؤرخون إن سامراء في جميع مراحل تاريخها لم تشهد مثل ذلك التشييع الذي جرى للإمام عليه السلام .

في مقره الأخير :

وجيء بالجثمان الطاهر تحت هالة من التكبير والتعظيم تحف به كتل من البشر، كأنها الموج، إلى مقره الأخير ، وقد حفر له قبر في داره التي أعدها مقبرة له ولأولاده وأفراد أسرته ، وأنزله في ملحودة قبره ولده الإمام الحسن عليه السلام، ودموعه تجري على خديه الشريفين فواراه في قبره، وقد وارى معه القيم الإنسانية والمثل العليا (١) ، وبعد الفراغ من دفن الجثمان الطاهر هرعت جماهير المشيعين إلى الإمام أبي محمد عليه السلام ، وهي ترفع له تعازيها الحارة ، وتواسيه بمصابه الأليم والإمام، مع أفراد أسرته يشكرهم على ذلك (٢) .

ووفد محمد بن إسماعيل الصيرفي على الإمام أبي محمد عليه

---

(١) كانت وفاة الإمام الهادي عليه السلام في سنة (٢٥٤ هـ) يوم الاثنين لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة جاء ذلك في كشف الغمة ١٣/١٧٤ وفي نور الأبصار (ص ١٥٠) ومروج الذهب ٤/١٦٩ وقيل غير ذلك .

(٢) حياة الإمام علي الهادي (ص ٢٣٠ ـ ٢٣١).

السلام ، وهو يذرف الدموع على الفقيد العظيم ، معزياً أبا محمـد ، وقد رثى الإمام عليه السلام بقصيدة جاء فيها :

الأرض حزنا زلزلت زلزالها ... وأخرجت من جزع أثقالها
عشر نجوم افلت في فلكها ... ويطلع الله لنا امثالها
بالحسن الهادي أبي محمد ... تدرك اشياع الهدى آمالها
وبعده من يرتجى طلوعه ... يظل جوب الغلاة جوالها
ذو الغيبتين : الطولى التي ... لا يقبل الله من استطالها
يا حجج الرحمن احدى عشرةً ... آلت بثاني عشر آمالها[٣]

وعرض الشاعر بهذه الأبيات إلى الإمام المصلح العظيم قائم آل محمـد صلى الله عليـه وآلـه الـذي يخـرج آخـر الـزمـان فينشـر العـدل السيـاسي والاجتماعي ، ويقضي على جميع أفانين الجور والظلم في الأرض وكان عمـر الإمام أبي محمد عليه السلام حينما فجع بأبيه عشـرين سنة [٢] ، وقيـل ثلاثاً وعشرين سنة [٣] وقد تقلد الإمامة والمرجعية العامـة للمسلمين وهو في شـرخ الشباب ، وقد عرض عليه الفقهاء والعلماء أمهات المسائل وأدقها فأجاب عنها جواب العالم المتخصص ، فآمنوا بفضله ، ودانوا بإمامته .

وتـوفرت في الإمـام الزكي أبي محمـد عليـه السـلام جميـع عنـاصـر التقـوى والصـلاح ، واجتمعت به جميـع فضـائـل الدنيـا ، فقد تحلى بـآداب النبـوة ، ومحـاسن الإمـامـة ، ولم يـر في عصـره من هـو أفضـل وأتقى منـه . ونشيـر ـ بإيجاز ـ إلى بعض مظاهر عبادته ومثله التي تميز بها .

---

(١) مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر (ص ٥٥).
(٢) بحر الأنساب : (ص ٢).
(٣) بحار الأنوار : ٥٠/٢٣٦.

عبادته :

كان الإمام أبو محمد عليه السلام أعبد أهل زمـانه ، وأكثـرهم طاعـة لله تعالى وكان يحيى لياليه بـالصلاة ، وتـلاوة الكتاب ، والسجـود لله . فقد قـال محمد الشاكـري : كان الإمـام يجلس في المحراب ، ويسجـد ، فأنـام وانتبه وهو ساجد [1] .

صلاته :

وكان الإمام الحسن عليه السلام يتجه في صلاته بقلبه ومشاعره نحو الله خالق الكون وواهب الحياة ، فلم يشمر ولم يحفل بأي شأن من شؤون الدنيـا ما دام يصلي . فالصلاة معراج المؤمن ، وقد تعلقت روحه بالله واتصل به اتصال المنيبين والعارفين .

قنوته في صلاته :

وكان إذا قنت في صلاته يدعو بهذا الدعاء الشريف ، وهو يوضح مـدى تعلق الإمام واعتصامه بالله ، وهذا نصه : « يا من غشي نور الظلمات ، يا من أضاءت بقدسه الفجاج المتوعرات ، يا من خشع له أهل الأرض والسمـوات ، يـا من بخع لـه بالـطاعة كـل متجبر عـات ، يا عـالم الضمائـر المستخفيات ، وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عـذاب الجحيم ، وعـاجلهم بنصرك الـذي وعدتهم إنّـك لا تخلف الميعاد ، وعجـل اللهم اجتيـاح أهـل الكيـد ، وأوردهم إلى شـر دار في أعـظم نكـال ، وأقبـح مآب .

---

(١) دلائل الإمامة : (ص ٢٢٧).

اللهم إنك حاضر أسرار خلقك ، وعالم بضمائرهم ، ومستغن لولا الندب باللجأ إلى تنجز ما وعدته ، اللاّجيء عن كشف مكامنهم ، وتعلم يا رب ما أسره وأبديه ، وأنشره وأطويه ، وأظهره وأخفيه على متصرفات أوقاتي ، وأصناف حركاتي من جميع خلجاتي ، وقد ترى يا رب ما قد تراطم فيه أهل ولائك ، واستمر عليهم من أعدائك ، غير ضنين في كرم ، ولا ضنين بنعم ، وأن الجهد يبعث على الاستزادة ، وما أمرت به من الدعاء إذا أخلص لك اللجأ . . . يقتضي إحسانك ، شرط الزيادة .

وهذه النواصي والأعناق خاضعة لك بذل العبودية ، والاعتراف بملكة الربوبية ، داعية بقلوبها ، ومحصنات إليك في تعجيل الانالة ، وما شئت كان ، وما تشاء كائن. أنت المدعو المرجو ، المأمول ، المسؤول لا ينقصك نائل وإن اتسع ولا يلحفك سائل وإن ألح وضرع ، ملكك لا يلحقه التنفيد وعزك الباقي على التأبيد ، وما في الأعصار من مشيئتك بمقدار ، وأنت الله لا إله إلا أنت الرؤوف الجبار ، اللهم أيدنا بعونك ، واكفنا بصونك ، وأنلنا منال المعتصمين بحبلك ، المستظلين بظلك ، . . » [1] .

لقد أضفى الإمام عليه السلام، في هذا الدعاء، النعوت الكريمة، والأوصاف العظيمة على الخالق الحكيم ، وذلك مما ينم عن مدى معرفة الإمام بعظمته تعالى . . حقاً لقد كان الإمام وآباؤه هم الرواد الأوائل لمنهل التوحيد الذي هو بلسم للنفوس الحائرة ، والضالة عن الطريق . . وألمح الإمام في هذا الدعاء إلى ما يعانيه المسلمون في عصره من الظلم والاضطهاد من حكام بني العباس الذين جهدوا على إرغام الناس على ما يكرهون . . وأخذ الإمام عليه السلام بعد ذلك بالخشوع والتذلل إلى الله الذي يملك

---

(١) مهج الدعوات : (ص ٦٢ ـ ٦٣).

نواصي عباده طالباً منه العون ، والاعتصام بحبله والاستظلال بظله .

دعاؤه في الصباح :

ومن مظاهر عبادته عليه السلام لله تعالى ، أنه كان يدعو في صباح كل يوم بهذا الدعاء الجليل .

« يا كبير كل كبير ، يا من لا شريك له ، ولا وزير ، يا خالق الشمس والقمر المنير ، يا عصمة الخائف المستجير ، يا مطلق المكبل الأسير ، يا رازق الطفل الصغير ، يا جابر العظم الكسير ، يا راحم الشيخ الكبير ، يا نور النور ، يا مدبر الأمور ، يا باعث من في القبور ، يا شافي الصدور ، يا جاعل الظل والحرور [1] ، يا عالماً بذات الصدور ، يا منزل الكتاب والنور ، والفرقان والزبور ، يا من تسبح له الملائكة بالإبكار والظهور، يا دائم الثبات ، يا مخرج النبات بالغدو والآصال ، يا محيي الأموات ، يا منشىء العظام الدارسات ، يا سامع الصوت ، يا سابق الفوت ، يا كاسي العظام البالية بعد الموت ، يا من لا يشغله شغل عن شغل ، يا من لا يتغير من حال إلى حال ، يا من لا يحتاج إلى تجشم حركة ولا انتقال ، يا من لا يشغله شأن عن شأن ، يا من لا يحيط به موضع ولا مكان ، يا من يرد بالطف الصدقة والدعاء عن أعنان السماء ما حتم وما أبرم من سوء القضاء، يا من يجعل الشفاء في ما يشاء من الأشياء يا من يمسك الرمق من المدنف العميد ، العليل، بما قلَّ من الغذاء ، يا من يزيل بأدنى الدواء ما غلظ من الداء ، يا من إذا وعد وفى ، وإذا توعد عفا ، يا من يملك حوائج السائلين ، يا من يعلم ما في ضمير الصامتين ، يا عظيم الخطر ، يا كريم الظفر ، يا من له وجه لا يبلى ، يا من له ملك لا يفنى ، يا من له نور لا يطفا ، يا من فوق كل شيء أمره ، يا من

---

(١) الحرور : هي الهواء الحار .

في البر والبحر سلطانه ، يا من في جهنم سخطه ، يا من في الجنة رحمته ، يا من مواعيده صادقة ، يا من آياته فاضلة ، يا من رحمته واسعة ، يا غياث المستغيثين ، يا مجيب دعوة المضطرين ، يا من هو بالمنظر الأعلى ، وخلقه بالمنزل الأدنى ، يا رب الأرواح الباقية ، يا رب الأجساد البالية ، يا أبصر الناظرين ، يا أسمع السامعين ، يا أسرع الحاسبين ، يا أحكم الحاكمين ، يا أرحم الراحمين ، يا واهب العطايا ، يا مطلق الأسارى ، يا رب العزة ، يا أهل التقوى وأهل المغفرة ، يا من لا يدرك أمده ، يا من لا يحصى عدده ، يا من لا ينقطع مدده ، أشهد والشهادة لي رفعة وعدة ، وهي مني سمع وطاعة ، أرجو بها المفازة يوم الحسرة والندامة ، إنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وإن محمداً عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله ، وأنه قد بلغ عنك وأدى ما كان واجباً عليه لك ، وأنك تعطي ، وترزق وتمنع ، وترفع وتضع ، وتغني وتفقر ، وتخذل وتدمر ، وتعفو وترحم ، وتصفح ، وتتجاوز عما تعلم ، ولا تجور ولا تظلم ، وإنك تقبض وتبسط ، وتمحو وتثبت ، وتبدى وتعيد ، وتحيي وتميت، وأنت حي لا تموت ، **فصل على محمد وآله ، واهدني من عندك ، وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك ،** وانزل علي من بركاتك ، فطالما عودتني الحسن الجميل ، وأعطيتني الكثير الجزيل ، وسترت علي القبيح ، اللهم فصل على محمد وآله ، وعجل فرجي ، وأقل عثرتي ، وارحم عبرتي ، وارددني إلى أفضل عاداتك عندي ، واستقبل بي صحة من سقمي ، وسعة من عدمي ، وسلامة شاملة في بدني ، وبصيرة نافذة في ديني ، ومهدني ، وأعني على استغفارك واستقالتك قبل أن يفنى الأجل ، وينقطع الأمل ، وأعني على الموت وكربته، وعلى القبر ووحشته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته، وعلى يوم القيامة ، وروعته ، وأسألك نجاح العمل قبل انقطاع الأجل ، وقوة في سمعي وبصري ، واستعمال العمل الصالح مما علمتني وفهمتني ، إنك أنت الرب

الجليل ، وأنا العبد الضعيف، وشتان ما بيننا . . يا حنان ، يا منان ، يا ذا الجلال والإكرام ، وصل على من فهمنا به ، وهو أقرب وسائلنا إليك ، محمد وآله وعترته الطاهرين . . . » (١) .

حفل هذا الدعاء المعطر بالثناء على الله تعالى ، وتمجيده ، وتعظيمه ، وذكر فيوضاته ، وألطافه ، ونعمه التي يسديها على عباده ، كما حوى على خضوع الإمام وخشوعه وتذلله أمام الله طالباً منه أن يتفضل عليه بعائدة كرمه وجوده ، ويمنحه خير ما في هذه الحياة ويعينه على عمل الخير ، ويهديه إلى صراط مستقيم .

لقد كان الإمام عليه السلام ، في عبادته عملاقاً من عمالقة التقوى والصلاح ، وقد عمل من العبادات كل ما يقربه إلى الله زلفى ، فلم تكن عبادة مندوبة ، ولا نافلة من صلاة أو صوم إلا أتى بها .

مثله العليا :

أما المثل العليا فكانت من مقومات الإمام الزكي أبي محمد عليه السلام ، بل ومن أبرز عناصره النفسية التي تميز بها ، فقد ورث هذا الإمام الحليم كمال آبائه الذين خلقوا للفضيلة والشرف ، وما ينفع الناس في سلوكهم وتهذيبهم ونلمح ـ باختصار ـ إلى بعض مثله وكمالاته .

علمه :

إن الشيء المحقق الذي اتفق عليه المترجمون للإمام أنه كان أعلم أهل عصره وأفضلهم لا في شؤون الشريعة وأحكام الدين فحسب ، وإنما في

---

(١) مهج الدعوات (ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

جميع أنواع العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية ، يقول بختشوع الطبيب المسيحي إلى تلميذه بطريق في شأن الإمام : « وهو أعلم في يومنا هذا ممن هو تحت السماء [1] » .

ولو أن طغاة بني العباس فسحوا المجال لأئمة أهل البيت عليهم السلام ولم يفرضوا عليهم الرقابة المكثفة لملأوا الدنيا بعلومهم ، ومعارفهم ، ولشاهدت الإنسانية ألواناً من العلوم ، والتطور الفكري لم تعهده في جميع عصورها وأدوارها .

لقد أيقن العباسيون بأنهم إذا لم يحولوا بين رجال الفكر والعلم والأئمة الطاهرين ، فإنهم سلام الله عليهم سينشرون طاقات من العلم والوعي ما تتقدم به الأمة في مجالاتها الفكرية والعلمية ، وتنفتح لها آفاق جديدة لا في ميادين العلوم فحسب ، وإنما في ميادين الوعي السياسي والاجتماعي ، وتقف بذلك على جهل العباسيين ، وبُعدهم عن القيم الإسلامية ، ومن الطبيعي أن ذلك مما يهدد كراسيهم بالخطر ، فلذا عملوا جاهدين على الحيلولة بين الأمة وبين قادتها الواقعيين .

حلمه :

ومن الصفات الرفيعة والمثل العليا التي تحلى بها الإمام الزكي أبو محمد عليه السلام الحلم، فقد كان من أحلم الناس ، وأكظمهم للغيظ ، وقد قابل من أساء إليه بالعفو والصفح عنه .

وقد عمدت الحكومة العباسية إلى اعتقاله ، وزجه في سجونها ، وهو صابر محتسب ، لم ينبس ببنت شفة ، ولم يَشْكُ لأي أحد ما هو فيه من

---

(١) البحار ٢٦١/٥٠ .

الضيق ، وقد أوكل أمره إلى الله تعالى ، وكان ذلك من آيات حلمه .

قوة الإرادة :

وتميز الإمام أبو محمد عليه السلام بإرادته الصلبة ، فقد جهدت الحكومة العباسية في إدراجه في جهازها ، وبذلت جميع طاقاتها لاخضاعه لرغباتها فلم تستطع ، وأصر الإمام عليه السلام على استقلاليته ، وبعده عنها ، واعتبره العباسيون الممثل الوحيد لقوى المعارضة لسياستهم المبنية على الاستغلال ، وقهر الشعوب .

لقد صمد الإمام عليه السلام وقاوم المغريات التي بذلتها له الحكومة العباسية لادراجه في سلكها ، وآثر طاعة الله ، وإرضاء ضميره على كل شيء .

السخاء :

وثمة ظاهرة أخرى من مثل الإمام عليه السلام ونزعاته وهي الجود والسخاء ، فقد كان من أسخى الناس ، وأنداهم كفاً ، وقد أقام له وكلاءَ في أكثر المناطق الإسلامية لقبض ما يرد إليه من الحقوق الشرعية ، وعهد إليهم بإنفاقها على الفقراء والمحرومين ، وإصلاح ذات البين ، وغير ذلك مما ينفع الناس .

وكان مما رواه المؤرخون من فيض كرمه أن محمد بن علي بن إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال : قد ضاقت أمورنا ، فقال أبي : إمضِ بنا حتى نصير إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمد ـ فإنه قد وصف لنا سماحه ، فقلت له : تعرفه ؟. قال : ما أعرفه ، ولا رأيته قط ، قال : فقصدناه ، فقال أبي في الطريق ، ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمئة درهم ، مئتي درهم للكسوة ، ومئتي درهم للدقيق ، ومائة درهم للنفقة ،

وقلت : في نفسي ليته أمر لي بثلاثمئة درهم ، مائة أشتري بها حماراً ، ومائة للنفقة ، ومائة للكسوة ، فأخرج إلى الجبل ، فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه ، فقال : يدخل علي بن إبراهيم ومحمد ابنه ، فلما دخلنا عليه ، وسلمنا ، قال لأبي : « يا علي ما خلفك عنا إلى هذا الوقت » .

« يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال » .

ومكثا وقتاً يسيراً ثم خرجا ، فجاء غلام الإمام إليهما وناول علياً صرة فيها دراهم ، وقال : هذه خمسمئة درهم ، مئتا درهم للكسوة ، ومئتان للدُقيق ، ومائة للنفقة . وأعطى ولده محمداً صرة فيها ثلاثمائة درهم وقال له : اجعل مائة في ثمن حمار ، ومائة للكسوة ، ومائة للنفقة . ولا تخرج إلى الجبل ، وصر إلى سوراء ، وصار محمد إلى سوراء فتحسنت أموره ، وصار من أثرياء العلويين [1] ، لقد أنقذ الإمام عليه السلام هذه الأسرة العلوية من الفقر والبؤس ، ووفر لها الحياة الاقتصادية التي تنعم بها .

ومن كرمه وجوده ما رواه أبو هاشم الجعفري ، قال : شكوت إلى ابن محمد ضيق الحبس ، وكلب القيد [2] ، فكتب إلي ، أنت تصلي الظهر اليوم في منزلك ، فأخرجت وقت الظهر ، وصليت في منزلي ـ كما قال ـ وكنت مضيقاً علي ، فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الذي بعثته إليه ، فلما صرت إلى منزلي بعث لي مائة دينار ، وكتب إلي إذا كانت لك حاجة ، فلا تستح ولا تحتشم ، واطلبها فإنك على ما تحب إن شاء الله [3] . وذكر المؤرخون نوادر كثيرة من كرمه تدلل على مدى سعة جوده وحبه إنعاش الفقراء ، وإنقاذهم من حياة البؤس والحرمان .

---

(١) كشف الغمة : ٣/٢٠٠ .

(٢) الكلب : الشدة والضيق .

(٣) كشف الغمة : ٣/٢٠٢ .

سمو الأخلاق :

وكان الإمام أبو محمد عليه السلام على جانب عظيم من سمو الأخلاق فكان يقابل الصديق والعدو بمكارم أخلاقه ، وكانت هذه الظاهرة من أبرز مكوناته النفسية ، وقد ورثها عن جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، الذي وسع الناس جميعاً مكارم أخلاقه ، وقد أثرت مكارم أخلاقه على أعدائه ، والحاقدين عليه ، فانقلبوا من بغضه إلى حبه والإخلاص له ، . فقد نقل المؤرخون أنه حبس على عهد المتوكل الذي كان شديد العداوة لآل النبيِّ (ص) وحاقداًعلى آل أبي طالب وقد أمر بالتنكيل بالإمام ، والتشديد عليه إلا أنه لما اتصل به ، وشاهد سمو أخلاقه وعظيم هديه وصلاحه انقلب رأساً علي عقب ، فكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وتعظيماً له ، ولما خرج الإمام من عنده كان أحسن الناس بصيرة ، وأحسنهم قولاً في الإمام [1] .

لقد كان الإمام أبو محمد عليه السلام في معالي أخلاقه ، نفحة من نفحات الرسالة الإسلامية ، وثمرة معطرة من ثمرات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

العصمة :

ومن أبرز القيم الأصيلة ، والمثل العليا التي تحلى بها الإمام الزكي أبو محمد عليه السلام هي (العصمة) وهي شرط أساسي في الإمام عند الشيعة الإمامية ، ويعنون بها امتناعه من اقتراف الذنب ، عمداً وسهواً ، وقد شن خصوم الشيعة عليهم ـ بسبب ذلك ـ حملة شعواء، معتبرين في زعمهم أنه لا فرق بين الإمام وسائر الناس في اقتراف الذنب وارتكاب المعصية، وهذا القياس لا واقع

---

(١) كشف الغمة : ٣/٢٠٤ .

له في موازين العلم، فإن الدراسة الجادة لسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام تعطينا هذه النتيجة بوضوح ، فإن كل واحد منهم لم يؤثر عنه في جميع أدوار حياته أنه اقترف ذنباً ، أو شذ في سلوكه عما أمر الله به ، ألم يقل سيد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله تعالى في جلب شعيرة، أسلبها من فم جرادة، ما فعلت». أليست هذه هي العصمة؟.

إن الحق بجميع مظاهره وصوره وألوانه قد تجلى في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام ، والمتتبع لسلوكهم ، والقارىء لسيرتهم لا يجد لهم أية زلة في القول ، ولا في العمل ، وإنما يجد الإيمان والتقوى والجريجة في الدين ماثلة فيهم ، ولا نعني بالعصمة إلا ذلك .

إمامته :

أما الإمامة فإنها القاعدة الصلبة للتطور السياسي والاجتماعي في الإسلام . وهي من أهم الركائز التي تبتني عليها حضارة الإنسان وأمنه ورخاؤه ، وتكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع، إنها هي التي توفر له الحياة الكريمة التي ينعم في ظلالها ، وتنعدم فيها جميع الفوارق العرقية والطبيعية ، وإنما ألأمتياز في الإسلام بمقدار ما يسديه الإنسان من الخدمات الاجتماعية للأمة ، وبما يقر به إلى الله زلفى .

الإمامة ـ بمعناها الصحيح ـ لطف من ألطاف الله ، ونفحة من رحماته، نتحدث عنها بإيجاز .

أولاً : إن من يتصدى لهذا المنصب الخطير لا بد أن تتوفر فيه الصفات الرفيعة ، والتي منها ما يلي :

أ ـ الإحاطة التامة بأحكام الدين وشؤون الشريعة لتكون تصرفاته السياسية على

ضوئها .

ب ـ علم ما تحتاج إليه الأمة في شؤونها الإدارية .

ج ـ الدراية التامة بالوسائل التي تحقق التنمية الاقتصادية للأمة .

د ـ نكران الذات ، ومعاملة القريب والبعيد على حد سواء فقد عامل الإمام أمير المؤمنين رائد العدالة الاجتماعية في الأرض الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) كبقية أبناء شعبه فلم يؤثرهما بأي شيء من متع الدنيا ورغباتها .

هـ ـ الشجاعة في تنفيذ الخطط الإسلامية التي تتصادم مع النفعيين والانتهازيين وذوي الأطماع .

إن الشجاعة عنصر أساسي في الإمام فإنه إذا كان جباناً فإنه يعرض الأمة للأزمات والأخطار .

و ـ أن يملك الإمام رصيداً من التقوى والإيمان يمنعه من اقتراف أي ذنب .

ثانياً : إن الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتق الإمام تنحصر في ما يلي :

أ ـ نشر الإيمان بالله الذي تبتني عليه قوى الخير والسلام في الأرض فإنه لم يكن هناك عامل أقوى من ضبط سلوك الإنسان ، ومنعه من الاعتداء على الغير سوى الإيمان بالله .

ب ـ نشر الوعي العلمي والثقافي ، والقضاء التام على الجهل الذي يعتبره الإسلام الأداة المدمرة لحياة الشعوب .

ج ـ العمل على ازدهار الاقتصاد العام لتنجو الأمة من ويلات الفقر وكوارث البؤس .

د ـ توفير الأمن والاستقرار لجميع أبناء المجتمع .

هـ ـ القضاء على جميع ألوان العنصريات وسائر العوامل المؤدية إلى تفكك

المجتمع وانحلاله .

و ـ إيجاد مجتمع متطور تسوده المحبة والألفة والرخاء .

ز ـ توفير الحريات العامة لأبناء المجتمع ، ونعني بها حرية العقيدة والقول والعمل ، وهذه الحريات من أهم الحقوق الشعبية التي يجب على الإمام توفيرها للناس .

ح ـ تحقيق المساواة العادلة بين أبناء المجتمع ، والقضاء على جميع ألوان المحسوبيات التي تؤدي إلى الغبن ، ونشر التذمر بين أبناء الأمة .

هذه بعض المسؤوليات والواجبات التي يسأل الإمام عن تنفيذها وتحقيقها بين الناس .

ثالثاً : إن الشيعة قد آمنت بأئمة أهل البيت عليهم السلام ، واعتبرت ذلك جزءاً من حياتها العقائدية ، والسبب في ذلك ما يلي :

١ ـ النصوص المتواترة عن النبي (ص) في لزوم اتباع أهل البيت، وجعلهم كالكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، قال (ص) : « إني تارك فيكم ، ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما ، أعظم من الآخر : كتاب الله : حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[١] . ويدل هذا الحديث دلالة صريحة ، واضحة على حصر الإمامة في أهل البيت عليهم السلام ، وعلى عصمتهم من الآثام لأن النبي (ص) قرنهم بكتاب الله العظيم ، ومن الطبيعي أن أي انحراف منهم عن الدين يعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز وقد صرح النبي (ص) بعدم

---

(١) صحيح الترمذي : ٣٠٨/٢.

افتراقهما حتى يردا عليه الحوض .

وقال (ص): « إنما مثلُ أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له . . »[1] .

وفي هذا الحديث الشريف دعوة ملزمة إلى التمسك بالعترة الطاهرة فإنه ضمان للنجاة والسلامة ، والبعد عنهم ضلالة وغواية ، يقول الإمام شرف الدين : وأنت تعلم إن المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح أن من لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمته نجا من عذاب النار ، ومن تخلف عنهم كان كمن أوى « يوم الطوفان » إلى جبل ليعصمه من أمر الله ، غير أن ذاك غرق في الماء ، وهذا في الحميم ـ والعياذ بالله ـ والوجه في تشبيههم عليهم السلام بباب حطة هو أن الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه ، وبهذا كان سبباً للمغفرة ، هذا وجه الشبه، وقد حاول ابن حجر إذ قال : بعد أن أورد هذه الأحاديث وغيرها من أمثالها ووجه تشبيههم بالسفينة ، إن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة شرفهم ، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان ، إلى أن قال : « وباب حطة ـ يعني ووجه تشبيههم بباب حطة ـ أن الله جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة ، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سبباً لها . . . »[2] .

وكثير من أمثال هذه الأحاديث المتواترة عن النبي (ص) في لزوم مودة

---

(١) مجمع الزوائد ١٦٨/٩ . مستدرك الحاكم ٤٣/٢ . تأريخ بغداد ١٩/٢ .

(٢) الهاشميات (ص ٢٢ ـ ٢٣) .

الائمة الطاهرين ، وقد رواها الحفاظ والثقات ودونتها الصحاح ، وليس لها معارض ، ولا ناسخ ـ إن صح هذا التعبير ـ وقد آمنت بها الشيعة لأنها حجة يجب التعبد بها .

٢ ـ إن الشيعة إنما دانت بالولاء لأئمة أهل البيت عليهم السلام لأنهم نسخة من الشرف والكرامة لا ثاني لهم في تاريخ الإنسانية على امتداد التاريخ ، فليس أحد في العالم الإسلامي يشابههم في هديهم وسلوكهم والتزامهم بحرفية الإسلام ، يقول الكميت شاعر الإسلام فيهم :

القريبين من ندى والبعيد	ين من الجور في عرى الأحكام
والمصيبين باب ما اخطأ النا	س ومرسى قواعد الإسلام
والحماة الكفاة في الحرب إن	لف ضرام وقوده بضرام
والغيوث الذين إن أمحل	الناس فمأوى حواضن الأيتام
والولاة الكفاة للأمر إن طر	وق أتتنا بمجهض أو تمام
والأساة الشفاة للداء ذي	الريبة والمدركين بالأوغام

ويأخذ الكميت في وصفهم ، وبيان مآثرهم التي شاهدها فيقول :

راجحي الوزن كاملي العدل في	السيرة ملبين بالأمور العظام
فضلوا الناس في الحديث حديثاً	وقديماً في أول القدام [١]

والكميت من أصدق الناس حديثاً ، ومن أكثرهم تحرجاً في الدين ، فهو لم يضف على أهل البيت عليهم السلام هذه النعوت الكريمة والأوصاف العظيمة إلا بعد أن اتصل بهم اتصالاً وثيقاً فرأى من فضائلهم ومآثرهم ما ملأ نفسه إعجاباً وإكباراً ، فهام في حبهم ، ونظم فيهم هاشمياته التي هي

(١) الهاشميات : ٢٢ ـ ٢٣ .

من مناجم الأدب العربي ومن ذخائر الفكر الإسلامي .

وعلى أي حال فإن إيمان الشيعة بأهل البيت عليهم السلام لم يكن منبعثاً عن هوى أو عاطفة ، وإنما كان منبعثاً عن وعي أصيل ودراسة جادة لواقعهم المشرف .

٣ ـ إن الشيعة لم تؤمن بإمامة ملوك الأمويين والعباسيين ، وذلك لأفلاس أكثرهم من القيم الأخلاقية والإنسانية ، فقد عانت الأمة في ظلال حكمهم ألواناً رهيبة من الظلم والجور ، ونهب ثروات الأمة ، وإنفاقها بسخاء على شهواتهم وملاذهم ، وإشاعة الفسق والفجور بين المسلمين ، ومن ثم قامت الشيعة ، وغيرهم بثورات مسلحة ضدهم من أجل إقامة العدل بين الناس . . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الإمامة .

النص على إمامته :

أما النص على الإمام فهو لإرشاد الأمة إلى مرجعها العام ، وقائدها الروحي ، وقد أثرت عن الإمام الهادي عليه السلام عدة أخبار في إمامة ولده أبي محمد عليه السلام ، وهذه بعضها :

١ ـ روى يحيى بن يسار العنبري قال : أوصى أبو الحسن علي بن محمد إلى ابنه أبي محمد الحسن قبل موته بأربعة أشهر، وأشار إليه بالأمر من بعده، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي .[١]

٢ ـ روى علي بن عمر النوفلي ، قال : كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره ، فمر بنا محمد ابنه ـ وهو أبو جعفر ـ فقلت له : جُعلت فداك هذا صاحبنا بعدك ـ أي الإمام من بعدك ـ فقال له : صاحبكم بعدي

---

(١) الفصول المهمة (ص ٦٦) لابن الصباغ ، أصول الكافي ١ / ٣٢٥.

الحسن[1] .

٣ ـ روى شاهويه بن عبد الله الجلاب قال : كتب إلي أبو الحسن في كتاب أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر ، وقلقت لذلك فلا تغتم فإن الله عز وجل ﴿ **لا يضل قوماً بعد إذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ وصاحبك بعدي أبو محمد ابني ، وعنده ما تحتاجون إليه ، يقدم الله ما يشاء ويؤخر ما يشاء الله ﴿**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**﴾ قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان[2] .

٤ ـ روى داود بن القاسم ، قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : الخلف من بعدي الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف ؟ فقلت : ولم جعلني الله فداك؟ فقال : إنكم لا ترون شخصه ، ولا يحل لكم ذكره باسمه ، فقلت : فكيف نذكره؟ فقال : قولوا : الحجة من آل محمد عليهم السلام[3] .

٥ ـ روى أبو بكر الفهنكي قال : كتب إليَّ أبو الحسن عليه السلام : أبو محمد ابني انصح آل محمد غريزة ، وأوثقهم حجة ، وهو الأكبر من ولدي ، وهو الخلف ، وإليه تنتهي عرى الإمامة ، وأحكامها ، فما كنت سائلي فسله عنه فعنده ما يحتاج إليه[4] .

٦ ـ روى الصقر بن دلف قال : سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام يقول : الإمام بعدي الحسن ، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ

(١) أصول الكافي : ١/ ٣٢٤.
(٢) أصول الكافي : ١/ ٣٢٨.
(٣) أصول الكافي : ١/ ٣٢٨.
(٤) أصول الكافي ١/ ٣٢٧.

الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً . . »[1] .

٧ ـ روى عبد العظيم بن عبد الله الحسن عن علي بن محمد عليه السلام أنه قال : الإمام من بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده[2] .

٨ ـ روى علي بن مهزيار قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : إن كان كون ـ وأعوذ بالله ـ فإلى من ؟ قال : عهدي إلى الأكبر من ولدي ـ يعني الحسن[3] .

٩ ـ روى عبد الله بن محمد الأصفهاني قال : قال أبو الحسن : صاحبكم بعدي الذي يصلي علي ، قال : ولم نكن نعرف أبا محمد قبل ذلك فلما مات أبو الحسن عليه السلام خرج أبو محمد عليه السلام فصلى عليه[4] .

هذه بعض النصوص التي رواها الثقات والمتحرجون في دينهم عن الإمام الهادي عليه السلام في إمامة ولده الزكي أبي محمد عليه السلام مضافاً إلى النصوص الأخرى التي أثرت عن الإمام محمد الجواد عليه السلام في إمامة حفيده الحسن فقد روى الصقر بن دلف قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول : إن الإمام بعدي ابني علي ، أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي والإمامة بعده في ابنه الحسن[5] .

وأثرت نصوص أخرى عن النبي (ص) في تعيين أوصيائه وخلفائه من بعده منهم الإمام الزكي أبو محمد عليه السلام ، وقد حفلت بتلك النصوص مصادر

---

(١) إكمال الدين : ٢/٥٥ .
(٢) إكمال الدين : ٢/٥٥ .
(٣) أعلام الورى : (ص ٣٦٨) .
(٤) أعلام الورى : (ص ٣٦٨) .
(٥) كمال الدين ٢/٥٠ .

الحديث والأخبار .

من دلائل إمامته :

وأمد الله تعالى الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بالمعاجز التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، لتكون شاهد صدق على صحة ما جاءوا به من خير وهدى إلى الناس ، ولولا ذلك لفشلوا في أداء رسالتهم ، وما صدقهم أحد في ما جاءوا به، ومن جملة ما أمدهم الله به أن جعلهم يعلمون بما انطوت عليه نفوس الناس ، وبما يضمرون في دخائل قلوبهم ، وما سيقع من الملاحم والأحداث ، وقد منح الله ذلك أئمة الهدى عليهم السلام ، ومن بينهم الإمام الزكي أبو محمد عليه السلام ، ونلمح إلى بعض النوادر التي أثرت عنه في ذلك .

١ ـ روى الحسن النصيبي قال : خطر في قلبي عرق الجنب هل هو طاهر ، فأتيت إلى باب أبي محمد الحسن لأسأله ، وكان ليلاً فنمت فلما طلع الفجر خرج من داره فرآني نائماً فأيقظني وقال : إن كان حلالاً فنعم ، وإن كان من حرام فلا[1] .

٢ ـ روى إسماعيل بن محمد العباسي ، قال : شكوت إلى أبي محمد الحاجة ، وحلفت له أنه ليس عندي درهم فما فوقه ، فقال لي : أتحلف بالله كاذباً ، وقد دفنت مئتي دينار ؟ وليس قولي لك هذا دفعاً عن العطية . اعطه يا غلام ما معك . فأعطاني مائة دينار ، ثم أقبل علي ، فقال : إنك تحرم الدنانير التي دفنتها في أحوج ما تكون إليها ، يقول : واضطررت ففتشت عنها ، فلم أجدها فنظرت فإذا ابن لي قد عرفها

---

(١) مرآة الزمان ٦/ ورقة ١٩٢ مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل ٢٨٦٥ .

فسرقها وهرب .

٣ ـ شكا محمد بن حجر إلى الإمام أبي محمد عليه السلام ما يلقاه من ظلم

٣ ـ عبد العزيز ومن جور يزيد بن عيسى ، فأجابه عليه السلام : أما عبد العزيز فقد كفيته ، وأما يزيد فلك وله مقام بين يدي الله عز وجل ، ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى هلك عبد العزيز ، وأما يزيد فقد قتل محمد بن حجر ، وله مقام معه بين يدي الله تعالى[٢] .

٤ ـ روى أبو هاشم قال : شكوت إلى أبي محمد عليه السلام ضيق الحبس وثقل القيد ، فكتب إليَّ تصلي الظهر اليوم في منزلك ، وتحقق ذلك فخرج من الحبس وقت الظهر وصلى في منزله[٣] .

٥ ـ روى أبو هاشم قال : كنت مضيقاً فأردت أن أطلب من الإمام أبي محمد عليه السلام فاستحييت فلما صرت إلى منزلي وجه لي مائة دينار ، وكتب إلي : إذا كانت لك حاجة فلا تستح ، ولا تحتشم فإنك ترى ما تحب[٤] .

٤ ـ روى الثقة الأمين أبو هاشم قال : سمعت أبا محمد عليه السلام يقول : إن في الجنة لباباً يقال له المعروف ، لا يدخله إلا أهل المعروف فحمدت اللّه في نفسي ، وفرحت مما أتكلفه من حوائج الناس ، فنظر إلي أبو محمد ، وقال : نعم قد علمت ما أنت عليه ، وأن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، جعلك الله منهم يا أبا هاشم

---

(١) نور الأبصار (ص ١٥٣) .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤/٤٣٣ .

(٣) أعلام الورى (ص ٣٧٢) .

(٤) الثاقب في المناقب (ص ٢٤١) لمحمد بن علي الجرجاني من مخطوط مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل ٣٥٧ .

ورحمك[1] .

٧ ـ روى محمد بن حمزة الدوري قال : كتبت إلى الإمام أبي محمد عليه السلام أسأله أن يدعو الله لي بالغنى ، وكنت قد أملقت ، وخفت الفضيحة ، فخرج الجواب منه : «أبشر فقد آتاك الغنى من الله تعالى ، مات ابن عمك يحيى بن حمزة ، وخلف مائة ألف درهم ، ولم يترك وارثاً سواك ، وهي واردة عليك عن قريب فاشكر الله ، وعليك بالاقتصاد ، وإياك والإسراف» . وورد علي المال والخبر بموت ابن عمي ، كما قال بعد أيام قلائل وزال عني الفقر ، وأديت حق الله وبررت إخواني ، وتماسكت بعد ذلك ، وكنت قبلاً مبذراً .[2] .

٨ ـ قال محمد بن الحسن بن ميمون : كتبت إلى مولاي العسكري عليه السلام أشكو الفقر ، ثم قلت في نفسي أليس قال أبو عبد الله عليه السلام) «الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا ، والقتل معنا خير من الحياة عدونا» . فرجع الجواب :

«إن الله جل وعزّ يمحص ذنوب أوليائنا إذا تكاثفت بالفقر ، وقد يعفو عن كثير ، وهو كما حدثتك نفسك ، الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا ، ونحن كهف لمن التجأ إلينا ، ونور لمن استبصر بنا ، وعصمة لمن اعتصم بنا ، من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى ، ومن انحرف عنا فإلى النار هوى . . .»[3] .

٩ ـ قال أبو جعفر الهاشمي : كنت في الحبس مع جماعة فحبس أبو محمد

---

(١) نور الأبصار (ص ١٥٢) .

(٢) نور الأبصار (ص ١٥٢) . الدر النظيم في مناقب الأئمة .

(٣)مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٣٥ .

عليه السلام وأخوه جعفر فخففنا إليه ، وقبلت وجه الحسن ، وأجلسته على مضربة كانت تحتي ، وجلس جعفر قريباً منه ، وكان المتولي لحبسه صالح بن وصيف، وكان معنا في الحبس رجل جرجمي ، يقول : إنه علوي فالتفت إلينا أبو محمد قائلاً :

«لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم حتى يفرج الله عنكم . . .» وأومأ عليه السلام إلى الجحمي ، وقال : إن هذا الرجل ليس منكم واحذروه فإن في ثيابه سجلاً يكتب فيه إلى السلطان ما تقولونه ، فانبرى بعض المسجونين ففتشه فوجد فيه كتاباً اتهم فيه الجماعة بكل عظيمة ، وافترى عليهم بأنهم يريدون ثقب السجن والهرب منه [1] .

١٠ ـ روى أحمد بن محمد قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام حين أخذ المهتدي العباسي في قتل الموالي ـ أي الشيعة ـ وقلت : يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنك فقد بلغني أنه يتهددك ، ويقول : والله لأجلينهم من جديد، فوقع أبو محمد بخطه ذاك أقصر لعمره، عُدَّ من يومك هذا خمسة أيام ، ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمران به فكان كما قال : [2] .

١١ ـ روى أبو هاشم قال : سأل الفهنكي الإمام أبا محمد عليه السلام عن السبب في أخذ الرجل سهمين ، والمرأة تأخذ سهماً واحداً في الميراث فأجابه الإمام (ع): «إن المرأة ليس عليها جهاد ، ولا نفقة ، ولا معقلة ، يقول أبو هاشم : فخطر في نفسي أن هذه المسألة عين المسألة التي سأل بها ابن أبي العوجاء الإمام الصادق عليه السلام ، وقد أجابه بمثل

---

(١) الدر النظيم في مناقب الأئمة . من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل (٢٨٧٩) .
(٢) أعلام الورى (ص ٣٧٥) .

هذا الجواب ، فأقبل علي الإمام أبو محمد ، وقال : نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء ، والجواب منا واحد ، إذا كان معنى المسألة واحداً جرى لآخرنا ما جرى لأولنا ، وأولنا وآخرنا في العلم والأمر سواء ، ولرسول الله ، وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما فضلهما [1] .

١٢ ـ روى أبو هاشم قال : كتب إلى أبي محمد بعض مواليه يسأله شيئاً من الدعاء ، فكتب إليه ادع بهذا الدعاء «يا أسمع السامعين ، ويا أبصر المبصرين ، ويا أنظر الناظرين ، ويا أسرع الحاسبين ، ويا أرحم الراحمين ، ويا أحكم الحاكمين صل على محمد وآل محمد ، واوسع لي في رزقي ومد لي في عمري ، وامنن علي برحمتك ، واجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري» .

قال أبو هاشم : فقلت في نفسي : اللهم اجعلني في حزبك وفي زمرتك ، فأقبل علي أبو محمد فقال : أنت في حزبه ، وفي زمرته إن كنت بالله مؤمناً ، ولرسوله مصدقاً [2] .

١٣ ـ روى شاهويه بن عبد ربه قال : كان أخو صالح محبوساً فكتبت إلى سيدي أبي محمد عليه السلام أسأله عن أشياء فأجابني عنها وكتب : «إنَّ أخاك صالحاً يخرج من الحبس يوم يصلك كتابي هذا ، وكنت أردت أن تسألني عن أمره فنسيت». فبينما أنا أقرأ كتابه إذ أقبل بعض الناس فبشرني بإطلاق سراح أخي فتلقيته ، وقرأت عليه الكتاب [3] .

١٤ ـ روى أبو هاشم قال : خطر بنفسي أن القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟

---

(١) المناقب : ٤/٤٣٧ أعلام الورى (ص ٣٧٤ .

(٢) أعلام الورى (ص ٣٧٤).

(٣) المناقب : ٤/٤٣٨ .

فنظر إلى الإمام أبو محمد ، وقال : يا أبا هاشم الله خالق كل شيء ، وما سواه مخلوق . . .[1] .

١٥ ـ روى أبو هاشم قال : دخلت على أبي محمد عليه السلام ، وأنا أريد أن أسأله عن فص أصوغ به خاتماً أتبرك به فجلست ونسيت ما جئت له ، فلما ودعته ، وأردت الانصراف ناولني خاتماً ، وتبسم وقال : أردت فصاً فأعطيناك خاتماً ، فربحت الفص وإن ربي هنأك الله به ، فتعجبت من ذلك ، وقلت : «يا سيدي إنك ولي الله وإمامي الذي أدين الله بفضله وطاعته» . فقال لي : «غفر الله لك يا أبا هاشم»[2] .

١٦ ـ روى أبو هاشم قال : سمعت أبا محمد عليه السلام يقول : إن الله ليعفو يوم القيامة عفواً لا يخطر على بال العباد ، حتى يقول أهل الشرك : والله ما كنا مشركين ، فذكرت في نفسي حديثاً حدثني به رجل من أصحابنا من أهل مكة أن رسول الله (ص) قرأ ان الله يغفر الذنوب جميعاً ، فقال رجل ، ومن أشرك ، فأنكرت ذلك ، وأضمرته في قلبي ، وأنا أقوله في نفسي إذ أقبل علي أبو محمد ، وتلا قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[3] بئس ما قال هذا ، وبئس ما روى[4] .

لقد روى المؤرخون نوادر كثيرة من علم الإمام أبي محمد عليه السلام بخفايا النفوس ، وعن أخباره عن الملاحم ومجريات الأحداث ، وكل

---

(١) المناقب : ٤/٤٣٦ .

(٢) أعلام الورى (ص ٣٧٥) المناقب ٤/٤٣٧ .

(٣) سورة النساء : آية ١١٦ .

(٤) الدر النظيم .

ذلك تعتبره علامات مؤشـرة على الإمامة ، فغير الإمـام لا علم له ، ولا دراية له بذلك ، ومن الجدير بالذكر أن أكثر هـذه النوادر قـد رواها الثقـة الـدّين أبو هـاشم ، وهو من خيـار العلماء ، وقـد اختص بالإمـامين أبي الحسن ، وأبي محمد ، وشاهد الكثير من معجـزاتهما ، وقـد قال : إني ما دخلت على أبي الحسن ، وأبي محمد عليهمـا السلام يـوماً إلا رأيت برهاناً ودلالة [1] تدلل على إمامتهما .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عبادة الإمام أبي محمد وبعض مثله .

---

(١) أعلام الورى (ص ٣٧٥) .

انطباعات عنه

اتفق العلماء ورجال الفكر من المعاصرين للإمام أبي محمد عليه السلام وغيرهم على امتداد التاريخ على تعظيمه ، والاعتراف له بالفضل والتفوق على غيره بمواهبه وعبقرياته ، وسعة علومه ، وشدة تحرجه في الدين ، ونشير إلى كلمات بعضهم .

١ ـ الإمام الهادي :

أشاد الإمام علي الهادي عليه السلام بسمو منزلة ولده أبي محمد فقال : «أبو محمد ابني ، أصح آل محمد صلى الله عليه وآله ، غريزة ، وأوثقهم حجة ، وهو الأكبر من ولدي ، وهو الخلف ، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامنا . . .» [١] .

وحكت هذه الكلمات المشرقة ما اتصف به الإمام العظيم من الصفات الكريمة وقد حللنا أبعادها في البحوث السابقة .

٢ ـ أبو هاشم الجعفري :

أما أبو هاشم الجعفري فهو فذ من أفذاذ الإسلام ، وعلم من أعلام

---

(١) أعيان الشيعة .

الفكر والعقيدة ، وقد اتصل بالإمامين العسكريين اتصالاً وثيقاً وعرف واقعهما المشرق الذي يمثل هدي الإسلام ، وقد هام بحبهم ونظم الكثير من شعره الرائع في مدحهم ، ومما قاله في الإمام أبي محمد عليه السلام هذه الأبيات :

وأعطاه آيات الإمامة كلها | كموسى وفلق البحر واليد والعصا
وما قمص الله النبيين حجة | ومعجزة إلا الوصيين قمصاً
وإن كنت مرتاباً بذاك فقصره | من الأمر أن تتلو الدليل وتفحصا [1]

ومعنى هذا الشعر أن الله تعالى قد منح الإمام أبا محمد آيات الإمامة من المعجزات، وخوارق العادات، مثل ما أعطى نبيه موسى من فلق البحر، واليد البيضاء ، والعصا التي انقلبت إلى أفعى والتهمت حبال السحرة وعصيهم ثم عادت إلى حالتها الأولى ، وكل ما أعطى الله من الآيات لأنبيائه فقد أعطى مثلها لأوصيائهم ، ومن كان شاكاً ومرتاباً في ذلك ، فعليه أن ينتظر إلى الأدلة ، ويتفحصها فإنها ترشده إلى ذلك .

٣ ـ بختشوع الطبيب :

أما بختشوع فهو ألمع شخصية طبية في عصر الإمام عليه السلام فهو طبيب الأسرة المالكة [2] وقد احتاج الإمام إلى طبيب يفصده فطلب من بختشوع أن يرسل إليه بعض تلامذته ليقوم بذلك ، فاستدعى بختشوع تلميذه بطريق ، وأمره بالذهاب لمعالجة الإمام ، وأدلى إليه بحديث أعرب فيه عن سمو منزلة الإمام قائلاً :

---

(١) أعلام الورى (ص ٣٧٢).

(٢) بختشوع بن جبرئيل طبيب سرياني الأصل قربه العباسيون ولا سيما المتوكل ، وقد أثرى حتى كان يضاهي المتوكل في الفرش واللباس والخدم ، طبقات الأطباء ١/١٣٨ .

«طلب مني ابن الرضا من يفصده فصر إليه ، وهو أعلم في يومنا هذا بمن هو تحت السماء ، فاحذر أن لا تعترض عليه في ما يأمرك به. . . »[1].

٤ ـ **أحمد بن عبيد الله** :

أما أحمد بن عبيد الله بن خاقان فهو من أبرز رجال الحكم والسياسة في عصر الإمام أبي محمد عليه السلام وقد صرح في حديث له عن عظيم مكانة الإمام عليه السلام قائلاً :

«ما رأيت ، ولا عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا ، ولا سمعت به في هديه وسكونه ، وعفافه ، ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان في جميع بني هاشم ، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر ، وكذلك القواد والوزراء والكتاب ، وعوام الناس . . . »[2] .

وألم هذا الإطراء بما يتصف به الإمام أبو محمد عليه السلام من المثل الكريمة كالعفاف والنبل والسخاء وغيرها من الصفات الرفيعة التي لم تتوفر عند أي إنسان من المعاصرين له ، الأمر الذي حدا بكافة الطبقات إلى الاعتراف له بالفضل ، والتعظيم .

٥ ـ **عبيد بن خاقان** :

أما عبيد بن خاقان فهو من الشخصيات السياسية اللامعة في ذلك العصر ، وقد أدلى بتصريح مهم في سمو منزلة الإمام أبي محمد عليه السلام قال :

---

(١) البحار : ٥٠/٢٦١
(٢) البحار : ٥٠/٣٢٥ .

ولو زالت الخلافة من خلفاء بني العباس ، ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا ـ يعني الحسن بن علي ـ فإن هذا يستحقها في فضله ، وعفافه ، وهديه ، وصيانة نفسه ، وزهده ، وعبادته ، وجميل أخلاقه ، وصلاحه . . . »[1] .

ولم يكن عبيد ممن يدين بالإمامة ويؤمن بها ، فقد كان رأيه مخالفاً لذلك، ولكن الواقع المشرق للإمام أبي محمد عليه السلام، هو الذي دعاه ليعلن أنه، بعد بني العباس، أحق بالخلافة وأولى بها من غيره ذلك لما يتوفر فيه من الصفات الفاضلة التي ذكرها من الفضل ، والعفاف ، والهدى ، وصيانة النفس ، والزهد في الدنيا وجميل الأخلاق ، وصلاح النفس ، ومن تحلى بهذه الصفات فهو أحق بمركز الخلافة والإمامة .

٦ ـ الشيخ المفيد :

أما الشيخ المفيد فهو علم من أعلام الإسلام ، وقد تمرس في أكثر العلوم الإسلامية ، وقد أشاد بمواهب الإمام أبي محمد عليه السلام ، قال : «كان الإمام بعد أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام ابنه محمد الحسن بن علي لاجتماع خلال الفضل فيه ، وتقدمه على كافة أهل عصره فيما يوجب له الإمامة ، ويقتضي له الرياسة من العلم ، والزهد ، وكمال العقل ، والعصمة ، والشجاعة ، والكرم ، وكثرة الأعمال المقربة إلى الله عز وجل . . . »[2] .

وتعرض الشيخ المفيد إلى تقلد الإمام أبي محمد عليه السلام الإمامة والمرجعية العامة بعد وفاة أبيه وذلك لتوفر جميع ما يعتبر في الإمامة في

---

(١) البحار : ٣٢٧/٥٠.

(٢) الإرشاد .

شخصيته الكريمة .

ابن الصباغ :

وأشاد علي بن محمد المالكي الشهير بابن الصباغ بفضل الإمام أبي محمد عليه السلام قال :

«مناقب سيدنا أبي محمد الحسن العسكري دالة على أنه السري [١] ابن السري ، فلا يشك في إمامته أحد ، ولا يمتري ، واعلم أنه إذا بيعت مكرمة فسواه بايعها وهو المشتري . . واحدزمانه من غير مدافع ، ونسيج وحده من غير منازع ، سيد أهل عصره ، وإمام أهل دهره ، أقواله سديدة ، وأفعاله حميدة ، وإذا كانت أفاضل أهل زمانه قصيدة فهو بيت القصيدة ، وإن انتظموا عقداً كان مكان الواسطة الفريدة ، فارس العلوم الذي لا يجارى ، ومبين غوامضها فلا يجادل ، ولا يمارى ، كاشف الحقائق بنظره الصائب ، مظهر الدقائق بفكره الثاقب ، المحدث في سره بالأمور الخفيات ، الكريم الأصل والنفس والذات . . .» [٢] .

لقد حفلت هذه الكلمات بالثناء العاطر ، الذي ما بعده ثناء ، على الذي التقت به جميع صفات الخير ، والفضيلة .

٨ ـ قال أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهراشوب السروي ، مشيداً بفضل أبي محمد عليه السلام :

«هو الحسن الهادي بن علي . . . مذلل الصعاب ، نقي الجيب ، بريء من العيب ، أمين على الغيب ، معدن الوقار بلا شيب ، خافض الطرف واسع الكف ، كثير الحباء ، كريم الوفاء ، قليل الإفتاء ، لطيف الغذاء ، كثير

---

(١) السري : السيد الشريف .

(٢) الفصول المهمة (ص ٢٧٢) .

التبسم ، سريع التحكم ، أبو الخلف مكنى أبو محمد . . .» [(١)] .

٩ ـ ابن شدقم :

قال النسابة ابن شدقم : «كان الحسن العسكري إماماً هادياً ، وسيداً عالياً ، ومولى زكياً» [(٢)] .

١٠ ـ ابن الجوزي :

قال العلامة الكبير ابن الجوزي : «إن المنقبة العليا ، والمزية التي خصه ـ أي الإمام الحسن العسكري ـ الله بها ، وقلده فريدها ، ومنحه تقليدها وجعلها صفة دائمة لا يبلي الدهر جديدها ، ولا تنسى الالسنة تلاوتها وترديدها ، إن المهدي محمد عليه السلام نسله المخلوق منه ، وولده المنتسب إليه . . .» [(٣)] .

إن من أعظم الألطاف التي خص الله بها وليه الإمام الحسن عليه السلام أن جعل نجله الإمام محمداً المهدي عليه السلام الذي يقوم بدور إيجابي بإصلاح الدنيا ، ورفع منار العدل ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، والقضاء على الظلم والفساد والجور .

١١ ـ ركن الدين الحسيني :

قال ركن الدين الحسيني الموصلي : «الإمام العسكري أبو محمد . . . مناقبه وفضائله ، وكراماته لا تحصى . . . وإن المنقبة العليا التي خصه الله بها وقلده بها . ان المهدي عليه السلام هو ولده . . .» [(٤)] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤٢١/٤ .

(٢) زهرة المقول في نسب ثاني فرعي الرسول (ص ٦٣) .

(٣) تذكرة الخواص .

(٤) بحر الأنساب (ص ١٧) مصور.

وأي منقبة أعظم من هذه المنقبة التي منحها الله الإمام الزكي أبا محمد فهو أبو الإمام المهدي عليه السلام ، صانع التاريخ ، ومغير مجريات الأحداث ، والقائم بانقلاب عام ضد جبابرة الأرض ، وطواغيت الكون .

١٢ ـ اليافعي :

قال اليافعي : «الشريف العسكري ، أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، وهو والد المنتظر عليه السلام . . .» [١] .

١٣ ـ يوسف النبهاني :

قال يوسف بن إسماعيل النبهاني : «الحسن العسكري أحد أئمة ساداتنا آل البيت العظام ، وساداتهم الكرام رضي الله عنهم أجمعين ، ذكره الشبراوي في «الاتحاف بحب الأشراف» ولكنه اختصر ترجمته ، ولم يذكر له كرامات ، وقد رأيت له كرامة بنفسي ، وهو أني في سنة (١٢٩٦ هـ) سافرت إلى بغداد من بلدة «كوي سنجق» إحدى قواعد بلاد الأكراد ، وكنت قاضياً فيها ففارقتها قبل أن أكمل المدة المعينة لشدة ما وقع فيها من الغلاء والقحط ، اللّذين عَمَّا بلاد العراق في تلك السنة فسافرت على الكلك ، وهو ظروف يشدون بعضها الى بعض ، ويربطون فوقها الأخشاب ، ويجلسون عليها ، فلما وصل الكلك قبالة مدينة سامراء ، وكانت مقر الخلفاء العباسيين فأحببنا أن نزور الإمام الحسن العسكري ، وخرجنا لزيارته ، فحينما دخلت على قبره الشريف حصلت لي روحانية لم يحصل لي مثلها قط . . . وهذه كرامة له ، ثم قرأت ما تيسر من القرآن ، ودعوت بما تيسر من الدعوات وخرجت . . .» [٢] .

---

(١) مرآة الجنان ٢ / ١٧٢ .

(٢) جامع كرامات الأولياء : ١ / ٣٨٩ .

إن مراقد الأئمة الطاهرين عليهم السلام تفيض بالقداسة والروحانية وكل من تشرف بزيارتها يشعر بهذه الظاهرة .

١٤ ـ الأربلي :

وأثنى العلامة المحقق علي بن عيسى الأربلي على الإمام أبي محمد عليه السلام ثناءً عاطراً ، وأدلى ببعض مزاياه ، ومكارم صفاته ، وقال في جملة كلامه (وبعضه مر معنا آنفاً عن ابن الصباغ) :

««الإمام الحسن : فارس العلوم الذي لا يجارى ، ومبين غامضها فلا يجادل ولا يمارى ، كاشف الحقائق بنظره الصايب ، مظهر الدقائق بفكره الثاقب ، المطلع بتوفيق الله على أسرار الكائنات ، المخبر بتوفيق الله عن الغائبات ، المحدث في سره بما مضى ، وبما هو آت ، الملهم في خاطره بالأمور الخفيات ، الكريم الأصل والنفس ، والذات ، صاحب الدلائل والآيات والمعجزات ، مالك أزمة الكشف والنظر ، مفسر الآيات ، مقرر الخبر ، وارث السادة الخير ، ابن الأئمة أبو المنتظر ، فانظر إلى الفرع والأصل ، وجدد النظر ، واقطع بأنهما عليهما السلام أضوأ من الشمس ، وأبهى من القمر ، وإذا تبين زكاء الأغصان تبين طيب الثمر ، فأخبارهم ونعوتهم عليهم السلام عيون التواريخ ، وعنوان السير .

شرف تتابع كابراً عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب

ووالله أقسم أن من عدّ محمداً (ص) جداً، وعلياً أباً، وفاطمة أماً، والأئمة آباءً ، والمهدي ولداً لجدير أن يطول السماء علاءً وشرفاً ، والأملاك سلافاً وذاتاً وخلفاً ، والذي ذكرته من صفاته دون مقداره ، فكيف لي باستقصاء نعوته وأخباره ، ولساني قصير ، وطرف بلاغتي حسير ، فلهذا يرجع عن شأنه

وصفاته كليلاً ، ويتضاءل لعجزه وقصوره . . . »[1] .

١٥ ـ البستاني :

قال البستاني : «الحسن الخالص بن علي الهادي . . . ذكروا له كثيراً من المناقب المعروفة في أهل هذا البيت الطالبيين ، وظهر عليه الفهم والحكمة منذ حداثته . . . »[2] .

١٦ ـ خير الدين الزركلي :

قال خير الدين الزركلي : «الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد ، الهاشمي : أبو محمد الإمام الحادي عشر عند الإمامة . . . بويع بالإمامة بعد وفاة أبيه ، وكان على سنن سلفه الصالح تقى ونسكاً وعبادة . . . »[3] .

١٧ ـ العباس بن نور الدين

قال العباس بن نور الدين المكي : «أبو محمد الإمام الحسن العسكري : نسبه أشهر من القمر ليلة أربعة عشر ، يعرف هو وأبوه بالعسكري وأما فضائله فلا يحصرها اللسن . . . »[4] .

---

(١) كشف الغمة: ٣/٢٢٣ ـ ٣٢٤ .

(٢) دائرة معارف البستاني ٧/٤٥ .

(٢) الأعلام : ٢/٢١٥ .

(٣) نزهة الجليس : ٢/١٨٤ .

تـكشف بعض رسـائل الإمـام عليه السـلام عن جـانب مهم من الحيـاة العقـائديـة التي منيت في ذلك العصـر بالتـذبـذب، والاضـطراب، وقـد نص فيها الإمام على بعض شيعته ما هم فيه من عدم الالتزام بحرفية الدين ، وعدم تطبيق بنوده على واقع حياتهم وفي ما يلي بعض تلك الرسائل .

١ ـ رسالته إلى إسحاق النيسابوري :

وأرسـل الإمـام أبـو محمـد عليـه السـلام إلى إسحـاق بن إسمـاعيـل النيسابوري هذه الرسالة ، وهي من غـرر الرسـائل ، وقـد استهدفت الـوعظ ، والإصلاح الشامل ، وهذا نصها :

«سـترنا الله وإيـاك بستره ، وتـولاك في جميـع أمـورك بصنعـه ، فهمت كتابك يرحمك الله ، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على أوليائنا ونسـر بتتابع إحسان الله إليهم ، وفضله لديهم ، ونـعتد بكل نعمـة ينعمها الله تبـارك وتعـالى عليهم ، فأتم الله عليـك يا إسحـاق ، وعلى من كـان مثلك ممن قـد رحمه الله ، وبصره بصيرتك ، نعمته ، [1] وقدّر تمام دخول الجنـة ،وليس من نعمة وإن جـلً أمرهـا ، وعظم خطرها إلا «والحمد لله» تقدست أسمـاؤه عليهـا مؤد شكرها .

(١) يظهر بعض الاضطراب لجهة المعنى ، لسقوط بعض المفردات من النص . ولعل الصواب : « وحباك

وأنا أقول : الحمد لله أفضل ما حمده حامد ، إلى أبد الأبد بما منَّ الله عليك من رحمته ، ونجاك من الهلكة ، وسهَّل سبيلك على العقبة ، وأيم الله إنها لعقبة كؤود ، شديد أمرها ، صعب مسلكها ، عظيم بلاؤها ، قديم في الزبر الأولى ذكرها ، ولقد كانت منكم في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله ، وفي أيامى هذه أمور كنتم فيها عندي غير محمودي الرأي ، ولا مسددي التوفيق .

فاعلم يقيناً يا إسحاق أنه من خرج من هذه الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى، وأضل سبيلاً، يا إسحاق ليس تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله في محكم كتابه حكاية عن الظالم، إذ يقول: **﴿ رب لم حشرتني أعمى ، وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾** (١) وأي آية أعظم من حجة الله على خلقه ، وأمينه في بلاده وشهيده على عباده ، من بعد من سلف من آبائه الأولين النبيين وآبائه الآخرين ، الوصيين عليهم أجمعين السلام ورحمة الله وبركاته ، فأين يتاه بكم ؟وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون ، وبنعمة الله تكفرون ؟أو تكونون ممن يؤمن ببعض الكتاب ، ويكفر ببعض ؟فما جزاء من يفعل ذلك منكم ، ومن غيركم إلاّ خزى في الحياة الدنيا ، وطول عذاب في الآخرة الباقية ، وذلك والله الخزي العظيم ، إن الله ، بمنه ورحمته ، لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم ، بل برحمة منه ـ لا إله إلا هو ـ عليكم ليميز الخبيث من الطيب ، وليبتلي ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم ، لتسابقوا إلى رحمة الله ، ولتتفاضل منازلكم في جنته ، ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة ،

= نعمته ، وقدَّر لك . . . ».

(١) سوره طه : آية ١٢٦ .

وإيتاء الزكاة والصوم والولاية ، وجعل لكم باباً تستفتحون به أبواب الفرائض ومفتاحاً إلى سبيله ، لولا محمد، صلى الله عليه وآله، والأوصياء من ولده، لكنتم حيارى ، كالبهائم لا تعرفون فرضاً من الفرائض ، وهل تدخل مدينة إلا من بابها ، فلما منَّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم ، قال الله في كتابه : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[1] ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم ، قال الله : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾[2] واعلموا أن ﴿ **من يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأنتم الفقراء** ﴾ لا إله إلا هو ، ولقد طالت المخاطبة فيما هو لكم وعليكم .

ولولا ما يحب الله من تمام النعمة من الله عليكم، لما رأيتم لي خطاً ولا سمعتم مني حرفاً، من بعد مضي الماضي عليه السلام، وأنتم في غفلة مما إليه معادكم ، ومن بعد إقامتي لكم إبراهيم بن عبده، وكتابي الذي حمله إليكم محمد بن موسى النيسابوري ، والله المستعان على كل حال ، وإياكم أن تفرطوا في جنب الله فتكونوا من الخاسرين ، فبُعداً وسحقاً لمن رغب عن طاعة الله ، ولم يقبل مواعظ أوليائه ، فقد أمركم الله بطاعته وطاعة رسوله ، وطاعة أولي الأمر ، رحم الله ضعفكم، وغفلتكم، وصبّركم على أمركم، فما أغر الإنسان بربه الكريم ، ولو فهمت الصم الصلاب بعض ما هو في هذا الكتاب لتصدعت قلقاً وخوفاً من خشية الله ، ورجوعاً إلى طاعة الله ، اعملوا ما شئتم، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة

---

(١) سورة المائدة : آية ٣.

(٢) سورة الشورى : آية ٢٣ .

فينبئكم بما كنتم تعملون»[1] «والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين»[2].

ولا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر في أبعاد هذه الرسالة الشريفة ، وبيان محتوياتها ، وفي ما يلي ذلك:

أولاً : أنها أظهرت سرور الأئمة الطاهرين ، وفرحهم بما يسديه الله تعالى إلى شيعتهم من النعم والألطاف .

ثانياً : إن من أعظم النعم وأجلها التي يتمناها الإمام أبو محمد لشيعته هي الفوز بالجنة والنجاة من النار ، ، فإن من فاز بذلك فقد ظفر بالخير العميم .

ثالثاً : أعرب الإمام عليه السلام عن حدوث فجوة بينه وبين إسحاق وجماعته ، ولم يحدث ذلك في زمانه ، وإنما كان في زمان أبيه الإمام الهادي عليه السلام ، فقد ساءت العلاقات بينه وبين القوم ، ولم تكشف المصادر التي بأيدينا أسباب ذلك ، وأكبر الظن أن ذلك يستند إلى ما يلي :

أ - اندساس الدجالين ، والمخربين ، وذوي الأطماع بين صفوف القوم ، وإفساد عقائدهم ، مما نجم منه التشكيك في الأئمة عليهم السلام والرد عليهم .

ب - حجب الأئمة عليهم السلام من قبل العباسيين ، وقطع أي اتصال بينهم وبين شيعتهم الأمر الذي أدى إلى إشاعة بعض الأفكار المنحرفة بين

---

(١) اقتباس من الآية الواردة في سورة التوبة : آية ١٠٥ .

(٢) تحف العقول (ص ٤٨٤ - ٤٨٦). البحار٧٨/٣٧٤ - ٣٧٧ . الكشي (ص ٣٥٤-٣٥٧): وروى السيد محمد الجزائري أستاذ العلامة المجلسي شطراً من هذه الرسالة في كتابه (جوامع الكلم) وهو من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل ٤٢٧ .

صفوف بعضهم ، ولو كانوا على اتصال بهم لما حدث أي شيء من ذلك .

جـ ـ دس الحكومة العباسية بعض عملائها بهدف تفريق صفوف أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، والعبث بمقدراتهم الفكرية والاجتماعية وذلك للحط من شأنهم ، وفل قواهم .

د ـ وثمة عامل آخر أدى إلى شيوع الاضطراب العقائدي بين صفوف بعض الشيعة ، وهو الحسد لبعض وكلاء الإمامين عليهما السلام الذين عُهد إليهم بقبض الحقوق الشرعية ، وصرفها على الفقراء والمحرومين وسائر الجهات الإصلاحية ، وقد منحوا بذلك التأييد المطلق ، والثقة الكاملة من قبل الإمامين ، وقد عز ذلك على بعض الشخصيات البارزة الذين لم يظفروا بمثل ذلك مما أدى إلى حسدهم والحسد داء وبيل ألقى الناس في شر عظيم ، وأخرجهم من النور إلى الظلمات ، فأخذوا يعيثون فساداً بين صفوف الشيعة ويفسدون عليهم عقائدهم .

رابعاً : نعى الإمام عليه السلام على المنحرفين عن الحق سلوكهم في المنعطفات وبعدهم عن المسالك الواضحة التي تضمن لهم السلامة والنجاة ، فقد ضلت عقولهم ، وعميت عيونهم ، وإنهم في يوم حشرهم سيحشرون عمي العيون كما كانوا في دار الدنيا .

خامساً : ذكر الإمام عليه السلام أن الله تعالى أقام الحجة على عباده وذلك ببعثه النبيين والمرسلين والأوصياء ، فقد بلغوا أوامر الله ونواهيه ، ونشروا أحكامه ، فلا عذر للعباد بعد ذلك في تقصيرهم وعدم طاعتهم .

سادساً : عرض الإمام عليه السلام إلى أن الله لما أقام الفرائض على العباد ، وألزمهم بها لم يكن بحاجة إليها ، وإنما ليميز الخبيث من الطيب ،

ويمتحن العباد بها ، فمن أطاع فقد نجا ، ومن خالف فقد غرق وهوى .

سابعاً : ومن بنود هذه الرسالة أن الله تعالى قد منَّ على هذه الأمة بأن أرسل النبي محمداً صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده بهدايته ، ولولاهم لكانت هذه تتيه في مساحات سحيقة من مجاهل هذه الحياة لا تعرف فرضاً ، ولا تفقه سنة ، فما أعظم عائداتهم على هذه الأمة ، بل وعلى البشرية جمعاء .

ثامناً : إن الله تعالى فرض لآل النبي صلى الله عليه وآله على المسلمين فريضة مالية ، وهي الخمس ، وهو تشريع اقتصادي أصيل ، تزدهر به الحياة الفكرية والدينية في الإسلام ، ولولاه لما استمرت المرجعية العامة ، والهيئة العلمية عند الطائفة الإمامية ، التي هي امتداد مشرق لرسالة الأئمة الطاهرين عليهم السلام . . . أما تفصيل الخمس ، وفيما يجب فقد عرضت لبيانه كتب الفقه الإمامي ، ومن الجدير بالذكر أن الإمام أبا محمد عليه السلام قد بين في رسالته هذه أنه لا تحل الأزواج والأموال ، والمآكل ، والمشارب من دون إخراج الخمس ، وأكبر الظن أن القوم الذين عناهم الإمام في رسالته ما كانوا يؤدون هذا الحق المفروض ، الأمر الذي أوجب توتر العلاقات بينهم ، وبين الإمام ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن تحليل بعض محتويات هذه الرسالة .

٢ ـ رسالته إلى أهالي قم وآبة :

وأرسل الإمام أبو محمد عليه السلام إلى شيعته من أهالي قم وآبة [١] رسالة جاء فيها :

«إن الله تعالى بجوده وكرمه ، ورأفته ، قد منَّ على عباده بنبيه

---

(١) آبة : بليدة تقابل سادة ، وتعرف بين العامة بآوة ، قال ذلك ياقوت في المعجم .

محمد (ص)، بشيراً ونذيراً، ووفقكم لقبول دينه، وأكرمكم بهدايته، وغرس في قلوب أسلافكم الماضين رحمة الله عليهم، وأصلابكم الباقين، تولى كفايتهم، وعمرهم طويلاً في طاعته، حب العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب، ومنهاج الصدق وسبيل الرشاد، فوردوا موارد الفائزين، واجتنوا ثمرات ما قدموا، ووجدوا غب ما أسلفوا . . .

ومنها :

فلم تزل نيتنا مستحكمة، ونفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة، القرابة الراسخة بيننا وبينكم قوية، وصية أوصى بها أسلافنا وأسلافكم، وعهدَ عهد إلى شبابنا ومشايخكم، فلم يزل على حملة كاملة من الاعتقاد، لما جمعنا الله عليه من الحال القريبة، والرحم الماسة، يقول العالم سلام الله عليه : المؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه . . .» [1] .

ولم تصل إلينا تمام هذه الرسالة، وإنما وصلت منها هذه القطعة، وهي تحكي مدى تعاطف الإمام عليه السلام مع هؤلاء المؤمنين الأخيار الذين تحرجوا في دينهم كأشد ما يكون التحرج، فقد ترحم الإمام على أسلافهم المتمسكين بدينهم الذين آمنوا بالإسلام، واتبعوا ما أمر الله به، ففازوا برضوان الله ومغفرته . وتعرض الإمام عليه السلام إلى الصلات الوثيقة التي عقدت بين القوم وبين أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهي قديمة وقد قامت على إيمان القوم برسالة أهل البيت، وأهدافهم الشامخة، ولم تقم على الأهواء والعواطف، وقد أكبر الإمام عليه السلام فيهم هذه الروح، وهذا الشعور الفياض .

---

(١) البحار .

٣ ـ رسالته إلى الفقيه علي بن الحسين :

وأرسل الإمام أبو محمد عليه السلام رسالة إلى الفقيه الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، وجه الشيعة ، والعلم البارز في الحديث والفقه ، وسائر العلوم الإسلامية ، وقد جاء فيها بعد البسملة :

«الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والجنة للموحدين ، والنار للملحدين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين ، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين .

أما بعد : أوصيك ـ يا شيخي ومعتمدي ، وفقيهي أبا الحسن علي بن الحسين القمي ، وفقك الله لمرضاته ، وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته ـ بتقوى الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فإنه لا تقبل الصلاة من مانعي الزكاة ، وأوصيك بمغفرة الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، ومواساة الإخوان ، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر ، والحلم عند الجهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمور ، والتعهد للقرآن ، وحسن الخلق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر قال الله عز وجل : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس** ﴾ [١] **واجتناب الفواحش كلها ، وعليك بصلاة الليل فإن النبي أوصى علياً فقال : يا علي عليك بصلاة الليل ـ ثلاث مرات ـ ومن استخف بصلاة الليل فليس منا ، فاعمل بوصيتي ، وأمر شيعتي حتى يحملوا عليه ، وعليك بانتظار الفرج ، فإن النبي (ص) قال : أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج ، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي (ص) . إنه يملأ**

---

(١) سورة النساء : آية ١١٤ .

الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، فاصبر يا شيخي ، وأمر جميع شيعتي بالصبر ، ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ [1] والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير . . . » [2] . أما محتويات هذه الرسالة فهي كما يلي :

أولاً : الإشادة بمكانة الفقيه الجليل علي بن الحسين ، فقد كان فذاً من أفذاذ الفكر الإسلامي في علمه وورعه وتقواه ، ويكفي في سمو منزلته ما أضفاه عليه الإمام (ع) من النعوت الكريمة التي تدلل على عظيم شأنه عنده ، وقد قال المترجمون له : إنه كان من الأجلاء فقهاء الأصحاب والأدلاء على صراط آل محمد (ص) الأنجاب الأطياب ، غيوراً في أمر الدين مدمراً أساس الملحدين ، معظماً من مشايخ الشيعة مفخماً من أركان الشريعة [3] وبلغ من وثاقته والاعتماد عليه عند الفقهاء أنهم كانوا يأخذون بفتاواه إذا أعوزتهم النصوص ، وقد نص على ذلك الشهيد في الذكرى .

ثانياً : إن الإمام عليه السلام دعا له بالذرية الصالحة ، وقد استجاب الله دعاءه فرزقه الشيخ الصدوق أبا جعفر محمد الذي هو من أثرى علماء المسلمين في فضله وجودة تأليفه ، وقد أحيا الشريعة وأبرز معالمها ، وسجل آثار الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، فما أعظم عائدته على الإسلام. له من المؤلفات ما يربو على الثلاثمئة [4] ، وفي مقدمتها :«من لا يحضره الفقيه» وهو من أجل الكتب التي يعتمد عليها فقهاء الإمامية .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٢٨ .

(٢) روضات الجنات ٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٣) روضات الجنات ٤/ ٢٧٣ .

(٤) أمل الآمل.

ثالثاً : إن الإمام أوصى علي بن الحسين القمي بإقامة الفرائض الإسلامية وحثه على التحلي بمكارم الأخلاق ، وسمو الصفات من كظم الغيظ ، وصلة الأرحام ومواساة الإخوان ، والسعي في حوائجهم ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمور إلى غير ذلك من الصفات الرفيعة التي ترفع الشخص إلى أعلى مستويات الكمال .

رابعاً : أنه أوصاه بانتظار الفرج إلى خروج قائم آل محمد (ص) الذي تزدهر الدنيا بحكمه ، وترتفع كلمة الله عالية في أيام دولته ، وتسود العدالة الاجتماعية بجميع رحابها في سلطانه الذي هو امتداد لحكومة جده الرسول الأعظم (ص) ، هذه بعض محتويات رسالة الإمام عليه السلام .

٤ ـ رسالته إلى بعض شيعته :

وكتب إليه بعض شيعته يعرفه باختلاف الشيعة ، فأجابه الإمام عليه السلام برسالة جاء فيها :

«إنما خاطب الله تعالى العاقل . . . والناس فيَّ على طبقات : المستبصر على سبيل نجاة ، متمسك بالحق ، متعلق بفرع الأصل غير شاك ، ولا مرتاب ، ولا يجد عني ملجأ ، وطبقة لم تأخذ الحق من أهله ، فهم كراكب البحر يموج عند موجه ، ويسكن عند سكونه ، وطبقة استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الرد على أهل الحق ، ودفع الحق بالباطل حسداً من عند أنفسهم ، فدع من ذهب يميناً وشمالاً فإن الراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها بأهون مسعى ، وإياك والإذاعة ، وطلب الرياسة فإنهما يدعوان إلى الهلكة . . .» [١] .

---

(١) البحار : ٧٨/ ٣٧٠.

تحدث الإمام عليه السلام ـ في هذه الرسالة ـ عن اختلاف الناس في أمره فبين أنهم على ثلاثة أنواع وهم :

أ ـ الطبقة المؤمنة ، والمتبصرة في دينها ، والواعية لأهداف الإمامة، وهي تتمسك بالإمام عليه السلام كما كانت تتمسك بآبائه ، لا تعتريها شبهة ولا يخالجها شك في أمره .

ب ـ الطبقة الضعيفة وهي التي لم تتبصر في دينها ، ولم تأخذ الحق من أهله ومعدنه ، وهي التي تمثل الأكثرية الساحقة في المجتمع ، وهي تخضع للأهواء والعواطف ، فلا تصمد أمام الأحداث ، وتلونها التيارات كيفما شاءت .

جـ ـ الطبقة المنحرفة ، والضالة عن الطريق ، وهي التي استحوذ عليها الشيطان فأنساها ذكر الله العظيم ، وهي بالطبع تعادي الإمام عليه السلام وترد عليه ، كما ردت على آبائه ، ثم أن الإمام دعا إلى الاستقامة ، وعدم الانحراف إلى اليمين واليسار ، كما أوصى عليه السلام بكتمان أمر الإمامة وعدم إذاعتها خوفاً من السلطة العباسية العاتية التي جهدت في محاربة أهل البيت ، والتنكيل بشيعتهم . . . وحذر الإمام عليه السلام في الفصل الأخير من رسالته من طلب الرياسة لأنها توجب الهلكة وتجر الويلات والدمار لمن طلبها .

٥ ـ رسالته إلى شخص من شيعته :

وأرسل الإمام إلى شخص من شيعته ، وقد أبدى فيها أسفه البالغ على مامني به من بعض غوغاء الشيعة من الذين ضلوا عن الطريق ، وانحرفوا عن الحق ، وهذا نصها :

«ما مني أحد من آبائي بمثل ما منيت به من شك هذه العصابة ، بأن

كان هذا الأمر أمراً اعتقدتموه ، ودمتم بـه إلى وقت ثم ينقطع فللشـك موضـع وإن كان متصلاً ما اتصلت أمور الله ، فما معنى الشك ، . . »[1] .

لقد امتحن الإمام عليـه السلام كـأشد مـا يكون الامتحـان في أمر هؤلاء الغوغاء الذين زاغت ضمائرهم ، واستحوذ عليهم الشيطان فأنسـاهم ذكر الله ، فشـككوا في إمامة الإمام أبي محمد عليه السـلام ، ومن البديهي أنـه لا مجال للشك في ذلك لأن الإمـامة ـ كمـا يقول الإمـام ـ إن كانت مؤقتة ومحدودة إلى وقت ، وانتهى الوقت إلى زمن إمامة الإمام أبي محمد فإن للشـك موضعـاً إلا أنها ليست كذلك ، وإنما هي متصلة إلى الإمـام المهدي عليـه السلام حسب ما تضافرت الأخبار بذلك . وبعد هذا فما معنى الشك ؟ إن انـدساس القـوى المعـاديـة لأهـل البيت في صفـوف الشيعـة هـو الـذي أوجب هـذا التـذبـذب العقائدي عند بعضهم .

٦ ـ رسالته إلى عبد الله البيهقي :

وأرسـل الإمام عليـه السلام إلى عبـد الله بن حمدويـه البيهقي الرسـالـة التالية :

«وبعد : فقد بعثت لكم إبراهيم بن عبده ليدفع النواحي ، وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه ، وجعلتـه ثقتي وأميني ، عند مـوالي هناك فليتقـوا الله ، وليراقبوا ، وليؤدوا الحقوق فليس لهم عذر في ترك ذلك ، ولا تـأخيره ، ولا أشقاهم الله بعصيان أوليائه ، ورحمهم الله وإيـاك معهم برحمتي لهم ، إن الله واسع كريم . . »[2] .

لقد أقام الإمـام عليه السـلام في المناطق التي تـدين بإمـامته وكـلاء من

---

(١) البحار : ٣٧٢/٧٨.

(٢) الكشي : (ص ٣٥٨).

العلماء الأخيار ، وعهد إليهم بقبض الحقوق الشرعية ، وحملها إليه أو انفاقها في سبل الخير والصلاح .

٧ ـ رسالته في حق إبراهيم :

وكان الإمام عليه السلام قد أقام إبراهيم بن عبده وكيلاً عنه في قبض الحقوق الشرعية ، وصرفها في إقامة دعائم الدين ، وصلة المحتاجين وقد زوده برسالة أشاد فيها بمكانة إبراهيم ووثاقته ، وقد سئل عن تلك الرسالة هل هي بخطه ، فأجاب عليه السلام :

«وكتابي الذي ورد على إبراهيم بن عبده بتوكيلي إياه بقبض حقوقي من موالينا هناك ، نعم هو كتابي بخطي إليه ، أقمته لهم ببلدهم حقاً غير باطل ، فليتق الله حق تقاه ، وليخرجوا من حقوقي ، وليدفعوها إليه ، فقد جوزت له ما يعمل به فيها وفقه الله ، ومنَّ عليه بالسلامة من التقصير . . »[١] .

لقد أقر الإمام وكالته لإبراهيم ، وأوصاه بتقوى الله وطاعته والزم شيعته بدفع الحقوق المفروضة عليهم إليه .

٨ ـ رسالته إلى مواليه :

وبعث الإمام أبو محمد عليه السلام الرسالة التالية إلى بعض مواليه ، وقد نعى فيها ما هم فيه من الاختلال والفرقة والانحراف عن الدين وهذا نصها بعد البسملة : «استوهب الله لكم زهادة في الدنيا وتوفيقاً لما يرضى ، ومعونة على طاعته وعصمة عن معصيته ، وهداية من الزيغ وكفاية ، فجمع لنا ولأوليائنا خير الدارين .

أما بعد : فقد بلغني ما أنتم عليه من اختلاف قلوبكم ، وتشتيت أهوائكم ،

---

(١) الكشي (ص ٣٥٨).

ونزغ الشيطان، حتى أحدث لكم الفرقة والإلحاد في الدين، والسعي في هدم ما مضى عليه أوائلكم من إشادة دين الله، وإثبات حق أوليائه، وأمالكم إلى سبيل الضلالة، وصد بكم عن قصد الحق، فرجع أكثركم القهقرى على أعقابكم، تنكصون كأنكم لم تقرؤا كتاب الله جل وعز ولم تعوا شيئا من أمره ونهيه ولعمري لئن كان الأمر في اتكال سفهائكم على أساطيرهم لأنفسهم وتأليفهم روايات الزور بينهم لقد حقت كلمة العذاب عليهم ولئن رضيتم بذلك منهم ولم تنكروه بأيديكم وألسنتكم وقلوبكم ونياتكم، إنكم شركاء وهم، في ما اجترحوه من الافتراء على الله تعالى وعلى رسوله وعلى ولاة الأمر من بعده ولئن كان الأمر كذلك لما كذب أهل الزبد في دعواهم، ولا المغيرة في اختلافهم ولا الكيسانية في صاحبهم ولا من سواهم من المنتحلين، والمنحرفين عنا بل أنتم شر منهم قليلاً وما نشأ [1]. والباطل فيكم بدعوة تكونوا شامة لأهل الحق إلا انتظار فيئهم، وسيق أكثرهم إلى أمر الله إلا طائفة لو لسميتها... استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، ومن نسي ذكر الله تبرأ منه فسيصليه جهنم وساءت مصيراً.

وكتابي هذا حجة عليهم، وحجة لغايبكم على شاهدكم إلا من بلغه فأدى الأمانة، وأنا أسأل الله أن يجمع قلوبكم على الهدى، ويعصمكم بالتقوى، ويوفقكم للقول بما يرضى، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..»[2].

وصعد الإمام عليه السلام آهاته على ما مُني به بعض مواليه من الاختلاف، والتفرق والانحراف عن الدين، ويعود السبب في ذلك إلى أن هؤلاء الغوغاء لم يعتنقوا الإسلام عن وعي عميق مدعم بالأدلة الحاسمة،

---

(١) كلمة ساقطة

(٢) الدر النظيم ورقة ٢٢٤.

وإنما أخذوا بعض طقوسه عن تقليد لآبائهم ، وأقل شبهة تعـرض لهم ، فإنهم ينكصون على الأعقاب .

لقد عمدت القـوى الباغيـة على الإسلام على إفسـاد الموالي من شيعـة الإمام عليه السـلام وتضليلهم ، وقد افتعلوا في سبيـل ذلك الـروايات الكـاذبة التي تـدعم أفكارهم الفـاسدة ، ولا سبيـل لالتقاء الإمـام بهم ليقـوم بـرد تلك الشبـه ، وتنويـر الأفكار بنور الحق ، وذلك بسبب مـا فرض عليـه من الإقـامـة الجبرية في سامراء ، وكان ذلك من أعظم المحن التي واجهها في حياته .

٩ ـ رسالته إلى بعض مواليه :

وأرسل الإمام أبو محمد عليـه السلام إلى بعض مـواليه هـذه الرسـالة ، وقد جاء فيها بعد البسملة :

«كـل مقـدور كـائن ، فتـوكـل على الله جـلَّ وعـزَّ يـكفـك ، وثق بـه لا يخيبـك ، وشكوت أخـاك فاعلم يقينـاً أن الله جـلّ وعـزّ لا يعين على قـطيعـة رحم ، وهو جل ثناؤه من وراء ظلم كل ظـالم ، ومن بغي عليه لينصـرنه الله ، أن الله قوي عزيز ، وسألت الـدعاء ، إنَّ الله جـل وعز لـك حافظ ، ونـاصر ، وساتر ، وأرجو من الله الكريم الـذي عرفـك من حقه ، وحق أوليـائه مـا عمي عنه غيرك أن لا يزيل عنك نعمة ، أنعم بها عليك ، أنه ولي حميد . . »[1] .

لقـد دعا الإمـام عليه السـلام إلى التوكـل على الله ، والثقة بـه فإنـه لا يخيب من التجأ إليه ، واتكل عليه ، كما لامه الإمام للشكوى من أخيه لأن الله تعـالى لا يعين على قطيعـة رحم ، ثم دعا لـه الإمام أن يـديم الله عليـه نعمـه وألطافه ولا يزيلها عنه .

---

(١) الدر النظيم .

١٠ ـ رسالة لبعض شيعته :

ورفع بعض الشيعة إلى الإمام عليه السلام رسالة يستغيث فيها من ظالم ظلمه ، واعتدى عليه فأجابه عليه السلام بما يلي :

«نحن نستكفي بالله جلَّ وعزَّ في هذا اليوم من كل ظالم وباغ ، وحاسد ، وويل لمن قال : ما يعلم الله جلَّ وعزَّ خلافه ، ماذا يلقى من ديان يوم الدين ، !! فإن الله جلَّ وعَزَّ للمظلومين ناصر ، وعضد ، فثق به جل ثناؤه ، واستعن به يُزِلْ محنتك . ويكفك شر . كل ذي شر ، فعل الله ذلك بك ، ومنَّ علينا فيك ، إنه على كل شيء قدير ، واستدرك الله كل ظالم في هذه الساعة ، ما أحد ظلم وبغى فأفلح ، الويل لمن أخذته أصابع المظلومين فلا تغتم ، وثق بالله ، وتوكل عليه ، فما أسرع فرجك ، والله عز وجل مع الذين صبروا والذين هم محسنون . . »[١] .

شجب الإمام عليه السلام في رسالته الظلم والبغي والحسد ، واستجار بالله من كل ظالم وباغ وحاسد ، فإنه تعالى عون للمظلومين ، وسند لهم ، وهو القادر على إزالة الظلم ، وإنزال أقصى العقوبة بالمعتدين والظالمين .

وبهذا ينتهي بنا المطاف حول بعض رسائله ، وهي تمثل الأحداث التي جرت في عصره .

---

(١) الدر النظيم ورقة ٢٢٥ .

وأثرت عن الإمام أبي محمد عليه السلام كوكبة من غرر الحكم ، وبدائع الأفكار وهي من ذخائر الآداب الإسلامية ، وقد عالجت مختلف القضايا الاجتماعية ، والتربوية ، ونرفع إلى القراء طاقات معطرة منها :

فضل أهل البيت :

لقد أشاد الإمام عليه السلام بفضل أهل البيت الذين هم مصدر الوعي ، والإيمان في الإسلام ، قال (ع) :

«قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة ، والولاية ، ونورنا السبع الطرائق بأعلام الفتوة ، فنحن ليوث الوغى ، وغيوث الندى ، وفينا السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والعلم في الآجل ، وأسباطنا خلفاء الدين ، وحلفاء اليقين ، ومصابيح الأمم ، ومفاتيح الكرم فالكريم لبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاقورة[1] ذاق من حدائقنا الباكورة[2] وشيعتنا الفئة الناجية ، والفرقة الزاكية ، صاروا لنا رداءً وصوناً، وعلى الظلمة إلبا[3] . . وسينفجر لهم ينابيع الحيوان، بعد لظى النيران، لتمام الرواية،

(١) الصاقورة : السماء الثالثة .

(٢) الباكورة : أول ما يدرك من الفاكهة .

(٣) الظاهر ان كلمة (وعوناً) ساقطة من الأصل.

والغواشي من السنين . . .» .

وعلق الشيخ المجلسي على هذه الكلمات المشرقة بقوله : هذه حكمة بالغة ، ونعمة سابغة ، تسمعها الأذان الصم ، وتعصر عليها الجبال الشم ، صلوات الله عليهم وسلامه[1] إن لأئمة أهل البيت عليهم السلام منزلة كريمة عند الله ، فقد آتاهم من العلم والفضل ما لم يؤت أحداً من العالمين ، وجعلهم الأدلاء على مرضاته والقادة إلى طاعته ، فهم جميعاً مصابيح الأمم ، ومفاتيح الكرم ، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فهم السادة الشفعاء ، وحملة لواء الحمد ، قد منحهم الله الفردوس الأعلى يتبوّؤون فيه حيث ما يشاؤون ، وحفل كلامه بالثناء على الشيعة ، وتنبأ أن لهم السيادة والحكم بعد لظى النيران ، وأن ذلك بعد خروج الإمام المهدي عليه السلام .

وصيته لشيعته :

وزود الإمام عليه السلام شيعته بهذه الوصية الحافلة بالنصائح الرفيعة ، والمواعظ الحسنة ، وهذا نصها :

«أوصيكم بتقوى الله ، والورع في دينكم ، والاجتهاد لله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برأو فاجر ، وطول السجود ، وحسن الجوار ، فبهذا جاء محمد (ص) ، صلوا في عشائرهم ، واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم ، وأدوا حقوقهم ، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه ، وصدق في حديث ، وأدى الأمانة ، وحسن خلقه مع الناس ، قيل : هذا شيعي فيسرني ذلك .

اتقوا الله ، وكونوا زيناً ، ولا تكونوا شيناً ، جروا إلينا كل مودة ، وارفعوا

---

(١) البحار ٣٣٨/٧٨ .

عنا كل قبيح ، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله ، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك . لنا حق في كتاب الله ، وقرابة من رسول الله (ص) ، وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذب ، أكثروا ذكر الله ، وذكر الموت ، وتلاوة القرآن والصلاة على النبي (ص) فإن في الصلاة على رسول الله (ص) عشر حسنات ، احفظوا ما وصيتكم به ، واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام . . »[1] .

حفلت هذه الوصية بروائع التربية الإسلامية التي تزدهر بها شخصية الإنسان المسلم ، وترفعه إلى ذروة الفضيلة والكمال ، فقد أوصى شيعته بالتحلي بما يلي :

١ ـ تقوى الله

٢ ـ الورع عن محارم الله .

٣ ـ صدق الحديث .

٤ ـ أداء الأمانة .

٥ ـ حسن الجوار .

٦ ـ حسن السلوك ، وطيب المعاشرة مع الطوائف الإسلامية ، والاندماج معها ليكون الشيعي بذلك أنموذجاً رائعاً للقيم الإسلامية وتجسيداً حياً لمبادىء أهل البيت عليهم السلام .

٧ ـ الإكثار من ذكر الله ، وذكر الموت ، فإنهما خير ضمان لسلامة الإنسان من السلوك في منعطفات التيه ، وسبل الضلال .

٨ ـ تلاوة القرآن الكريم ، ومن الطبيعي أن يكون ذلك بتمعن فتزكو النفس ، وتخلق فيها طاقات ندية من الوعي والإيمان . . هذه بعض محتويات

---

(١) بحار الأنوار ٣٧٢/٧٨ .

وصيته عليه السلام .

نصيحة قيمة :

وزود الإمام بعض أصحابه بهذه النصيحة القيمة ، والحكمة البالغة ، قال (ع) :

«ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك ، فإن لكل يوم خيراً جديداً ، والالحاح في المطالب يسلب البهاء إلا أن يفتح لك باب يحسن الدخول فيه ، فما أقرب الصفح من الملهوف ، وربما كانت الغير نوعاً من آداب الله عز وجل ، وللحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة لم تدرك فإنها تنال في أوانها، والمدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح لك فيه ، فثق بخبرته في أمورك ، ولا تعجل حوائجك في أول وقتك فيضيق قلبك ، ويغشاك القنوط ، واعلم أن للحياء مقداراً فإن زاد على ذلك فهو ضعف، وللجود مقداراً فإن زاد على ذلك فهو سرف ، وللاقتصاد مقداراً فإن زاد عليه فهو بخل ، وللشجاعة مقداراً فإن زاد فهو التهور . . »[1] .

ما أعظم هذه الحكم الخالدة التي حوت كل ما يسمو به الإنسان من القيم ، وقواعد الأخلاق ، وكان من بينها ما يلي :

١ ـ تحمل الضيق ، والترفع عن مسألة الغير فإنها توجب الذل والهوان .

٢ ـ التحذير من الالحاح في طلب الحاجة فإن ذلك مما يوجب سلب البهاء .

٣ ـ النهي عن العجلة التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى المضاعفات السيئة ، وينبغي التروي في الأمور ، وايكالها إلى الله تعالى فهو المدبر .

٤ ـ عدم الزيادة في الحياء على القدر المتعارف لأنه ينم عن ضعف الشخصية

---

(١) نزهة الناظر في تنبيه الخواطر (ص ٥٠ ـ ٥١).

وخورها .

٥ ـ إن للكرم حداً بما هو المتعارف بين الناس ، فإن زاد عليه فهو تبذير وإسراف .

٦ ـ إن للاقتصاد في معيشة الإنسان حداً ، فإذا تجاوز ذلك ، وقتر على نفسه ، وضيق على عياله ، فهو البخل .

٧ ـ إن للشجاعة مقداراً فإذا تجاوز الإنسان ذلك فيكون متهوراً ، ومذموماً .

وعظ وارشاد :

كان الإمام أبو محمد يعظ أصحابه ، ويذكرهم الدار الآخرة ، ويحذرهم من فتن الدنيا وغرورها ، ومن وعظه :

إنكم في آجال منقوصة ، وأيام معدودة ، والموت يأتي بغتة ، من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، لكل زارع ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، من أعطي خيراً فالله أعطاه ، ومن وقي شراً فالله وقاه . . »[1] .

وحكت هذه الكلمات واقع الحياة ، فإن الإنسان ـ كما يقول الإمام ـ أيامه معدودة لا يتجاوزها ، ولا ينقصها ، والموت يأتيه بغتة والجدير بمن كان هذا حاله أن لا يغتر ، ولا يتطاول على غيره ، وليكن على يقين أنه يجازى بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

التفكير في أمر الله :

ودعا الإمام عليه السلام إلى التفكر في أمر الله الهادف إلى الإيمان، قال عليه السلام : «ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة ، وإنما العبادة كثرة التعبد:

---

(١) البحار : ٣٣٨/٧٨.

التفكـر في أمر الله . . »[1] .

لقـد وضع الإمـام عليه السـلام في أحاديثـه القواعـد التي يتركـز عليهـا الإيمان بالله ، ومن أهمها التمعن في أمر الله ، والنظر في بدائع صنعـه ، فإن ذلك مما يدفع إلى الإيمان المطلق بالخالق العظيم .

الحكمة في تشريع الصوم :

سأله جعفر بن محمد بن حمزة العلوي عن الحكمة في تشريع الصوم ، فأجابه عليه السلام : «فرض الله تعالى الصوم ، ليجد الغني مس الجوع فيحنو على الفقير . . »[2] .

لقد تحدث الإمـام عليه السـلام عن الحكمة في تشـريع الصـوم بأوجـز كلمـة ، وأبلغ بيان ، فـالصوم يـدفع الغني إلى إسعـاف الفقيـر ، والبـر بـه ، بالإضافة إلى ما يترتب عليه من روحانية وفوائد صحية هائلة .

ذم المنافق :

وذم الإمـام عليه السـلام المنافق ، فقـال : «بئس العبد عبـداً يكـون ذا وجهين ، وذا لسانين ، يطري أخاه شاهـداً ، ويأكله غـائباً إن أعـطي حسده ، وإن ابتلي خانه . . »[3] .

إن النفاق يجعل صاحبه كذاباً ، وخائناً ، وغادراً ، كما يجعله بعيداً كل البعد عن كل حق وصواب ، ومن مظاهر خبثه أنه يتوصل بالنفـاق إلى أطماعـه غير المشروعة .

---

(١) البحار : ٣٧٣/٧٨ .

(٢) كشف الغمة : ١٩٣/٣ ، من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٤٣ .

(٣) البحار ٣٧٣/٧٨ .

حب الأبرار وبغض الفجار لهم :

وتحدث الإمام عليه السلام عن حب الأبرار، وبغض الفجار لهم، فقال: «حب الأبرار للأبرار فضيلة للأبرار ، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار ، وبغض الأبرار للفجار خزي للفجار . .»[1] .

بدائع الحكم القصار :

وأثرت عن الإمام أبي محمد عليه السلام كوكبة من بدائع الحكم القصار ، وهذه بعضها :

١ ـ قال عليه السلام : «إذا كان المقتضي كائناً فالضراعة لماذا ؟ . . .»[2].

إن الأمور إذا كانت تسير بمشيئة الله وإرادته التي هي كائنة حقاً فما الداعي لأن يضرع للإنسان لغيره ؟

٢ ـ قال عليه السلام : «المؤمن بركة على المؤمن ، وحجة على الكافر . .» .

٣ ـ قال عليه السلام : «قلب الأحمق في فمه ، وفم الحكيم في قلبه . .» .

٤ ـ قال عليه السلام : «الغضب مفتاح كل شر . .» .

٥ ـ قال عليه السلام : «أقل الناس راحة الحقود . .» .

٦ ـ قال عليه السلام : «أورع الناس من وقف عند الشبهة ، أعبد الناس من أقام على الفرائض ، أزهد الناس من ترك الحرام ، أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب . . . .»

٧ ـ قال عليه السلام : «لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض . .» .

٨ ـ قال عليه السلام : «من تعدى في ظهوره كان كناقصه . .» .

٩ ـ قال عليه السلام : «ما ترك الحق عزيز إلا ذل ، ولا أخذ به ذليل إلا

---

(١) المجالس السنية: ٢/٦٦٣ .

(٢) نزهة الناظر في تنبيه الخواطر (ص ٥١).

عز . .» .

١٠ ـ قال عليه السلام : «صديق الجاهل تعب . .» .

١١ ـ قال عليه السلام : «خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله ، ونفع الإخوان . .» .

١٢ ـ قال عليه السلام : «جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره . .» .

١٣ ـ قال عليه السلام : «ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون . .» .

١٤ ـ قال عليه السلام : «خير من الحياة ما إذا فقدته بغضت الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل لك أحببت الموت . .» .

١٥ ـ قال عليه السلام : «رياضة الجاهل ، ورد المعتاد عن عاداته كالمعجز . .» .

١٦ ـ قال عليه السلام : «التواضع نعمة لا يحسد عليها . .» .

١٧ ـ قال عليه السلام : «لا تكرم الرجل بما يشق عليه . .» .

١٨ ـ قال عليه السلام : «من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه . .» .

١٩ ـ قال عليه السلام : «ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله . .» .

٢٠ ـ قال عليه السلام : «كفاك أدباً تجنبك ما تكره من غيرك . .» .

٢١ ـ قال عليه السلام : «احذر كل ذكي ساكن الطرف . .» .

٢٢ ـ قال عليه السلام : «لو عقل أهل الدنيا خربت . .» .

٢٣ ـ قال عليه السلام : «أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته . .» .

٢٤ ـ قال عليه السلام : «خير أخوانك من نسي ذنبك إليه وذكر إحسانك إليه» .

٢٥ ـ قال عليه السلام : «حسن الصورة جمال ظاهر ، وحسن العقل جمال باطن . .» .

٢٦ ـ قال عليه السلام : «من أنس بالله استوحش من الناس . .» .
٢٧ ـ قال عليه السلام : «من لم يتق وجوه الناس ، لم يتق الله . .» .
٢٨ ـ قال عليه السلام : «جعلت الخبائث في بيت ، وجعل مفتاحه الكذب . .» .
٢٩ ـ قال عليه السلام : «إذا نشطت القلوب فأودعوها ، وإذا نفرت فودعوها . .» .
٣٠ ـ قال عليه السلام : «اللحاق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شره . .» .
٣١ ـ قال عليه السلام : «الجهل خصم ، والحلم حكم ، ولم يعرف راحة القلب من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ . .» .
٣٣ ـ قال عليه السلام : «نائل الكريم يحببك إليه ونائل اللئيم يضعك لديه . .» .
٣٤ ـ قال عليه السلام : «من كان الورع سجيته والافضال حليته انتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه ، وتحصن بالذكر الجميل من وصول نقص إليه . .» .
٣٥ ـ قال عليه السلام : «من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم . .» .
٣٦ ـ قال عليه السلام : «لا يعرف النعمة إلا الشاكر ، ولا يشكر النعمة إلا العارف . .» .
٣٧ ـ قال عليه السلام : «السهر ألذ للمنام ، والجوع أزيد في طيب الطعام . .» .
٣٨ ـ قال عليه السلام : «إن الوصول إلى الله عز وجل سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل . .» .
٣٩ ـ قال عليه السلام : «من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطي . .» .
٤٠ ـ قال عليه السلام للمتوكل : «لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه ولا

النصح من صرفت سوء ظنك إليه ، فإنما قلب غيرك لك كقلبك له . .» .

٤١ ـ قال عليه السلام : «من الجهل الضحك من غير عجب . .» .

٤٢ ـ قال عليه السلام : «إن لكلام الله فضلاً على الكلام كفضل الله على خلقه ؛ ولكلامنا فضل على كلام الناس كفضلنا عليهم . .» .

٤٣ ـ قال عليه السلام : «من التواضع السلام على كل من تمر به ، والجلوس دون شرف المجلس . .» .

٤٤ ـ قال عليه السلام : «أولى الناس بالمحبة من أملوه . .» .

٤٥ ـ قال عليه السلام : «من الفواقر[1] التي تقصم الظهر جار إن رأى حسنة أطفأها ، وإن رأى سيئة أفشاها» .

٤٦ ـ قال عليه السلام : «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها . .» .

٤٧ ـ قال عليه السلام : «لا تمار فيذهب بهاؤك ، ولا تمازح فيجترأ عليك . .» .

٤٨ ـ قال عليه السلام : «من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم من المجلس . . .» .

٤٩ ـ قال عليه السلام : «الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة . .» .

٥٠ ـ قال عليه السلام : «للقلوب خواطر من الهوى ، والعقول تزجر ، وتزاد في التجارب علماً مستأنفاً ، والاعتبار يفيد الرشاد . .» .

٥١ ـ قال عليه السلام : «المقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة ، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره والمطالبة . تذلل للمقادير نفسك ، واعلم أنك غير نايل بالحرص إلا ما كتب لك . .» .

---

(١) الفواقر : جمع فاقرة : الداهية العظيمة.

لقد اهتم أئمة أهل البيت عليهم السلام اهتماماً بالغاً بتفسير القرآن الكريم ، فكل واحد منهم هو صاحب مدرسة في التفسير ، ومن المقطوع به أنهم أدرى بما في القرآن وأعلم بعمومه وخصوصه ، ومطلقه ومقيده ، وناسخه ومنسوخه ، وكان سيد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعلم من سائر الصحابة بحقائق القرآن ودقائقه ، ومحكمه ومتشابهه ، ويعلم وقت نزول آياته حسبما صرح به عليه السلام .

أما الإمام أبو محمد الحسن عليه السلام فكان من أئمة المفسرين ، وقد أثر عنه تفسير خاص عرف بتفسير الإمام العسكري ، وقبل أن نتحدث عنه نلمح إلى كوكبةٍ من الآيات الكريمة التي فسرها ، وفي مايلي ذلك :

١ ـ روى الثقة الأمين أبو هاشم الجعفري قال : كنت عند أبي محمد عليه السلام فسألته عن قول الله عز وجل : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله . . .** ﴾ (١) فقال : إنها وردت في آل محمد (ص) (١) فالظالم لنفسه الذي لا يقر بالإمام ، والمقتصد العارف بالإمام ، والسابق بالخيرات بإذن

(١) سورة فاطر : آية ٣٢ .

الله الإمام عليه السلام . قال أبو هاشم : فدمعت عيناي وجعلت أفكر في نفسي ما أعطى الله آل محمد (ص) فنظر إلي الإمام وقال : عظم ما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد ، فاحمد الله ، فقد جعلك الله متمسكاً بحبهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دُعي كل إنسان بإمامه ، فابشر يا أبا هاشم فإنك على خير[1] .

٢ ـ سأل محمد بن صالح الأرمني الإمام أبا محمد عن قول الله عز وجل : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾[2] فقال الإمام عليه السلام : هل يمحو الله إلا ما كان ، وهل يثبت إلا ما لم يكن ، . . . تعالى الجبار ، العالم بالأشياء قبل كونها ، الخالق ، إذلا مخلوق ، الديان .

وانبرى محمد بن صالح ، فقال : أشهد أنك حجة الله ووليه وإنك على منهاج الحق الإمام أمير المؤمنين[3] .

٣ ـ سأل محمد بن صالح الأرمني الإمام أبا محمد عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد** ﴾[4] فقال الإمام أبو محمد عليه السلام : له الأمر من قبل أن يأمر به ، وله الأمر من بعد أن يأمر بما يشاء ، فقلت في نفسي : هذا قول الله : ﴿ **ألآ له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾[5] فنظر إلى الإمام وتبسم ، ثم قال : له الخلق والأمر

(١) الثاقب في المناقب (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢) للجرجاني .
(٢) سورة الرعد: آية ٣٩.
(٣) الثاقب في المناقب (ص ٢٤٢) كشف الغمة ٣/٢٠٩ .
(٤) سورة الروم : آية ٤ .
(٥) سورة الأعراف : آية ٥٤.

تبارك الله رب العالمين [1] .

٤ ـ قال أبو هاشم : كنت عند أبي محمد عليه السلام فسأله ابن صالح الأرمني عن قول الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا** ﴾ [2] .

قال الإمام أبو محمد عليه السلام : ثبتت المعرفة ، ونسوا ذلك الموقف ، وسيذكرونه ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ، ولا من رازقه .

قال أبو هاشم : فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه ، وجزيل ما حمله ، فأقبل أبو محمد علي ، فقال : الأمر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم ، ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله ، ومن أنكرهم أنكر الله ، فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق ، وبمعرفتهم موقن [3] .

٥ ـ روى سفيان بن محمد الصيفي ، قال : كتبت إلى الإمام أبي محمد عليه السلام أسأله عن الوليجة في قول الله عز وجل : ﴿ **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** ﴾ وقلت في نفسي : من يرى المؤمن هاهنا ؟ ، فرجع الجواب : الوليجة التي تقام دون ولي الأمر ، وحدثتك نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضع ، فهم الأئمة الذين يؤمنون بالله فنحن هم .

ونكتفي بهذه النماذج اليسيرة من تفسيره لبعض الآيات الكريمة .

---

(١) كشف الغمة : ٣/٢١٠ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .

(٣) كشف الغمة : ٣/٢١٠ .

التفسير المنسوب إليه :

ونُسب إلى الإمـام أبي محمـد عليـه السـلام التفسيـر المسمى (بتفسيـر العسكري) وقد حامت حوله الظنون ، واحتفَّت به الشكوك ، فأثبتـه قوم أنـه له ونفاه عنه آخـرون ، ولا بد لنـا من وقفة قصيـرة للنظر والتـأمل فيه .

المعتمدون عليه :

اعتمـد على هذا التفسير جماعة من كبار علماء الإمامية ، وآمنوا بصحـة نسبته إلى الإمام أبي محمد عليه السلام ، وفي ما يلي بعضهم :

١ ـ الشيخ الصدوق [١] .

٢ ـ الشيخ الطبرسي [٢] .

٣ ـ المحقق الكركي [٣] .

٤ ـ الشهيد الثاني [٤] .

٥ ـ محمد تقي المجلسي [٥] .

٦ ـ ابن شهراشوب [٦] .

٧ ـ المحقق أغابزرك [٧] .

فهؤلاء الأعـلام لـم يشكوا في نسبـة هـذا التفسيـر إلى الإمـام ، وأرسلوا

---

(١) من لا يحضره الفقيه .

(٢) الاحتجاج .

(٣) إجازته لصفي الدين .

(٤) المنية .

(٥) شرح المشيخة .

(٦) المناقب .

(٧) الذريعة ٤/٢٨٥ .

نسبته إليه إرسال المسلمات .

سنده :

أما سند هذا التفسير وبعض الخصوصيات فقد تصدر الكتاب ، وهذا نصه : قال محمد بن علي بن محمد ، بن جعفر بن دقاق ، حدثني الشيخان الفقيهان :

أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان، وأبو محمد جعفر بن محمد ابن علي القمي ، قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم المفسر الأسترابادي الخطيب رحمه الله ، قال : حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد ، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار، وكانا من الشيعة الإمامية قالا : كان أبوانا إماميين ، وكانت الزيدية هم الغالبون في استرباد ، وكنا في إمارة الحسن بن زيد العلوي الملقب بالداعي إلى الحق ، إمام الزيدية (١) وكان كثير الإصغاء إليهم يقتل الناس لسعاياتهم ، فخشيناهم على أنفسنا فخرجنا بأهالينا إلى حضرة الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن محمد أبي القائم عليه السلام وأنزلنا عيالاتنا في بعض الخانات ، ثم استأذنا على الإمام الحسن بن علي ، فلما رآنا قال : مرحباً بالآويين إلينا الملتجئين إلى كنفنا ، قد تقبل الله سعيكما ، وأمَّنَ روعتكما ، وكفاكما أعداءكما ، فانصرفا آمنين على أنفسكما وأموالكما . فعجبنا من قوله ذلك مع أنا لم نشك في صدق مقاله ، فقلنا : فماذا تأمرنا أيها الإمام أن نصنع في طريقنا إلى أن ننتهي إلى بلد خرجنا منه ، وكيف ندخل من ذلك البلد ، ومنه هربنا ، وطلب سلطان البلد لنا حثيث ، ووعيده إيانا شديد ؟

فقال عليه السلام : خلفا علي ولديكما هذين لأفيدهما العلم الذي يشرفهما الله به ، ثم لا تحفلا بالسعاة ، ولا بوعيد المسعي إليه فإن الله عز

---

(١) قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٧٤) إن الحسن بن زيد ظهر بطبرستان سنة (٢٥٠ هـ) ومات مملكاً عليها سنة (٢٧٠ هـ).

وجل يتمم السعادة ، ويلجئهم إلى شفاعتكم فيه عند من قد هربتم منه . . . قال أبو يعقوب وأبو الحسن : فائتمروا بما أمرا وخرجا ، وخلفانا هناك فكنا نختلف إليه ، فيلقانابِبر الآباء ، وذوي الأرحام الماسة ، فقال لنا ذات يوم : إذا أتاكما خبر كفاية الله عز وجل أبويكما ، واخزائه أعداءهما، وصدق وعدي إياهما جعلت من شكر الله عز وجل أن أفيدكما تفسير القرآن ، مشتملاً على بعض أخبار آل محمد (ص) ، فيعظم الله تعالى شأنكما . قالا : ففرحنا ، وقلنا : يابن رسول الله فإذاً نأتي بجميع علوم القرآن ومعانيه . قال : كلا إن الصادق علم ما أريد أن أعلمكما بعض أصحابه ففرحا بذلك وقالا : يابن رسول الله قد جمعت علوم القرآن كله ، فقال : قد جمعت خيراً كثيراً ، وأوتيت فضلاً واسعاً ، ولكنه مع ذلك أقل قليل أجزاء علم القرآن ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾ (١) ويقول : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** ﴾ (٢) وهذا علم القرآن ومعانيه ، وما أودع من عجائبه ، فكيف ترى (٣) مقدار ما أخذته من جميع هذا القرآن، قالا: ولكن القدر الذي أخذته فقد فضلك الله به على كل من لا يعلم كعلمك ، ولا يفهم كفهمك .

قالا : فلم نبرح من عنده حتى جاءنا فيج (٤) قاصداً من عند أبوينا بكتاب ، يذكر فيه أن الحسن بن زيد العلوي قتل رجلاً بسعاية أولئك الزيدية ، واستصفى ماله ، ثم أتته الكتب من النواحي والأقطار المشتملة على

---

(١) سورة الكهف : ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان : ٢٧ .

(٣) في نسخة (فكم قد ترى) .

(٤) الفيج : كلمة فارسية معربة ، جمعها فيوج ، وهو الذي يسعى على رجليه : الصحاح .

خطوط الزيدية بالعذل الشديد والتوبيخ العظيم ، يذكر فيها أن ذلك المقتول كان أفضل زيدي على ظهر الأرض ، وإن السعاة قصدوه لفضله وثروته ، فشكر لهم وأمر يقطع آنافهم وآذانهم ، وأن بعضهم قد مُثل به لذلك وآخرين قد هربوا ، وأن العلوي ندم واستغفر ، وتصدق بالأموال الجليلة بعد أن رد أموال ذلك المقتول على ورثته، وبذل لهم أضعاف دية المقتول ، واستحلهم ، فقالوا : أما الدية فقد أحللناك منها ، وأما الدم فليس إلينا إنما هو إلى المقتول ، والله الحاكم ، وأن العلوي نذر لله عز وجل أن لا يتعرض للناس في مذاهبهم ، وفي كتاب أبويهما أن الداعي إلى الحق الحسن بن زيد قد أرسل إلينا ببعض ثقاته ، بكتابه وخاتمه بأمانه لنا ، وضمن لنا رد أموالنا ، وجبر النقص الذي لحقنا فيها ، وإنا صائران إلى البلد ، ومتنجزان ما وعدنا .

فقال الإمام : إن وعد الله حق ، فلما كان اليوم العاشر جاءنا كتاب أبوينا أن الداعي إلى الحق قد وفى لنا بجميع عداته ، وأمر لنا بملازمة الإمام العظيم البركة ، الصادق الوعد ، فلما سمع الإمام بهذا قال : هذا حين إنجازي ما وعدتكما من تفسير القرآن ، ثم قال : قد وظفت لكما كل يوم شيئاً منه تكتبانه ، فالزماني ، وواظبا على توقير الله تعالى من السعادة حظوظكما ، فأول ما أملى علينا أحاديث في فضل القرآن وأهله ، ثم أملى علينا التفسير بعد ذلك، فكتبنا في مدّة مقامنا عنده ، وذلك لسبع سنين نكتب في كل يوم مقدار ما ننشط له . . . » .

المؤاخذات :

وتواجه هذا التفسير عدة من المؤاخذات وهي :

أولاً : أنه مني بضعف السند ، فقد جاء في طريقه محمد بن القاسم المفسر الاسترابادي ، وهو ضعيف ، قال ابن الغضايري : محمد بن القاسم المفسر الاسترابادي روى عنه أبو جعفر بن بابويه . ضعيف كذاب ، روى عنه

تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين ، أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد ، والآخر علي بن محمد بن يسار عن أبيهما عن أبي الحسن الثالث عليه السلام ، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه [1] .

وما ذكره ابن الغضايري مردود من جهات : الأولى : إنه ذكر أن هذا التفسير رواه يوسف بن محمد بن زياد ، وعلي بن محمد بن يسار عن أبويهما، وهذا سهو لأنهما لم يروياه على أبويهما وإنما روايا بلا واسطة عن الإمام أبي محمد عليه السلام . الثانية : أن ابن الغضايري نسب هذا التفسير إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام مع أنه منسوب إلى الإمام أبي محمد عليه السلام . الثالثة : أنه ذكر أن هذا التفسير وضعه سهل الديباجي عن أبيه ، وهذا غريب لأن سهلاً لم يقع في سند هذا التفسير وعلى أي حال فما ذكره ابن الغضايري في تضعيف الرجل لا يمكن التعويل عليه ، وقال الأستاذ الخوئي : إن محمد بن القاسم لم ينص على توثيقه أحد من المتقدمين حتى الصدوق قدس سره الذي أكثر الرواية عنه بلا واسطة وكذلك لم ينص على تضعيفه . . . والصحيح أن الرجل مجهول الحال ، لم يثبت وثاقته ، ولا ضعفه [2] ، وعلى هذا فلا يمكن الاعتماد على روايته .

ومضافاً إلى ذلك فإن المفسر الاسترباذي يروي هذا التفسير عن يوسف بن محمد بن زياد ، وعلي بن محمد بن سيار ، وكلاهما مجهول ، ولا يعتد بروايتهما عن الإمام أبي محمد عليه السلام كما يقول الأستاذ الخوئي [3] .

---

(١) معجم رجال الحديث : ١٧/ ١٧٣ .

(٢) معجم رجال الحديث : ١٧/ ١٧٤ .

(٣) معجم رجال الحديث : ١٢/ ١٥٩ .

ثانياً : إن هذا التفسير قد مني بكثير من التفكك ، والفجوات في أثنائه مما يدل على عدم صحة نسبته إلى الإمام أبي محمد عليه السلام ، والناظر فيه لا يشك في أنه موضوع على الإمام كما يقول الأستاذ الخوئي .

ثالثاً : إن الإمام أبا محمد عليه السلام كان محاطاً بقوى مكثفة من الأمن ، من قبل الحكومة العباسية ، وقد منعت وصول الشيعة إليه ، فكيف يتردّد هذان الشخصان إليه طيلة سبع سنين ، دون أن يمنعا من الوصول إليه ؟

رابعاً : أن اهتمام الإمام عليه السلام بشأن الرجلين وطلبه من أبويهما إبقاءهما عنده لإفادتهما العلم الذي يشرفهما الله به ـ كما جاء في مقدمة الكتاب ـ وهما مجهولان لم يعلم حالهما ، فهلّا خص بهذا الشرف كبار العلماء والفقهاء من شيعته ؟

وعلى أي حال فإن من المؤكد أن هذا التفسير ليس للإمام أبي محمد عليه السلام ، وإنما هو من الموضوعات والمختلقات . وبالإضافة إلى ما يواجهه من المؤاخذات التي ذكرناها فإنه قد مني بعدم الفصاحة في كثير من فصوله ، ومن الطبيعي أن ذلك يتنافى مع مركز الإمام الذي أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، وهو أبلغ إنسان في عصره ، فكيف ينسب إليه هذا التفسير الذي لا يحمل أي سمة من سمات البلاغة ؟ ومضافاً إلى ذلك فإن فيه بعض الأحاديث التي لا تخلو من غلو حسب ما أعتقد ، وهو بعيد كل البعد عن الإمام عليه السلام .

أَحَادِيثُه وَفِقهُه

أجمع الرواة على أن الإمام أبا محمد عليه السلام كان ـ في عصره ـ من أثرى الشخصيات العلمية في مواهبه وعبقرياته ، فلم يدانه أحد في فضله وعلمه ، وكان كما يقول المؤرخون : المرجع الأعلى للفقهاء في أخذ أحكام الشريعة ومعالم الدين منه ، وكانوا يعرضون عليه بعض مؤلفات الحديث والفقه ، فإذا أجازها عملوا بها ، وقد عرض عليه كتاب لأحمد بن عبد الله بن خانبة ، فقرأه ، وقال لأصحابه : إنه صحيح فاعملوا به [1] . وفي ما يلي عرض موجز لبعض أحاديثه وفقهه .

اهتمام العلماء برواياته :

اهتم العلماء والرواة برواياته لأنها حازت قصب السبق في الصدق ، وفي نفس الوقت إنها من السنة القطعية التي يجب الأخذ بها حسب اعتقاد الشيعة الإمامية ، وكان من بين ما روي عنه من الأحاديث :

١ ـ روى الحافظ البلاذري عن رجاله ، قال : حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن موسى إمام عصره عند الإمامية بمكة

(١) فلاح السائل .

قـال : حـدثني أبي محـمـد بن علي المحجـوب ، قـال : حـدثني أبي علي بن مـوسى الرضـا ، قال : حـدثني أبي موسى بن جعفـر المرتضى ، قـال : حدثني أبي جعفـر الصـادق ، قـال : حـدثني أبي محمـد بن علي الباقـر قال : حدثني أبي علي بن الحسين السجاد زين العابدين ، قـال : حدثني أبي علي بن أبي طالب سيـد الأوصياء ، قـال : حدثني محمـد بن عبد الله سيد الأنبياء ، قال : حدثني جبرئيـل سيد المـلائكة ، قـال : قال الله عـز وجـل : إني أنـا الله لا إلـه إلا أنـا فمن أقـر لي بـالتـوحيـد دخـل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي (١) .

٢ ـ روى ابن الجـوزي الحديث التـالي : قال : «أسنـد ـ أي الإمـام الحسن ـ الحديث عن أبيه ، عن آبائه الطاهرين ، وأخرج له جدي حديثاً في كتابـه المسمى بتحريم الخمر ، نقلت هـذا الحديث ، وأشهـد بالله أني سمعتـه يقول : أشهد بالله لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي يقـول : أشهد بالله لقد سمعت عبد الله بن عطا الهـروي يقول : أشهـد بالله لقـد سمعت عبد الرحمن بن عبيد البيهقي يقول : أشهـد بالله لقـد سمعت أبا عبـد الله الحسين بن محمـد الدينـوري يقول : أشهـد بـالله لقـد سمعت أحمـد بن عبـد الله الشيعي يقول : أشهـد بـالله لقـد سمعت أبـا محمـد بن علي بن محمد يقول : أشهد بالله لقـد سمعت أبي علي بن موسى الـرضا يقـول : أشهد بالله لقد سمعت أبي جعفر يقول : أشهد بالله لقـد سمعت أبي محمـد يقول : أشهد بالله لقد سمعت أبي الحسين بن علي يقول : أشهد بالله لقـد سمعت علي بن أبي طـالب يقول : أشهـد بالله لقـد سمعت محمـد (ص) يقول(٢) : أشهد بـالله لقد سمعت ميكـائيل يقـول : أشهد بـالله لقد سمعت إسرافيل يقول : أشهد بالله علي في اللوح المحفوظ أنه قال : لقد سمعت

---

(١) أعيان الشيعة ٤/ق ٣ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

(٢) يظهر أنه قد سقطت العبارة : أشهد بالله لقد سمعت جبرئيل يقول : . . . .

الله يقول : شارب الخمر كعابد وثن .

قال أبو نعيم : الفضل بن دكين ، هذا حديث صحيح روته العترة الطيبة الطاهرة ، ورواه جماعة عن رسول الله (ص) (١) . هذه بعض الأحاديث التي رويت عن الإمام أبي محمد عليه السلام .

ما روي عنه في الأحكام :

نقل الرواة طائفة من الأحكام الشرعية التي سئل عنها الإمام أبو محمد عليه السلام فأجاب ، ومن الجدير بالذكر أنها لم تكن مشافهة ، وإنما كانت بالكتابة ، وهذا يدل على مدى الضغط الهائل الذي أحاط بالإمام عليه السلام من قبل الحكم العباسي ، بحيث لم يتمكن العلماء من الاتصال به إلا عن طريق الكتابة ، وفي ما يلي بعض تلك المسائل :

١ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام كم حد الماء الذي يغسل به الميت ، كما رووا أن الجنب يغتسل بستة أرطال من ماء ، والحائض بتسعة أرطال ، فهل للميت حد من الماء الذي يغسل به ؟ .

فوقع الإمام عليه السلام حد غسل الميت يغسل حتى يطهر إن شاء الله تعالى . . .

وقال أبو جعفر الصدوق نضّر الله مثواه : وهذا التوقيع في جملة توقيعاته عندي بخطه عليه السلام في صحيفة (٢) .

ودلت هذه المكاتبة على نفي الحد والمقدار عن الماء الذي يغسل به

(١) مرآة الزمان ٦/ ورقة ١٩٢ مصور .
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٨٦/١. الاستبصار : ١٩٥/١ التهذيب: ١٢٢/١.

الميت ؛ فهو يغسل حتى يطهر ، وبذلك يفترق عن غسل الجنب والحائض ، فإن الماء قد حد فيهما .

٢ ـ كتب إبراهيم بن مهزيار إلى أبي محمد الحسن عليه السلام يسأله عن الصلاة في (القرمز) فإن أصحابنا يتوقفون عن الصلاة فيه ، فكتب : لا بأس فيه مطلقاً والحمد لله . ؛ [(١)] .

أما القرمز فهو صبغ أرمني يتخذ من عصارة دود [(٢)] ولا مانع من لبسه ، وإنما الممنوع هو لبس الحرير .

٣ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنه إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام في رجل مات ، وعليه قضاء من شهر رمضان عشرة أيام ، وله وليان هل يجوز لهما أن يقضيا عنه جميعاً خمسة أيام أحد الوليين وخمسة أيام الآخر فوقع عليه السلام يقضي عنه أكبر وليه عشرة أيام ولاءً إن شاء الله .

قال الشيخ الصدوق : وهذا التوقيع عندي مع توقيعاته إلى محمد بن الحسن الصفار [(٣)] .

وعلى ضوء هذه الرواية أفتى المشهور من فقهاء الإمامية بوجوب القضاء على الولد الأكبر عما فات أباه من الفرائض اليومية وغيرها إلا أنهم لم يلتزموا بوجوب التابع في القضاء .

٤ ـ كتب إبراهيم بن مهزيار إلى أبي محمد عليه السلام : أعلمك يا مولاي أن

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١٧١/١ .

(٢) مجمع البحرين .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٩٨/٢ التهذيب : ٤٠٢/١ الاستبصار : ١٠٨/٢ .

مولاك علي بن مهزيار أوصى بأن يحج عنه من ضيعة صيّر ريعها لك حجة في كل سنة بعشرين ديناراً ، وأنه منذ انقطع طريق البصرة تضاعفت المؤونة على الناس ، فليس يكتفون بعشرين ديناراً ، وكذلك أوصى عدة من مواليك في حجتين ، فكتب عليه السلام تجعل ثلاث حجج حجتين إن شاء الله تعالى (١) .

ودلت هذه المكاتبة ـ بوضوح ـ على أن الوصية بصرف مقدار معين من المال في الحج سنين متعددة ، وعدم كفايته لكل سنة ، فإن الوصية لا تلغى وإنما يصرف نصيب ثلاث حجج في حجتين ، وعلى ضوء هذه الرواية أفتى الفقهاء ، ولم يستندوا لقاعدة الميسور لأنها لا تجري في غير المجعولات الشرعية (٢) .

٥ ـ وكتب علي بن محمد الحضيني إلى الإمام أبي محمد عليه السلام : إن ابن عمي أوصى أن يحج عنه بخمسة عشر ديناراً في كل سنة ، فليس يكفي ، فما تأمرني في ذلك ، فكتب عليه السلام تجعل حجتين في حجة إن الله عالم بذلك (٣) .

وهذه المكاتبة مثل المكاتبة السابقة في تنفيذ الوصية وعدم إلغائها وإنه يجعل مقدار حجتين من المال في حجة واحدة .

٦ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنه إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام : هل تقبل شهادة الوصي للميت بدين له على رجل مع شاهد عدل ؟ فوقع عليه السلام : إذا شهد معه عدل فعلى المدعي

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٢/ ٢٧٢ .
(٢) العروة الوثقى كتاب الوصية .
(٣) من لا يحضره الفقيه : ٢/ ٢٧٢ .

اليمين .

وكتب إليه أو تقبل شهادة الوصي على الميت بدين مع شاهد آخر عدل ؟ فوقع عليه السلام : نعم من بعد يمين (١) .

وإلى هاتين الروايتين استند فقهاء الإمامية في فتواهم في أن الدعوى إذا كانت على ميت فلا تحسم ببينة المدعي بل لا بد من ضم اليمين إليها ، بخلاف الدعوى على الحي فإنها تحسم بالبينة ولا تحتاج إلى اليمين .

٧ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار إلى أبي محمد عليه السلام رجل أوصى إلى ولده وفيهم كبار قد أدركوا ، وفيهم صغار ويجوز للكبار أن ينفذوا وصيته ، ويقضوا دينه لمن صح على الميت بشهود عدول قبل أن يدرك الأوصياء الصغار ، فوقع عليه السلام : نعم على الأكابر أن يقضوا دين أبيهم ، ولا يحبسوه بذلك (٢) . وهذه الرواية وإن كانت مطلقة من حيث اليمين إلا أنها تقيد بالصحيحة الأولى التي اعتبرت ضم اليمين إلى البينة ، كما يقول بذلك الأستاذ الخوئي (٣) .

٨ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنه إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام رجل يبذ رق القوافل ـ أي يقوم بخفارتها وحراستها ـ من غير أمر السلطان في موضع مخيف ، ويشارطونه على شيء مسمى أله أن يأخذ منهم أم لا ؟ فوقع عليه السلام إذا واجر نفسه بشيء معروف أخذ حقه إن شاء الله (٤) . إن قيام الرجل بخفارة القافلة وحراستها عمل

---

(١) من لا يحضره الفقيه :٣/٤٤ .

(٢) الوسائل أحكام الوصايا .

(٣) مباني تكملة المنهاج :١/١٨ .

(٤) التهذيب : ٢/١١٥ من لا يحضره الفقيه : ٣/١٠٦ .

محترم ، ويستحق عليه الأجرة التي سميت له .

٩ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رحمه الله إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام في رجل اشترى من رجل بيتاً في دار له بجميع حقوقه ، وفوقه بيت آخر ، هل يدخل البيت الأعلى في حقوق البيت الأسفل ؟ فوقع عليه السلام : ليس له إلا ما اشتراه باسمه وموضعه إن شاء الله (١) .

وأفتى فقهاء الإمامية بأن من باع داراً دخل فيها الأرض والبناء الأعلى والأسفل إلا أن يكون الأعلى مستقلاً من حيث المدخل والمخرج فإن ذلك يكون قرينة على عدم دخوله في المبيع ، واستندوا في هذا الحكم إلى هذه الرواية .

١٠ ـ كتب إليه محمد بن الحسن الصفار رحمه الله : في رجل قال لرجلين : اشهدا أن جميع الدار التي له في موضع كذا وكذا ، بحدودها كلها لفلان بن فلان ، وجميع ما له في الدار من المتاع ، والبينة لا تعرف المتاع أي شيء هو ؟ فوقع عليه السلام يصلح إذا أحاط الشراء بجميع ذلك ، إن شاء الله (٢) .

وعلم الإمام عليه السلام من السؤال ومن قرائن خارجية أن البيع وقع على الدار ، وما فيها من متاع ، فأجاب : «يصلح إذا أحاط الشراء بجميع ذلك» .

١١ ـ كتب إليه محمد بن الحسن الصفار رحمه الله : في رجل كانت له قطاع أرضين فحضره الخروج إلى مكة ، والقرية على مراحل من منزله ، ولم يكن له من المقام ما يأتي بحدود أرضه ، وعرف حدود القرية الأربعة ،

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١٥٣/٣ التهذيب : ١٥٨/٢ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ١٥٣/٣ التهذيب: ١٥٩/٢ .

فقال للشهود : اشهدوا أني قد بعت من فلان ـ يعني المشتري ـ جميع القرية التي حدّ منها كذا ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، وإنما له في هذه القرية قطاع أرضين ، فهل يصلح للمشتري ذلك وإنما له بعض هذه القرية ، وقد أقر له بكلها ؟ فوقع عليه السلام : لا يجوز بيع ما ليس يملك ، وقد وجب الشراء من البائع على ما يملك (١) .

إن البيع إنما ينفذ في ما يملكه الإنسان ، وأما ما لا يملكه فإن البيع فيه باطل ، وقد قال الفقهاء : لا بيع إلا في ملك ، وحيث إن البيع في هذه المسألة قد وقع على جميع القرية ، فيصح في ما يملكه البائع منها، ولا يصح في ما لا يملكه، وللمشتري إذا علم بالحال خيار الفسخ .

١٢ ـ كتب محمد بن الحسن إلى الإمام أبي محمد عليه السلام : في رجل يشهده أنه قد باع ضيعة من رجل آخر وهي قطاع أرضين ، ولم يعرف الحدود في وقت ما أشهده ، وقال : إذا أتوك بالحدود فاشهد بها ، هل يجوز له أن يشهد ؟ فوقع عليه السلام نعم يجوز والحمد لله (٢) .

وتتمثل روعة الإبداع في هذه الأجوبة التي أوجز فيها الإمام عليه السلام إيجازاً وافياً في الغرض .

١٣ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رحمه الله إلى الإمام أبي محمد عليه السلام هل يجوز أن يشهد على الحدود إذا جاء قوم آخرون من أهل تلك القرية ، فشهدوا أن حدود هذه القرية التي باعها الرجل هي هذه ، فهل يجوز لهذا الشاهد الذي أشهده بالضيعة ولم يسم الحدود ، أن يشهد بالحدود بقول هؤلاء الذين عرفوا هذه الضيعة ، وشهدوا لها ؟ أم

(١) التهذيب :٢/١٥٩ من لا يحضره الفقيه : ٣/١٥٣ .
(٢) من لا يحضره الفقيه ٣/١٥٣ .

لا يجوز لهم أن يشهدوا وقد قال لهم البائع : اشهدوا بالحدود إذا أتوكم بها ؟ فوقع عليه السلام : لا يشهد إلا على صاحب الشيء وبقوله : إن شاء الله [1] .

لقد تبين الفقه الإمامي الواقعية والصدق ، وتركز على مجافاة الخداع والتضليل ، والغش ، وكان من بين ما تبناه في هذا المجال الشهادة فإنها لا بد أن تستند إلى الحس ، وتقوم على القطع واليقين لا على الاحتمال والظن ، وأن يؤدي الشاهد شهادته بالكيفية التي تلقاها ، ولا يضيف لها أي شيء .

١٤ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنه ، إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام رجل حلف بالبراءة من الله عز وجل أو من رسول الله (ص) فحنث ما توبته ، وما كفارته ؟ فوقع عليه السلام : يطعم عشرة مساكين لكل مسكين مد ويستغفر الله عز وجل [2] . وذهب فقهاء الإمامية إلى أن اليمين إنما ينعقد ، وتترتب عليه آثاره التكليفية فيما إذا تعلق بالله أو تالله ونحو ذلك ، ولا ينعقد بالبراءة من الله أو من أحد أنبيائه ، وكفارة البراءة إطعام عشرة مساكين لكل مسكين مد ، وقيل غير ذلك .

١٥ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنه إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام في امرأة طلقها زوجها ، ولم يجر عليها النفقة ، وهي محتاجة هل يجوز لها أن تخرج ، وتبيت عن منزلها للعمل

(١) التهذيب ٢ / ١٥٩ من لا يحضره الفقيه ٣ /١٥٣ .
(٢) التهذيب :٢/٣٣٢ من لا يحضره الفقيه: ٣/٢٣٧ .

والحاجة ؟ فوقع عليه السلام لا بأس بذلك إذا علم الله الصحة منها [1] .

أما المطلقة الرجعية فهي بمنزلة الزوجة ما دامت في العدة ، وتجب نفقتها على الزوج ، ويجب عليها إطاعته ، ويحرم عليها الخروج من بيته بغير إذنه ، وإذا امتنع الزوج من الإنفاق عليها ، واضطرت إلى الخروج للعمل فقد تفضل الإمام عليه السلام بجواز ذلك .

١٦ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام في امرأة مات عنها زوجها وهي في عدة منه ، وهي محتاجة لا تجد من ينفق عليها وهي تعمل للناس هل يجوز لها أن تخرج وتعمل وتبيت عن منزلها للعمل والحاجة في عدتها ؟ فوقع عليه السلام لا بأس بذلك إن شاء الله [2] . إن المتوفى عنها زوجها يجب عليها الحداد ما دامت في العدة ، وذلك بتركها للزينة في البدن واللباس ، أما خروجها من بيتها للضرورة فلا مانع منه كما أفتى الفقهاء بذلك مستندين إلى هذه الرواية .

١٧ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنه إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام : رجل أوصى إلى رجلين أيجوز لأحدهما أن ينفرد بنصف التركة ، والآخر بالنصف ؟ فوقع عليه السلام : لا ينبغي لهما أن يخالفا الميت ويعملا على حسب ما أمرهما به [3] . إذا أوصى شخص إلى اثنين فليس لأحدهما أن يستقل بالتصرف في نصف التركة ، والآخر يستقل بالتصرف في النصف الآخر ، وإنما عليهما أن يجتمعا ، ويتداولا

---

(١) من لا يحضره الفقيه :٣/٣٢٢ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣/٣٢٨ .

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤/١٥١ .

في الأمر ، وليس لأحدهما أن يعمل برأيه من دون إذن صاحبه ، كما دلت على ذلك هذه الرواية .

١٨ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنه إلى محمد الحسن بن علي عليه السلام : رجل أوصى بثلث ماله في مواليه ومولياته الذكر والأنثى فيه سواء ؟ أو للذكر مثل حظ الانثيين من الوصية ، فوقع عليه السلام جائز للميت ما أوصى به على ما أوصى به إن شاء الله (١) . ودلت هذه الرواية على أن للإنسان المسلم أن يتصرف في ثلثه بما شاء فله أن يهبه للذكور والإناث من أبنائه على حد سواء ، وله أن يفاضل فيما بينهم كما أن له أن يوصي بإنفاقه في المبرَّات والخيرات ، وغير ذلك ، وقد أفتى فقهاء الإمامية بهذه السعة والشمول مستندين في ذلك إلى هذه الرواية .

١٩ ـ كتب سهل بن زياد الآدمي إلى أبي محمد عليه السلام : رجل له ولد ذكر وإناث ، فأقر بضيعة أنها لولده ، ولم يذكر أنها بينهم على سهام الله وفرائضه الذكر والأنثى فيه سواء ؟ فوقع عليه الإمام ينفذون وصية أبيهم على ما سمى ، فإن لم يكن سمى شيئاً ردّوها على كتاب الله عز وجل إن شاء الله (٢) .

ودلت هذه الرواية على أن الأب إذا أوصى لأولاده بمال فإن عين مقداراً خاصاً لكل واحد منهم سواءً كان بالتساوي أو بالتفاضل فإن وصيته تكون نافذة ، وإن أطلق ، فتعرض على كتاب الله تعالى ، وهو يقضي بأن تكون على غرار المواريث للذكر مثل حظ الأنثيين .

٢٠ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنه إلى أبي محمد الحسن بن

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٤/١٩٦ .
(٢) من لا يحضره الفقيه ٤/١٥٥ .

علي عليـه السلام : رجـل كان وصي رجـل فمات ، وأوصى إلى رجـل آخر هل يلزم الوصي وصيـة الرجل الـذي كان هـذا وصيه ؟ فكتب عليـه السلام : يلزمه بحقه إن كان له قبله حق إن شاءالله[1]. ودلت هذه الرواية على أنه ليس للوصي أن يوصي إلى أحد من بعده في تنفيذ ما أوصى بـه إليه إلا أن يكون لـه حق عند المـوصي فله أن يوصي بـاستيفائـه ، وذكر الفقهاء أن للوصي الحق في الوصاية من بعده إذا كان مأذوناً من الموصى في ذلك .

٢١ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنـه إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام في الـوقوف ، ومـا روي فيها عن آبـائه عليهم السـلام فوقع عليه السلام : الـوقوف تكـون على حسب ما يـوقفها أهلهـا إن شاء الله تعالى [2] .

الوقف هو تحبيس الأصل ، وتسبيل الثمرة ، وهو حسب مـا وقفه الـواقف فتارة يكون خاصاً وأخرى يكون عاماً أو مـطلقاً . كـل ذلك تـابع لإنشـاء الوقف حين وقفه .

٢٢ ـ كتب محمد بن الحسن الصفار رضي الله عنـه إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام : رجل مات وترك ابن ابنة وأخاه لأبيه وأمـه لمن يكون الميـراث ؟ فوقـع عليه السـلام الميراث لـلأقرب إن شـاء الله [3] . قـال الشيـخ الصدوق في التعليق على هـذه الروايـة : ولا يرث ابن الابن ولا بنت الابنـة مع ولـد الصلب ، ولا يرث ابن ابن ابن مـع ابن ، وكـل من

---

(١) التهذيب : ٣٩٣/٢ من لا يحضره الفقيه : ١٦٨/٤ .
(٢) من لا يحضره الفقيه : ١٧٦/٤ التهذيب : ٣٧١/٢ .
(٣) من لا يحضره الفقيه : ١٦٩/١ .

قرب نسبه فهو أولى بالميراث ممن بعُد ، ولا يرث مع ولد الولد وإن سفل أخ ولا أخت ، ولا عم ولا عمة ولا خال ولا خالة ولا ابن أخ ولا ابن أخت ولا ابن عم ولا ابن خال ولا ابن عمة ولا ابن خالة .

هذا بعض ما أثر عنه من المكاتبات التي رفعت إلى الإمام عليه السلام وقد سأل أصحابها عن بعض الأحكام الشرعية التي لم يهتدوا لمعرفتها فأجابهم الإمام عنها .

أَصحَابُه وَرُوَاةُ حَدِيثِهِ

لـم تسمـح الحكومـة العباسيـة للعلماء والفقهـاءبالاتصـال بـالإمـام أبي محمد عليه السلام لئلا يذاع فضله ويتحدث الناس عن عمله فيزهدون في بني العباس ، وبالرغم من الإجراءات القـاسية التي اتخـذوها لحجب الإمـام عليه السـلام فـإن هنـاك كـوكبـة من العلمـاء والـرواة اتصلت بـه ، وروى بعضهم أحاديثه ، وتعرض لتراجمهم لأن ذلك من متممات البحث عن شخصيـة الإمام عليه السلام وفي ما يلي ذلك .

ـ أ ـ

١ ـ إبراهيم بن أبي حفص

قال النجاشي : إبـراهيم بن أبي حفص أبو إسحـاق الكاتب ، شيـخ من أصحاب أبي محمد العسكـري عليه السـلام ، ثقة وجـه ، له كتـاب الرد على الغالية وأبي الخطاب[1] .

٢ ـ إبراهيم بن خقيب

الأنباري ، عدَّه الشيخ من أصحـاب الإمام أبي محمـد عليه السـلام[2]

(١) النجاشي .

(٢) رجال الطوسي .

وقد روى أن أبا عون الأبرش كتب إلى أبي محمد عليه السلام أن الناس قد استوحشوا من شقك ثوبك على أبي الحسن عليه السلام ، فقال : يا أحمق ما أنت وذاك قد شق موسى على هارون ، إن من الناس من يولد مؤمناً ، ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً ، ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ، ويموت كافراً ، وأنك لا تموت حتى تكفر ، ويتغير عقلك . » . فما مات حتى حجبه ولده عن الناس، وحبسوه في منزله من ذهاب العقل والوسوسة ، وكثرة التخليط[1] .

٣ ـ إبراهيم بن عبده

عده الشيخ من أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام ومن أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[2] وقد ذكرنا في البحوث السابقة بعض رسائل الإمام عليه السلام إليه ، وهي تدل على وثاقته وسمو مكانته .

٤ ـ إبراهيم بن علي

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[3] وهو مجهول الحال .

٥ ـ إبراهيم بن محمد

ابن فارس النيسابوري عده الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ، ومن أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[4] سأل الكشي أبا النضر العياشي عن عدة منهم إبراهيم بن محمد بن فارس فقال : أما

(١) الكشي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .

إبراهيم بن محمد بن فارس فهو في نفسه لا بأس به[١] .

٦ - إبراهيم بن مهزيار

هو أبو أسحاق الأهوازي ، له كتاب البشارات[٢] وروى إسحاق بن محمد البصري قال : حدثني محمد بن إبراهيم بن مهزيار ، قال : إن أبي لما حضرته الوفاة دفع إلي مالاً ، وأعطاني علامة ، ولم يعلم بتلك العلامة إلا الله عز وجل ، وقال : من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال ، قال : فخرجت إلى بغداد ، ونزلت في خان ، فلما كان في اليوم الثاني إذ جاء الشيخ ، ودق الباب ، فقلت للغلام : انظر من هذا ؟ فقال : شيخ بالباب ، فقلت : ادخل ، فدخل وجلس فقال : أنا العمري ، هات المال الذي عندك ، وهو كذا وكذا ، ومعه العلامة[٣] وكان العمري وكيل الإمام أبي محمد عليه السلام روى عن الإمام أبي الحسن عليه السلام وعن أبي محمد عليه السلام وعن ابن أبي عمير ، وغيرهما وروى، عنه أحمد بن محمد وسعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري وغيرهم[٤] .

٧ - إبراهيم بن يزيد

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وكذلك عد أخاه أحمد بن يزيد من أصحاب الإمام عليه السلام[٥] .

---

(١) الكشي .
(٢) النجاشي .
(٣) الكشي .
(٤) معجم رجال الحديث ١/١٦٩ .
(٥) رجال الطوسي .

٨ ـ أحمد بن إبراهيم

ابن إسماعيل ، بن داود بن حمدون ، الكاتب النديم ، شيخ أهل اللغة ووجههم ، روى عن الإمام أبي محمد وعن أبيه[١] قال النجاشي : وكان خصيصاً بسيدنا أبي محمد العسكري عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام قبله .

له كتب منها كتاب (أسماء الجبال والمياه والأودية) كتاب (بنى مرة بن عوف) كتاب(بني النمر بن قاسط) كتاب (بني عقيل) كتاب (بني عبد الله بن غطفان)كتاب (الطي) (شعر الحجير السلولي) (شعر ثابت بن قطنة وصنعته) كتاب (بني كليب بن يربوع) (أشعار بن مرة بن همام) (نوادر الأعراب)[٢] .

٩ ـ أحمد بن إبراهيم :

يكنى أبا أحمد المراغي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٣] قال فيه ابن داود : إنه ممدوح عظيم الشأن[٤] روى أحمد قال : كتب أبو جعفر محمد بن أحمد بن جعفر القمي العطار . . يصفنا لصاحب الناحية عليه السلام فخرج التوقيع «وفقت على ما وصفت به أبا حامد أعزه الله بطاعته ، وفهمت ما هو عليه ، تمم الله ذلك بأحسنه ، ولا أخلاه من تفضله عليه، وكان الله وليه . . »[٥] والرواية إن صحت تدل على وثاقة الرجل ، وسمو منزلته عند قائم آل محمد عليه السلام .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) النجاشي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال ابن داود .
(٥) الكشي .

١٠ ـ أحمد بن إدريس :

القمي ، المعلم ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[١] قال النجاشي : كان ثقة فقيها في أصحابنا ، كثير الحديث ، صحيح الرواية له كتاب (النوادر) ومات أحمد بن إدريس بالقرعاء سنة (٣٠٦ هـ) من طريق مكة على طريق الكوفة[١] .

١١ ـ أحمد بن إسحاق :

ابن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري ، أبو علي القمي كان وافد القميين ، روى عن أبي جعفر الثاني ، وأبي الحسن عليهما السلام وكان خاصة أبي محمد عليه السلام .

قال أبو الحسن علي بن عبد الواحد الرحمن الحميدي ، وأحمد بن الحسن رحمه الله : رأيت من كتبه كتاب (علل الصوم) كبير (مسائل الرجال) لأبي الحسن الثالث عليه السلام جمعه[٢]

وقال الشيخ : إنه ممّن رأى الإمام صاحب الزمان عليه السلام[٣] وكتب محمد بن أحمد بن الصلت القمي إلى الدار ـ أي إلى الإمام عليه السلام ـ ذكر فيه قصة أحمد بن إسحاق القمي وصحبته ، وأنه يريد الحج ، واحتاج إلى ألف دينار ، فإن رأى سيدي أن يأمر بأقراضه إياه ، ويسترجع منه في البلد إذا انصرف، فأفعل، فوقع عليه السلام هي له منّاصلة ، وإذا رجع فله عندنا

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) النجاشي .
(٣) النجاشي .
(٤) رجال الطوسي .

سواها[1] ودل ذلك على مدى إيمانه وتقدير الإمام عليه السلام له .

وروى عبد الله بن جعفر الحميري قال : اجتمعت أنا والشيخ أبـو عمرو رحمـه الله عند أحمـد بن إسحـاق فغمـزني أحمـد بن إسحـاق أن أسألـه عن الخلف ، فقلت لـه : يا أبـا عمرو إني أريـد أن أسألـك عن شيء لست بشاك في ماأريد أن أسألك عنه ، قال : سل حاجتك ، فقلت له : أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد عليه السلام ، فقال : أي والله[2] .

وعلى أي فالرجل ثقة رفيع الشأن ، له المنزلة الكريمـة عند أهـل البيت عليهم السلام .

١٢ ـ أحمد بن الحسن :

ابن علي بن فضـال ، عـده الشيـخ من أصحـاب الإمـام الهـادي عليـه السلام ومن أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[3] يقال أنه كـان فطحيـاً ، وكان ثقة في الحديث ، يعرف من كتبه كتاب (الصلاة) كتاب (الوضوء) تـوفي سنة (٢٦٠ هـ)[4] .

١٣ ـ أحمد بن حماد :

المحمودي يكنى أبا علي عـده الشيخ بهـذا العنوان من أصحـاب الإمام أبي محمد عليه السلام[5] وروى الكشي عن محمد بن مسعـود قال : حـدثني أبو علي المحمودي محمد بن أحمد بن حماد المروزي ، قال : كتب أبو جعفر

---

(١) الكشي .

(٢) أصول الكافي : كتاب الحجة .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) النجاشي .

(٥) رجال الطوسي .

عليه السلام إلى أبي في فصل من كتابه، . . . **﴿ثم وفيت كل نفس بما كسبت، وهم لا يظلمون﴾**. أما الدنيا فنحن فيها متفـرجون [1] البـلاء، ولكن من هوى صاحبه فـإن دان بدينـه فهو معـه ، وإن كان نـائياً عنـه ، وأما الآخـرة فهي دار القرار .

وقال المحمودي : قـد كتب إلى الماضي عليـه السلام بعـد وفاة أبي قـد مضى أبوك رضي الله عنه وعنك ، وهو عنـدنا على حـالة محمـودة ، ولن تبعد من تلك الحال[2] ودل هذا المـدح من الإمام عليـه السلام على وثـاقته وحسن حاله . . وذكر الكشي له أخباراً أخرى .

١٤ ـ أحمد بن محمد :

ابن يسار عده البرقي من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[3] .

قـال النجـاشي : كـان من كتـاب آل طـاهـر في زمن أبي محمـد عليـه السلام، ويعرف بالسياري، ضعيف الحـديث ، فاسـد المذهب ـ ذكـر ذلك لنـا الحسين بن عبيد الله ـ **مجفو** الـرواية ، كثيـر المراسيـل ، له كتب ، وقـع إلينا منها كتاب (ثواب القرآن) كتاب (الطب) كتاب (القراآت) كتاب (النوادر) كتاب (الغارات)[4] .

وروى الكشي بسنده عن إبراهيم بن محمد بن حاجب قـال : قرأت في رقعة مع الجواد عليه السـلام يعلم من سأل عن السيـاري أنه ليس في المكـان الذي ادعاه لنفسه ، ولا تدفعوا إليه شيئاً[5] .

---

(١) هكذا وردت ، ولعلها : متفردون.
(٢) الكشي .
(٣) رجال البرقي .
(٤) النجاشي .
(٥) الكشي .

وقد ذهب العلماء إلى جرحه واتهامه في عقيدته ، وأنه مات فاسد المذهب .

١٥ ـ أحمد بن عبد الله :

ابن مروان ، الأنباري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام(١) .

١٦ ـ أحمد بن محمد :

ابن مصهر ، روى عن الإمام أبي محمد عليه السلام ، وروى عنه علي بن أبي خليس . . قال الأستاذ الخوئي ! لم يرد في الرجل توثيق ولا مدح ، وطريق الصدوق إليه وإن كان صحيحاً إلا أنه لا يلازم وثاقة الرجل ، وأما توصيف الصدوق إياه ـ في المشيخة ـ بقوله : «صاحب أبي محمد عليه السلام» فليس فيه أدنى إشعار بوثاقة الرجل أو حسنه ، كيف ذلك ؟ وقد كان في أصحاب الرسول الأكرم (ص) من كان ! فما ظنك بمن صحب الإمام عليه السلام ، وأما كونه متولياً لما يحتاج إليه من قبل الإمام أبي محمد في إرسال والدته مع الصاحب عليه السلام لسفر الحج على ما في إثبات الوصية للمسعودي فهو ـ على تقدير ثبوته ـ لا يدل على الوثاقة(٢) .

١٧ ـ أحمد بن محمد :

الحضيني نزل الأهواز عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام(٣) .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) معجم رجال الحديث ٢ / ٣٢٩ .

(٣) رجال الطوسي .

١٨ ـ أحمد بن هلال :

العبرتائي[١] عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٢] وكان فاسد المذهب لا يلتفت إلى حديثه[٣] وقد خرج التوقيع من الإمام عليه السلام في ذمه والبراءة منه، ومما جاء فيه إلى القاسم بن العلاء : «قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت ولم يزل ـ لا غفر الله له ذنبه ، ولا أقاله عثرته ـ يداخل في أمرنا بلا إذن منا ، ولا رضى يستبد برأيه ، فيتحامى من ديوننا ، لا يمضي من أمرنا إياه إلا بما يهواه ، ويريُده ، إراده الله بذلك في نار جهنم ، فصبرنا عليه ، حتى بتر الله بدعوتنا عمره، وكنا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا في أيامه ـ لا رحمه الله ـ وله من لا يبرأ منه ، واعلم الأسحاقي سلمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال هذا الفاجر ، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين ، ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك ، فإنه لا عذر له حتى من موالينا في التشكيك في ماروى عنا ثقاتنا بأننا نفاوضهم بسرنا ، ونحمله إياه إليهم ، وعرفنا من ذلك إن شاء الله تعالى . . » .

ودلت هذه الرسالة على ضلالة هذا الشخص وانحرافه عن الطريق القويم ، توفي سنة (٢٦٧ هـ)[٤] .

١٩ ـ إسحاق بن إسماعيل :

النيسابورى الثقة ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه

---

(١) العبرتائي : نسبة إلى عبرتا وهي قرية بنواحي بلد إسكاف .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) معجم رجال الحديث ٤ / ٣٦٧.
(٤) معجم رجال الحديث ٢ / ٣٦٧.

السلام[١] وقد خرج توقيع من الإمام عليه السلام بالدعاء له[٢]

٢٠ ـ إسحاق بن محمد :

البصري ، يكنى أبا يعقوب ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٣] قال الكشي : أنه كان من أركان الغلاة[٤] .

٢١ ـ إسماعيل بن محمد :

ابن علي ، بن إسماعيل ، هاشمي عباسي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام[٥] .

ـ جـ ـ

٢٢ ـ جابر بن سهيل :

الصيقل ، وكيل الإمام أبي الحسن ، وأبي محمد ، وصاحب الدار عليهم السلام[٦] .

٢٣ ـ جابر بن يزيد :

الفارسي : يكنى أبا القاسم ، من أصحاب الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام[٧] .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) ذكرنا نص التوقيع في البحوث السابقة .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) الكشي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

(٧) رجال الطوسي .

٢٤ ـ جعفر بن إبراهيم :

ابن نوح عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[(١)] .

ـ حـ ـ

٢٥ ـ الحسن بن أحمد :

المالكي ، من أصحاب لإمام الحسن العسكري عليه السلام ، روى عن أبيه ، وروى عنه علي بن الحسين بن بابويه[(٢)] .

٢٦ ـ الحسن بن شكيب :

المروزي كان مقيماً بسمرقند وعالماً متكلماً ، مصنفاً للكتب عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[(٣)] .

٢٧ ـ الحسن بن جعفر :

المعروف بأبي طالب الفاغاني عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[(٤)] .

٢٨ ـ الحسن بن علي :

ابن نعمان الكوفي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[(٥)] وقال النجاشي : إنه مولى بني هاشم ، أبوه علي بن النعمان

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) معجم رجال الحديث : ٢٩٣/٤ .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

الأعلم ، ثقة ، ثبت له كتاب نوادر ، صحيح الحديث ، كثير الفوائد[1] .

٢٩ ـ الحسن بن محمد :

ابن بابا القمي من الغلاة ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام من دون توصيف بالقمي ، قال الكشي : وذكر أبو الفضل ابن شاذان في بعض كتبه ! إن من الكذابين المشهورين ابن بابا القمي .

قال سعد : حدثني العبيدي : قال : كتب إلى العسكري عليه السلام ابتداء منه : ابرأ إلى الله من النهري ، والحسن بن محمد بن بابا القمي فابرأ منهما ، فإني محذرك وجميع موالي ، وإني العنهما عليهما لعنة الله ، مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذين آذاهما الله ، أرسلهما في اللعنة ، واركسهما في الفتنة ركساً يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً ، وأنه باب عليه لعنة الله ، سخر منه الشيطان فأغواه ، فلعن الله من قبل منه ذلك ، يا محمد إن قدرت أن تخدش رأسه بالحجر فافعل ، فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة .

ودلت هذه الرسالة على مدى تأثر الإمام عليه السلام وانزعاجه من هذا الإنسان الممسوخ الذي تنكر لدينه ، وهام في الباطل والضلال .

٣٠ ـ الحسن بن موسى :

الخشاب ، قال النجاشي : إنه من وجوه أصحابنا ، مشهور ، كثير العلم والحديث له مصنفات منها كتاب (الرد على الواقفة) وكتاب (النوادر) وقيل : أن له كتاب الحج وكتاب الأنبياء ، وقد عده الشيخ من أصحاب

---

(١) النجاشي .

الإمام أبي محمد عليه السلام[1] .

٣١ ـ الحسن بن النضر :

أبـو عـون الأبـرش عـده الشيـخ من أصحـاب الإمـام أبي محمـد عليـه السلام[2] .

٣٢ ـ الحسن بن النضر :

وهو الذي حمل بعد وفاة أبي محمد عليه السلام إلى الناحية المقدسة ، وأعطاه الإمام عليه السلام ثـوبين فانصـرف ، ومات في شهـر رمضان ، وكفن في الثوبين وهو من أهل قم ، وممن وقف على معجزات صاحب الزمان عجل الله فرجه ، ورآه من غير الوكلاء[3] واحتمل الأستـاذ الخوئي أن يكـون الحسن هذا متحداً مع من قبله[4] .

٣٣ ـ الحسين بن الحسن :

ابن ابـان ، عده الشيـخ من أصحاب الإمـام أبي محمد عليـه السـلام ، وقال : إنه أدركه ولم نعلم أنه روى عنه ، وذكر ابن قـولويـه أنه قـرابة الصفـار وسعد بن عبد الله ، وهو أقدم منهمـا لأنه روى عن الحسين بن سعيـد وهما لم يرويا عنه[5] .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) إكمال الدين .

(٤) معجم رجال الحديث .

(٥) رجال الطوسي .

٣٤ ـ حفص بن عمرو :

العمري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[١] وهو من أجلاء أصحاب الإمام عليه السلام ، وقد خرج توقيع لإسحاق بن إسماعيل من الإمام أبي محمد عليه السلام جاء فيه «فلا تخرجن من البلد حتى تلقى العمري رضي الله عنه برضائي عنه ، فتسلم عليه ، وتعرفه ، ويعرفك ، فإنه الطاهر الأمين ، العفيف القريب منا ، وإلينا ، فكل ما يحمله إلينا من شيء من النواحي فإليه يصير آخر أمره ليوصل ذلك إلينا ، والحمد لله كثيراً . . »[٢] .

ودل ذلك على وثاقه الرجل ، وحسن حاله ، وقربه من أهل البيت عليهم السلام .

٣٥ ـ حمدان بن سليمان :

أبو سعيد النيشابوري ، عده الشيخ تارة من أصحاب الإمام الهادي وأخرى من أصحاب الإمام أبي محمد عليهما السلام[٣] وكان ثقة من وجوه الشيعة .

٣٦ ـ حمزة بن محمد :

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٤] وقد روى عنه

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) الكشي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) معجم رجال الحديث .

العلة في فرض الصيام كما روى عنه إسحاق بن محمد[1].

- د -

٣٧ ـ داود بن أبي زيد :

من أهل نيشابور ، ثقة ، صادق اللهجة من أهل الدين ، عده الشيخ من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ، ومن أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام .

٣٨ ـ داود بن عامر :

الأشعري ، قمي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[2] وكذلك عده البرقي[3] .

٣٩ ـ داود بن القاسم :

هو أبو هاشم الجعفري كان فذاً من أفذاذ الإسلام ، وعلماً من أعلام العقيدة ، ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض شؤونه ومظاهر شخصيته العظيمة .

نسبه الوضاح :

وينتهي نسبه الكريم إلى الشهيد الخالد في دنيا الإسلام جعفر بن أبي طالب الطيار فهو ابن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر[4] وليس في عالم النسب من هو أسمى وأرفع من هذا النسب الكريم .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال البرقي .
(٤) الكنى والألقاب ج ١/ ١٧٤ .

ولاؤه لأئمة أهل البيت :

وكان أبو هاشم شديد الولاء للأئمة الطاهرين عليهم السلام فقد شاهد منهم الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي وأبا محمد الحسن عليهم

وكان منقطعاً إليهم ، وله شعر جيد فيهم ، منها قوله في الإمام أبي حسن الهادي ، وقد اعتلّ ، قال :

مادت الأرض بي وأدمت فؤادي واعترتني موارد العدواء
حين قيل الإمام نضو عليل قلت : نفسي فدته كل الفداء
مرض الدين لاعتلالك واعتـ ـل وغارت له نجوم السماء
عجباً إن منيت بالداء والسقم وأنت الإمام حسم الداء
أنت آسي الأدواء في الدين والد نيا ومحيي الأموات والأحياء

مكانته عند الأئمة :

وكانت لأبي هاشم المكانة المرموقة عند من عاصرهم من الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، فقد قال له الإمام الهادي عليه السلام: يا أبا هاشم أي نعم الله عز وجل عليك تريد أن تؤدي شكرها؟ قال أبو هاشم فوجمت ولم أدر ما أقول فابتدر عليه السلام فقال : رزقك الإيمان فحرم به بدنك على النار ، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة ، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل [1] .

مكانته الاجتماعية :

وتميز أبو هاشم بالاحترام والتعظيم عند كافة الأوساط الاجتماعية فقد قال المترجمون له : إنه كان مقدماً عند السلطان ، وكان ورعاً زاهداً ناسكاً ، عالماً ، عاملاً ، ولم يكن أحد في آل أبي طالب مثله في زمانه في علو

---

(١) حياة الإمام الهادي مخطوط للمؤلف .

النسب[1] ومن كان هذه صفاته فهو جدير بالاحترام والتقدير .

جرأة وإقدام :

وكان أبو هاشم جريئاً لا يهاب السلطان ، ويدلي بكلمة الحق في أحرج الظروف ، ويقول المؤرخون أنه لما ادخل رأس يحيى الثائر العظيم إلى بغداد اجتمع أهلها إلى محمد بن عبد الله بن طاهر الذي قتل يحيى فجعلوايهنئونه بالفتح ، وممن دخل عليه أبو هاشم فقال له :

«أيها الأمير قد جئتك مهنئاً بما لو كان رسول الله (ص) حياً لعزي به . . » .

ووجم الحاضرون ولم يجبه أحد بشيء[2] وخرج مغيظاً وهو يقول :

يا بني طاهر كلوه وبيا ... إن لحم النبي غير مري
إن وتراً يكون طالبه الله ... لوتر نجاحه بالحري[3]

وفاته :

انتقل إلى رحمة الله ورضوانه في جمادي الأولى سنة (٢٦١ هـ)[4] وذلك بعد وفاة الإمام أبي محمد عليه السلام بسنة .

- س -

٤٠ ـ سعد بن عبد الله :

القمي ، عاصر الإمام أبا محمد عليه السلام ، وقال :«الشيخ لم أعلم

(١) الكنى والألقاب ١/١٧٦ .
(٢) مقاتل الطالبيين (ص ١٦٤٤).
(٣) تاريخ الطبري ١١/٩.
(٤) الكنى والألقاب ١/١٧٦ .

أنه قد روى عنه[1] قال النجاشي : إنه شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها كان سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً ، وسافر في طلب الحديث ، لقي من وجوههم الحسن بن عرفة ، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي ، وأبا حاتم الرازي ،وعباس الترقفي ولقي مولانا أبا محمد عليه السلام . . وصنف سعد كتباً كثيرة ، وقع إلينا منها كتاب (الرحمة) كتاب (الوضوء) كتاب (الصلاة) كتاب (الزكاة) كتاب (الحج) وذكر كتباً كثيرة ألفها سعد[2] .

توفي سعد سنة (٣٠١ هـ) وقيل سنة (٢٩٩ هـ)[3] .

٤١ ـ السندي بن الربيع :

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأضاف أنه ثقة كوفي[4] .

٤٢ ـ سهل بن زياد :

يكنى أبا سعيد الآدمي الرازي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[5] وقال النجاشي : إنه كان ضعيفاً في الحديث غير معتمد عليه فيه • وكان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب ، وأخرجه من قم إلى الري ، وكان يسكنها ، وقد كاتب أبا محمد العسكري عليه السلام على يد محمد بن عبد الحميد العطار للنصف من شهر ربيع

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) النجاشي .
(٣) معجم رجال الحديث .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .

الآخر سنة (٢٥٥ هـ) وأضاف أن له كتاب النوادر [١] .

- ش -

٤٣ ـ شاهويه بن عبد الله :

الجلاب ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٢] .

- ص -

٤٤ ـ صالح بن أبي حماد :

قال النجاشي : صالح بن أبي حماد أبو الخير الرازي ، واسم أبي الخير «زاد به» لقي أبا الحسن العسكري عليه السلام ، وكان أمره ملتبساً يعرف وينكر ، له كتب منها كتاب (خطب أمير المؤمنين عليه السلام) وكتاب (نوادر)[٣] وقد عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٤] .

٤٥ ـ صالح بن عبد الله :

الجلاب عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٥] .

- ع -

٤٦ ـ عبد العظيم الحسني :

هو السيد الجليل ينتهي نسبه الكريم إلى ريحانة رسول الله (ص)

---

(١) النجاشي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) النجاشي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .

وسبطه الأول الإمام الحسن عليه السلام فهو ابن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الإمام الحسن عليه السلام ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[1] وروى النجاشي بهذا عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي قال : كان عبد العظيم ورد الري هارباً من السلطان ، وسكن سرباً في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي فكان يعبد الله في ذلك السرب ، يصوم نهاره ويقوم ليله ، فكان يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل قبره وبينهما الطريق ، ويقول : هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر عليه السلام ، فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب ، ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد (ص) حتى عرفه أكثرهم فرأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله (ص) قال له : إن رجلاً من ولدي يحمل من سكة الموالي ويدفن عند شجرة التفاح في باغ عبد الجبار بن عبد الوهاب ، وأشار إلى المكان الذي دفن فيه فذهب الرجل ليشتري الشجرة ومكانها من صاحبها فقال له : لأي شيء تطلب الشجرة ومكانها ؟ فأخبره بالرؤيا فذكر صاحب الشجرة أنه كان رأى مثل هده الرؤيا ، وأنه قد جعل موضع الشجرة مع جميع الباغ وقفاً على الشريف والشيعة ، يدفنون فيه ، فمرض عبد العظيم ، ومات رحمه الله ، فلما جرد ليغسل وجد في جيبه رقعة فيها نسبه الشريف[2] .

وكان هذا السيد الشريف عالماً فقهياً يقول أبو حماد الرازي : دخلت على علي بن محمد (ع) بسر من رأى فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني فيها فلما ودعته قال لي : يا حماد إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك فسل عنه عبد العظيم بن عبد الله الحسني وأقرئه مني السلام[3] .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) النجاشي .

(٣) المعجم ١٠/٥٣ .

٤٧ ـ عبد الله بن جعفر :

الحميري القمي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[١] وكذلك عده البرقي[٢] قال النجاشي : عبد الله بن جعفر بن الحسن بن مالك بن جامع الحميري أبو العباس القمي شيخ القميين ، ووجههم قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين ، وسمع أهلها منه فأكثروا وصنف كتباً كثيرة يعرف منها: كتاب (الأمانة)، كتاب (الدلائل)، كتاب (العظمة والتوحيد)، كتاب (الغيبة والحيرة)، كتاب (فضل العرب)، كتاب (التوحيد والبداء والإرادة والاستطاعة والمعرفة) كتاب (قرب الاسناد إلى أبي جعفر ابن الرضاع) كتاب (ما بين هشام بن الحكم وهشام والعباس) والأرواح والجنة والنار) و(الحديثين المختلفين)، (مسائل الدجال)، و(مكاتبات أبي الحسن الثالث عليه السلام) (مسائل لأبي محمد الحسن بن علي عليه السلام على يد محمد بن عثمان العمري)، كتاب (قرب الإسناد إلى صاحب الأمر عليه السلام)،(مسائل أبي محمد: وتوقيعاته) كتاب (الطب)[٣] وتدل هذه المؤلفات المختلفة على مدى ثروته العلمية ، وتخصصه في العلوم النقلية والعقلية .

٤٨ ـ عبد الله بن حمدويه :

البيهقي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٤] وكان من خيار الشيعة وقد كتب الإمام له كتاباً ترحم فيه عليه ، قد تقدم نصه في البحوث السابقة .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال البرقي .

(٣) النجاشي .

(٤) رجال الطوسي .

٤٩ ـ عبد الله بن محمد :

ابن خالد الطيالسي ، الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[١] قال النجاشي : إنه من أصحابنا ثقة سليم الجنبة ، وكذلك أخوه أبو محمد الحسن ، ولعبد الله كتاب (نوادر)[٢] وقال فيه محمد بن مسعود: وأما عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي فما علمته إلّا خيراً ثقة[٣] .

٥٠ ـ عبد الله بن محمد :

يكنى أبا محمد الشامي ، الدمشقي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام وأضاف أنه يروي عن أحمد بن محمد ابن عيسى وغيره[٤] .

٥١ ـ عثمان بن سعيد :

العمري ، الزيات ، ويقال له السمان ، يكنى أبا عمرو ، كان عملاقاً من عمالقة الإيمان ، والتقوى ، وكان الدين عنصراً من عناصره ، ومقوماً من مقوماته ونتحدث بإيجاز عن بعض شؤونه :

إشادة الأئمة به :

أشاد الأئمة الذين عاصرهم العمري بسمو منزلته ومكانته ، فقد روى أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال : دخلت على أبي الحسن علي بن

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) النجاشي .

(٣) الكشي .

(٤) رجال الطوسي .

محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام ، فقلت : يا سيدي إني أغيب وأشهد ، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت ،فقول من نقبل ، وأمر من نمتثل ، فقال لي صلوات الله عليه : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ما قاله لكم فعني يقوله ، وما أداه إليكم فعني يؤديه، فلما مضى أبو الحسن عليه السلام ، وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم ، فقلت مثل قولي لأبيه ، فقال لي : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات ، فما قاله لكم فعني يقوله ، وما أدى إليكم فعني يؤديه[١] .

ومما جاء في الثناء عليه ما رواه أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن عليه السلام قال سألته : من أعامل أو عمن آخذ ، وقول من أقبل فقال لي : العمري ثقتي فما أدى إليك عني فعني يؤدي ، وما قال لك : فعني يقول فاسمع ، وأطعْ فإنه الثقة المأمون[٢] .

وتوثيق الأئمة الطاهرين عليهم السلام له دليل على مدى إيمانه وتقواه وورعه ، وتحرجه في الدين .

وكالته عن الإمام المهدي :

وتولى هذا العالم العظيم الوكالة من الناحية المقدسة خمسين سنة[٣] وكانت الشيعة ترفع إليه اسألتها وهو يرفعها إلى الإمام (ع) فيجيبهم عنها .

وفاته :

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي .
(٢) أصول الكافي باب تسمية من رأى الإمام عليه السلام .
(٣) الكنى والألقاب ٣/٢٦٧ .

ويقول المؤرخون إنه حفر لنفسه قبراً وكان في كل يوم ينزل فيه ويقرأ جزءاً من القرآن الكريم فيه ثم يصعد ، وقد توفي رحمه الله في آخر جمادي الأولى سنة خمس أو أربع وثلاثمئة وكان قد أخبر عن يوم وفاته . . وقبره الشريف ببغداد ويعرف عند البغداديين الشيخ الخلافي[١] .

٥٢ ـ عروة الوكيل :

قمي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٢] .

٥٣ ـ العكمري بن علي :

ابن محمد البوفكي النيشابروي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام وأضاف أنه يقال أنه اشترى أتراكاً بسرقمند للعسكري [٣] .

٥٤ ـ علي بن بلال :

عده الشيخ من أصحاب الإمامين الهادي والحسن عليهما السلام[٤] قال النجاشي : أنه بغدادي انتقل إلى واسط ، روى عن أبي الحسن الثالث له كتاب[٥] وفي توقيع الإمام العسكري عليه السلام إلى إسحاق : يا إسحاق اقرأ كتابنا على البلابلي رضي الله عنه فإنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه .

قال الكشي : وجدت بخط جبرئيل بن أحمد حدثني محمد بن عيسى اليقطيني قال : كتب عليه السلام إلى علي بن بلال في سنة (٢٣٢ هـ) :

---

(١) الكنى والألقاب ٣/٢٦٨ .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) النجاشي .

«بسم الله الرحمن الرحيم أحمد الله إليك، وأشكر طوله وعوده ، وأصلي على محمد وآله صلوات الله ورحمته عليهم ، ثم أني أقمت أبا علي مقام الحسين بن عبد ربه ، وائتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يقدمه أحد ، وقد أعلم أنك شيخ ناحيتك فأحببت إفرادك وإكرامك بالكتاب بذلك ، فعليك بالطاعة له ، والتسليم إليه جميع الحق قبلك ، وأن تحضّ موالي على ذلك ، وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً إلى عونه وكفايته فذلك موفور ، وتوفير علينا ، ومحبوب لدينا ، ولك به جزاء من الله وأجر ، فإن الله يعطي من يشاء ذو الاعطاء والجزاء برحمته ، وأنت في وديعة الله ، وكتب بخطي ، واحمد الله كثيراً»[١] وفي هذه الرسالة دلالة على حسن حال الرجل ، وتوثيق الإمام عليه السلام له .

٥٥ ـ علي بن جعفر :

ابن العباس ، الخزاعي ، واقفي مروزي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[٢] .

٥٦ ـ علي بن جعفر .

الهماني ، البرمكي ، عده البرقي من أصحاب الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري عليهما السلام[٣] وقال الشيخ : إنه كان فاضلاً مرضياً من وكلاء أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام[٤] وروى أبو جعفر العمري رحمه الله قال : صبح أبو طاهر بن بلال فنظر إلى علي بن جعفر وهو ينفق

(١) الكشي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال البرقي .
(٤) الغيبة .

النفقات العظيمة فلما انصرف كتب إلى أبي محمد عليه السلام فوقع في رقعته قد كنا أمرنا له بمائة ألف دينار ، ثم أمرنا له بمثلها فأبى قبولها إبقاءً علينا ما للناس والدخول في أمرنا والدخول في ما لم ندخلهم فيه ؟ قال : ودخل على أبي الحسن عليه السلام فأمر له بثلاثين ألف دينار[١] .

وروى الكشي بسنده عن يوسف بن السخت قال : كان علي بن جعفر وكيلاً لأبي الحسن عليه السلام ، وكان رجلاً همينيا ـ وهي قرية من قرى سواد بغداد ـ فسعي به إلى المتوكل فحبسه ، فطال حبسه ، واحتال من قبل عبد الله بن خاقان بمال ضمنه عنه بثلاثة آلاف دينار ، فكلمه عبد الله ، فعرض جامعه على المتوكل ، فقال : يا عبد الله لو شككت فيك لقلت : إنك رافضي هذا وكيل فلان ـ يعني أبا الحسن ـ وأنا عازم على قتله ، قال فتأدى الخبر إلى علي بن جعفر فكتب إلى أبي الحسن ، يا سيدي الله الله فيَّ ، فقد، والله، خفت أن ارتاب ، فوقع في رقعة «أما إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك» وكان هذا في ليلة الجمعة فأصبح المتوكل محموماً فازدادت علته حتى صرخ عليه يوم الاثنين فأمر بتخلية كل محبوس عرض عليه اسمه ، حتى ذكر له علي بن جعفر، فقال لعبد الله : لم لم تعرض علي أمره ؟ فقال: لا أعود إلى ذكره أبداً . قال خل سبيله الساعة ، وسله أن يجعلني في حل ، فخلى سبيله ، وصار إلى مكة بأمر أبي الحسن عليه السلام ، فجاور بها[٢] .

وقال الكشي في ترجمة فارس بن حاتم القزويني : وجدت بخط جبرئيل بن أحمد ، قال: قال موسى بن جعفر عن إبراهيم بن محمد، إنه قال : كتبت إليه : جعلت فداك قبلنا أشياء يحكى عن فارس والخلاف بينه وبين

---

(١) الغيبة .
(٢) الكشي .

علي بن جعفر حتى صار يبرأ بعضهم من بعض ، فإن رأيت أن تمن علي بما عندك فيهما ، وأيهما يتولى حوائج قبلك ، حتى لا أعدوه إلى غيره فقد احتجت إلى ذلك ، فعلت متفضلاً إن شاء الله»، فكتب: «ليس عن مثل هذا يسأل ، ولا في مثله يشك ، قد عظم الله قدر علي بن جعفر متعنا الله تعالى به عن أن يقايس إليه ، فاقصد علي بن جعفر بحوائجك واخشوا فارساً ، وامتنعوا في إدخاله في شيء من أموركم ، تفعل ذلك أنت ومن أطاعك من أهل بلادك ، فإنه قد بلغني ما تموه به على الناس ، فلا تلتفوا إليه إن شاء الله[1] .

ودلت هذه الرسالة على أنه في قمة الواقعية والإيمان ، فقد نصبه الإمام علماً لشيعته .

٥٧ ـ علي بن الحسن :

ابن فضال الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام[2] قال النجاشي : علي بن الحسن بن علي بن فضال بن عمر بن أيمن مولى عكرمة بن ربعي الفياض أبو الحسن ، كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم وعارفهم بالحديث والمسموع قوله فيه ، سمع منه شيئاً كثيراً ، ولم يعثر له على زلة فيه ، ولا ما يشينه، وقل ما روى عن ضعيف وكان فطحياً ، ولم يرو عن أبيه شيئاً ، وقال : وكنت أقابله وسني ثماني عشرة سنة بكتبه، ولا أفهم إذ ذاك الروايات، ولا استحل أن أرويها عنه. . . وقد صنف كتباً كثيرة، منها ما وقع إلينا كتاب (الوضوء) كتاب (الحيض والنفاس) كتاب (الصلاة) كتاب (الزكاة والخمس) كتاب (الصيام) كتاب (مناسك الحج) كتاب (الطلاق) كتاب (النكاح) كتاب (المعرفة) كتاب (التنزيل من القرآن

---

(١) الكشي .

(٢) رجال الطوسي .

والتحريف) كتاب (الزهد) كتاب (الأنبياء) كتاب (الدلائل) كتاب (الجنائز) كتاب (الوصايا) كتاب (الفرائض) كتاب (المتعة) كتاب (الغيبة) كتاب (الكوفة) كتاب(الملاحم) كتاب (المواعظ) كتاب (البشارات) كتاب (الطب) كتاب (إثبات إمامة عبد الله) كتاب (أسماء آلات رسول الله (ص) كتاب (عجائب بني إسرائيل) كتاب (الرجال) كتاب (ما روي في الحمام) كتاب (التفسير) كتاب (الجنة والنار) كتاب (الدعاء) كتاب (المثالب) كتاب (العقيقة) (١) ودلت هذه المؤلفات على مدى ثروته العلمية وأنه كان في طليعة علماء عصره ، والذي يقدح فيه أنه كان فطحي المذهب .

وسئل الشيخ أبو القاسم رحمه عن كتب ابن أبي العزاقي بعد ما ذم ، وخرجت فيه اللعنة فقيل له : فكيف نعمل بكتبه ، وبيوتنا منها ملأى فقال : أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن علي عليهما السلام وقد سئل عن كتب ابن فضال فقال : خذوا بما رووا وذروا ما رأوا (٢) .

٥٨ ـ علي بن سليمان :

ابن داود الرقي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام (٣) .

٥٩ ـ علي بن الريان :

ابن الصلت الأشعري القمي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام (٤) .

---

(١) النجاشي .
(٢) الغيبة .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .

٦٠ ـ علي رميس :

عده الشيخ من أصحاب الإمام الهـادي ومن أصحاب الإمـام أبي محمد عليهما السلام ، وأضاف أنه بغدادي ضعيف [١] .

٦١ ـ علي بن زيد :

ابن علي علوي ، عـده الشيـخ من أصحـاب الإمـام أبي محمـد عليـه السلام [٢] .

٦٢ ـ علي بن شجاع :

نيسابوري عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٣] .

٦٣ ـ علي بن محمد :

الصيمـري ، عـده الشيـخ من أصحــاب الإمــام أبي محمــد عليــه السلام [٤] .

٦٤ ـ علي بن محمد :

ابن الياس عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٥] .

٦٥ ـ عمر بن أبي مسلم :

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٦] .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) رجال الطوسي .

(٦) رجال الطوسي .

٦٦ ـ **عمرو بن سويد :**

المدائني، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [١] .

ـ ف ـ

٦٧ ـ **الفضل بن الحارث :**

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٢] وروى الكشي بسنده عن الفضل قال : كنت بسر من رأى وقت خروج سيدي أبي الحسن عليه السلام فرأينا أبا محمد ماشياً قد شق ثوبه ـ وذلك حزناً على أبيه ـ فجعلت أتعجب من جلالته، وما هو له أهل، ومن شدة اللون والأدمة ، وأشفق عليه التعب ، فلما كان الليل رأيته عليه السلام في منامي ، فقال : اللون الذي تعجبت منه اختبار من الله لخلقه يختبر به كيف يشاء ، إنها هي لعبرة لأولي الأبصار ، لا يقع فيه على المختبر ذم ، ولسنا كالناس فنتعب كما يتعبون ، نسأل الله ، الثبات والتفكر في خلق الله ، فإن فيه متبعاً ، واعلم أن كلاً منا في النوم مثل كل منا في اليقظة [٣] .

٦٨ ـ **الفضل بن شاذان :**

جده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٤] وكان في طليعة علماء عصره انتاجاً وتأليفاً ، وقد ألف في مختلف العلوم والفنون ، فقد ألف مائة وثمانين كتاباً [٥] ، وقد حظيت بعض مؤلفاته بالرضا والقبول عند

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) الكشي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) النجاشي .

الإمام الأعظم أبي محمد عليه السلام ، وقد قرضها بقوله : هذا صحيح ينبغي أن يعمل به [١] ، ونظر الإمام أبو محمد عليه السلام ، في مؤلف آخر من مؤلفاته فقال : أغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان وكونه بين أظهرهم [٢] .

وكان الإمام أبو محمد عليه السلام يجل الفضل ، ويكبره ، وقد ترحم عليه ثلاثاً ولاءً [٣] ، وروى الكشي بعض الأخبار القادحة فيه وهي مدخولة ، قد وضعها الحاقدون على هذا العملاق العظيم الذي ساهم في بناء عقيدة أهل البيت عليهم السلام فجزاه الله خيراً ، وحشره في زمرتهم .

ـ ق ـ

٦٩ ـ قاسم بن هشام :

اللؤلؤي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأضاف أنه يروى عن أبي أيوب [٤] ، وقال النجاشي : إن له كتاب (النوادر) [٥]

ـ م ـ

٧٠ ـ محمد بن إبراهيم :

ابن مهزيار عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٦] ،

---

(١) الكشي .
(٢) الكشي .
(٣) الكشي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) النجاشي .
(٦) رجال الطوسي .

وروى محمد بن يعقوب بسنده عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار قال : شككت عند مضي أبي محمد عليه السلام ، واجتمع عند أبي مال جليل ، فحمله وركب السفينة وخرجت معه، مشيعاً فوعك وعكاً شديداً، فقال: يا بني ردني فهو الموت ، وقال لي : اتق الله في هذا المال ، وأوصى إلي فمات ، فقلت في نفسي : لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح ، أحمل هذا المال إلى العراق ، وأكتري داراً على الشط ، ولا أخبر أحداً بشيء ، وإن وضح لي شيء كوضوحه في أيام أبي محمد (ع) أنفقته ، وإلا قصفت به ، فقدمت العراق ، وأكتريت داراً على الشط ، وبقيت أياماً ، فإذا أنا برقعة مع رسول فيها يا محمد معك (كذا وكذا) في جوف (كذا وكذا)، حتى قص علي جميع ما معي مما لم أحط به علماً ، وسلمته إلى الرسول ، وبقيت أياماً لا يرفع لي رأس ، واغتممت فخرج قد أقمناك مكان أبيك فاحمد الله [1] ، وفي هذا دلالة على سمو مكانة إبراهيم ، وعظيم شأنه .

٧١ ـ محمد بن أبي الصهبان :

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [2] وكذلك عده البرقي [3] .

٧٢ ـ محمد بن أحمد :

ابن جعفر القمي العطار عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام وأضاف أنه وكيله ، وقد أدرك أبا الحسن عليه السلام [4] .

---

(١) أصول الكافي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال البرقي .
(٤) رجال الطوسي .

٧٣ ـ محمد بن أحمد :

ابن مطهر عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام مضيفاً أنه بغدادي يونسي [١] .

٧٤ ـ محمد بن أحمد :

ابن نعيم ، أبو عبد الله الشاذاني ، النيسابوري . عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٢]، وروى الصدوق بسنده عن محمد بن أحمد بن شاذان ، قال : اجتمع عندي مال للقائم عليه السلام خمس مائة درهم ينقص منها عشرون درهماً ، فأنفت أن أبعث بها ناقصة هذا المقدار فأتممتها من عندي ، وبعثت بها إلى محمد بن جعفر ، ولم أكتب مالي فيها ، فأنفذ إلى محمد بن جعفر القبض، وفيه: وصلت خمسمئة درهم لك منها عشرون درهماً [٣] وقد ورد توقيع من الإمام قائم آل محمد (ع) في حقه جاء فيه « وأما محمد بن شاذان بن نعيم فإنه رجل من شيعتنا أهل البيت » [٤] .

٧٥ ـ محمد بن أحمد :

الجعفري ، القمي عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأضاف أنه كان وكيله ، وأنه أدرك أبا الحسن عليه السلام [٥] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) إكمال الدين .
(٤) معجم رجال الحديث.
(٥) رجال الطوسي .

٧٦ ـ **محمد بن بلال :**

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأضاف أنه ثقة [١] .

٧٧ ـ **محمد بن الحسن :**

ابن شمون ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأضاف أنه غالي ، بصري [٢] ، قال النجاشي : إنه واقفي ، ثم غلا وكان ضعيفاً جداً ، فاسد المذهب ، وأضيف إليه أحاديث في الوقف ، وكان مما أضيف إليه أنه قال : سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول : من أخبرك أنه مرضني ، وغسلني ، وحنطني ، وكفنني ، وألحدني ، وقبرني ، ونفض يده من التراب فكذبه ، وقال : من سأل عني فقل حي ، والحمد لله [٣] ، وروى الكشي ، بسنده عنه أنه قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أشكو إليه الفقر ، ثم قلت في نفسي : أليس قال أبو عبد الله عليه السلام : «الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا، والقتل معنا خير من الحياة مع عدونا». فرجع الجواب إن الله عز وجل ، يمحص أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر ، وقد يعفو عن كثير ، وهو كما حدثتك نفسك ، الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا ، ونحن كهف من التجأ إلينا ، ونور من استضاء بنا ، وعصمة لمن اعتصم بنا ، ومن أحبنا كان معنا في السنام الأعلى ، ومن انحرف عنا فإلى النار [٤] .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) النجاشي .

(٤) الكشي .

وفاته :

توفي محمد بن الحسن سنة ٢٥٨هـ [١] وقد عمر مائة وأربع عشرة سنة [٢] .

٧٨ ـ محمد بن الحسن الصفار :

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام، وأضاف أن له إليه عليه السلام مسائل، ويلقب بالمملولة[٣]، وقال النجاشي: إنه كان وجهاً في أصحابنا القميين ، وأنه ثقة ، عظيم القدر ، راجح ، قليل السقط في الرواية ، له كتب منها : كتاب الصلاة ، كتاب الوضوء ، كتاب الجنائز ، كتاب الحج ، كتاب النكاح ، كتاب الطلاق ، كتاب العتق ، والمكاتبة ، والتدبير ، كتاب التجارات ، كتاب المكاسب ، كتاب الصيد والذبائح ، كتاب الحدود ، كتاب الديات، كتاب الفرائض ، كتاب المواريث ، كتاب الدعاء ، كتاب المزار ، كتاب الرد على الغلاة ، كتاب الأشربة ، كتاب المروة ، كتاب الزهد ، كتاب الخمس ، كتاب الزكاة ، كتاب الشهادات ، كتاب الملاحم ، كتاب التقية ، كتاب المؤمن ، كتاب الإيمان والنذور ، كتاب المثالب ، كتاب بصائر الدرجات ، كتاب ما روي في أولاد الأئمةعليهم السلام كتاب ما روى في شعبان ، كتاب الجهاد ، كتاب فضل القرآن[٤] . توفي هذا الشيخ الجليل سنة ٢٩٠هـ [٥] .

---

(١) النجاشي .
(٢) النجاشي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) النجاشي .
(٥) النجاشي .

٧٩ ـ محمد بن الحسين :

ابن أبي الخطاب عده من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأضاف أنه كوفي زيات [١] ، قال النجاشي : إنه جليل من أصحابنا عظيم القدر ، كثير الرواية ، ثقة عين ، حسن التصانيف ، مسكون إلى روايته ، له كتاب التوحيد ، كتاب المعرفة والبداء ، كتاب الرد على أهل القدر ، كتاب الإمامة ، كتاب اللؤلؤة ، كتاب وصايا الأئمة عليهم السلام ، كتاب النوادر [٢] وعده ابن شهراشوب من ثقات الإمام أبي محمد عليه السلام ، توفي هذا العالم الجليل سنة ٢٦٢هـ.

٨٠ ـ محمد بن جعفر :

العمري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٣] ، وقال الكشي : كان أبوه حفص وكيل الإمام أبي محمد عليه السلام .

٨١ ـ محمد بن الربيع :

ابن السويد السائي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٤] .

٨٢ ـ محمد بن زياد :

عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام من دون أن يضيف إلى ذلك شيئاً [٥] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) النجاشي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .

٨٣ ـ محمد بن صالح

الأرمني ، عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [١] .

٨٤ ـ محمد بن صالح :

ابن محمد ، الهمداني ، وكيل الدهقان ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٢] ، وقال الشيخ الصدوق : أنه ممن وقف على معجزات الإمام المنتظر عليه السلام [٣] .

٨٥ ـ محمد بن صالح :

الخشعمي ، عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٤] .

٨٦ ـ محمد بن عبد الحميد :

ابن سالم ، العطار الكوفي ، مولى بجيلة ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٥] ، قال النجاشي : إنه ثقة من أصحابنا الكوفيين له كتاب النوادر [٦] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) إكمال الدين .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) النجاشي .

٨٧ ـ محمد بن عثمان :

العمري، يكنى أبا جعفر ، الثقة الأمين ، كان هو وأبـوه وكيلين من جهة مصلح الدنيا قائم آل محمد عليه السلام ، وقد تضافرت الأخبار في جـلالته ، وسمو مكانتـه ، فقد سـأل أحمد بن إسحـاق الإمام أبـا محمد عليـه السلام ، قال : من أعامل ، أو عمن آخـذ ، وقول من أقبل ؟ . فقال عليـه السلام لـه : العمري ـ يعني عثمان بن سعيد ـ وابنه ـ يعني محمد ـ ثقتـان ، فما أديـا إليك فعني يؤديان[١]»، وقد خرج التوقيع من الإمام القائم عليه السـلام في التعزيـة له بوفـاة أبيه عثمـان رحمه الله ، وفيـه :«أجزل الله لـك الثواب وأحسن إليـك العزاء ، رزيت ورزينا ، وأوحشك فراقه وأوحشنا ، فسره الله في منقلبه ، كان من كمال سعادته ، أن رزقه الله ولـداً مثلك يخلفه من بعـده ، ويقوم مقـامه ، بأمره ، ويتـرحم عليه ، وأقـول : الحمد لله فـإن الأنفس طيبة بمكـانك ، ومـا جعله الله عـز وجل فيـك وعندك ، وأعـانك الله وقـواك ، ووفقك ، وكـان لك ولياً ، وحافظاً وراعياً ، وكافياً [٢]» .

روى الصـدوق بسنـده عن عبـد الله بن جعفـر الحميـري، قـال: سـألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه، فقلت له: رأيت صاحب الأمر عليه السلام ؟ فقال : نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام ، وهو يقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني»، وقال محمد بن عثمان : ورأيته صلوات الله عليه ، متعلقاً بـأستار الكعبة في المستجار ، وهو يقول : اللهم انتقم من أعدائك [٣] .

انتقـل هـذا الثقـة الأمين إلى رضـوان الله في شهـر جمـادى الأول

---

(١) الكافي الجزء الأول ، كتاب الحجة .

(٢) معجم رجال الحديث ١٦ / ٣١٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه الجزء الثاني باب نوادر الحج .

سنة ٣٠٥هـ [١] .

٨٨ ـ **محمد بن علي :**

ابن بلال ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٢] وكان ثقة إلا أنه انحرف عن طريق الحق ، وانغمس في الباطل ، فقد نهب الأموال التي كانت عنده للإمام عليه السلام ، ولم يسلمها إلى وكيله محمد بن عثمان ، وادعى أنه الوكيل ، وقد تبرأت الجماعةمنه [٣]

٨٩ ـ **محمد بن علي :**

التستري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٤] ، وكذلك عده البرقي .

٩٠ ـ **محمد بن علي :**

الزراع ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام .

٩١ ـ **محمد بن علي :**

القسري ، عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [٥] .

---

(١) معجم رجال الحديث : ١٦/ ٣١٠.
(٢) رجال الطوسي .
(٣) معجم رجال الحديث ١٦/ ٣٥٠.
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .

٩٢ ـ محمد بن علي :

الكاتب ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [١] .

٩٣ ـ محمد بن عيسى :

ابن عبيد اليقطيني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام مضيفاً أنه بغدادي يونسي[١]، قال النجاشي : إنه جليل في أصحابنا ، ثقة ، عين ، كثير الرواية ، حسن التصانيف ، روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام مكاتبة ، ومشافهة ، ذكر أبو جعفر بن بابويه عن ابن الوليد أنه قال : ما تفرد به محمد بن عيسى من كتب يونس وحديثه لا تعتمد عليه ، ورأيت أصحابنا يذكرون هذا القول ، ويقولون : من مثل أبي جعفر محمد بن عيسى سكن بغداد .

وذكر محمد بن جعفر الرزاز أنه سكن سوق العطش ، له من الكتب : كتاب الإمامة ، كتاب الواضح المكشوف ، في الرد على أهل الوقوف ، كتاب المعرفة ، كتاب بعد الأسناد ، كتاب قرب الإسناد ، كتاب الوصايا ، كتاب اللؤلؤة ، كتاب المسائل المحرمة ، كتاب الضياء ، كتاب ظرائف ، كتاب التوقيعات ، كتاب التجمل والمروة ، كتاب الفيء والخمس ، كتاب الرجال ، كتاب الزكاة ، كتاب ثواب الأعمال ، كتاب النوادر [٣] .

٩٤ ـ محمد بن موسى :

السريعي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد ، وأضاف أنه

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) معجم رجال الحديث : ١٧ / ١٢٦ .

غالي [1] ، قال الكشي : إنه ومحمد بن موسى الشريقي كانا من تلامذة علي بن حسكة ، ملعونون لعنهم الله [2] ، وروى جماعة عن أبي محمد التلعكبري عن أبي علي محمد بن همام ، قال : كان السريعي يكنى بأبي محمد . . وكان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي عليهما السلام ، وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه ، ولم يكن أهلاً له ، وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم ، وما هم منه براء ، فلعنته الشيعة وتبرأت منه ، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه . . ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد [3] .

٩٥ ـ محمد بن موسى :

النيسابوري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [4] ، وقد أرسل الإمام عليه السلام بيده رسالة إلى إبراهيم بن عبده [5] .

٩٦ ـ محمد بن موسى :

ابن فرات ، عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [6] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) الكشي .
(٣) معجم رجال الحديث ٣٢٣/١٧.
(٤) رجال الطوسي .
(٥) معجم رجال الحديث.
(٦) رجال الطوسي .

٩٧ ـ محمد بن يحيى :

ابن زياد ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [(١)] .

٩٨ ـ محمد بن يحيى :

المعاذي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [(٢)] .

٩٩ ـ محمد بن يزداد :

عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [(٣)] .

ـ هـ ـ

١٠٠ ـ هارون بن مسلم :

ابن سعدان ، كوفي الأصل ، ثم تحول إلى البصرة ، ثم إلى بغداد ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [(٤)] ، قال النجاشي : إنه ثقة وجه ، وكان له مذهب في الجبر والتشبيه ، لقي أبا محمد وأبا الحسن عليهما السلام ، له كتاب التوحيد ، وكتاب الفضائل ، وكتاب الخطب ، وكتاب المغازي ، وكتاب الدعاء ، وله مسائل لأبي الحسن الثالث عليه السلام [(٥)] .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

(٥) النجاشي .

١٠١ - يحيى البصري :

عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [(١)] .

١٠٢ - يعقوب بن إسحاق :

البرقي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [(٢)] .

١٠٣ - يعقوب بن منقوش :

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [(٣)] ، وروى الصدوق بسنده عن يعقوب بن منقوش ، قال : دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ، فقلت له : يا سيدي من صاحب هذا الأمر ؟ فقال عليه السلام : «أرفع الستر» ، فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي له عشر أوثمان أونحو ذلك ، واضح الجبينين ، أبيض الوجه ، دري المقلتين ، شن الكفين ، معطوف الركبتين ، في خده الأيمن خال ، وفي رأسه ذوابة ، فجلس على فخذ أبي محمد عليه السلام ، ثم قال لي : «هذا صاحبكم» ، ثم وثب ، فقال له : «يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم» ، فدخل البيت وأنا انظر إليه ، ثم قال لي : «يا يعقوب انظر من في البيت» ، فدخلت فما رأيت أحداً [(٤)] .

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) رجال الطوسي .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) إكمال الدين .

١٠٤ ـ يوسف بن السخت :

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [1] ، قال ابن الغضايري : إنه ضعيف ، مرتفع القول ، استثناه القميون من نوادر الحكمة [2] .

الكنى :

أما أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، ورواة حديثه الذين اشتهروا بالكنى فهم :

١٠٥ ـ أبو خلف :

العجلي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأضاف أنه روى عنه علي بن الحسين بن بابويه عن أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام [3] .

١٠٦ ـ أبو محمد :

الإسكافي ، هو علي بن بلال ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام [4] .

١٠٧ ـ أبو البختري :

عده الشيخ من أصحاب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأضاف أنه

---

(١) رجال الطوسي .

(٢) معجم رجال الحديث : ٢٠/٢٠٠ .

(٣) رجال الطوسي .

(٤) رجال الطوسي .

مؤدب ولد الحجاج [1] .

وبهـذا ينتهي بنـا الحـديث عن تـراجم أصحـاب الإمـام ورواة معـارفـه وعلومه ، وقد كان فيهم كوكبة من العلماء والمؤلفين الذين ساهموا في تأسيس الحضارة الإسلامية ، ورفع منار الفكر والعلم في دنيا الإسلام .

(١) رجال الطوسي .

لـم يعد البحث عن العصر الذي نشأ فيـه الإمام الـزكي أبو محمـد عليه السـلام لونـاً من ألوان التـرف ، أو ضربـاً من ضروب الـزخـرفـة ، والتجميـل للكتـاب ، وإنما هـو ضرورة يقتضيهـا البحث العلمي الحديث ، فـإن دراسـة العصـر أصبحت من البحـوث المنهجيـة التي لا غنى للباحث عنها ، لأنهـا تكشف عن واقـع الحيـاة العـامـة التي عـاشهـا الشخص المعني بـالتـرجمـة والبحـث ، كمـا تلقي الأضـواء على مجـريـات الأحـداث التي جـرت ، ومن الـطبيعي إن لذلـك كله تـأثيـراً على سلوك الشخص ، وتكييف حيـاتـه ، فـإن الحياة الاجتماعية ـ كما يقول علماء الاجتماع ـ حياة تأثير وتأثر .

وعلى أي حال فإنا نعرض ـ بصـورة موضـوعية ـ إلى الكثيـر من جوانب الحياة العامة في العصر الذي نشأ فيـه الإمام أبـو محمد عليـه السلام، وفي ما يلي ذلك .

الحياة الاقتصادية :

قبل أن نلقي الضوء على الحياة الاقتصاديـة في عصر الإمـام أبي محمد عليه السلام نود أن نبين بصورة سريعة إلى أن الإسـلام قد اهتم اهتمـاماً بـالغاً بتـطوير اقتصـاد الأمة ، وتـنمية الدخـل الفردي ، وازدهـار الاقتصـاد العـام ،

واعتبر الفقر كارثة مدمرة، يجب القضاء عليه بجميع الطرق والوسائل . فقد قارن بين الكفر والفقر ، وكما يجب القضاء على الكفر في شريعة الإسلام ، كذلك يجب القضاء على الفقر ، وقد ألزم حكام المسلمين وأكد على ولائهم بالعمل لإنقاذ المسلمين من خطر البؤس والحرمان اللذين هما السبب في إشاعة الانحراف الفكري ، والعقائدي بين الناس .

وكان من بين المناهج الخلاقة التي يتركز عليها الاقتصاد الإسلامي ، أنه حدد تصرفات المسؤولين والحكام ، فلم يجز لهم بأي حال التلاعب في خزينة الدولة لأنها ملك للمسلمين ، وليست ملكاً لأحد ، ويجب أن تنفق على صالح المسلمين ، وليس لرئيس الدولة ولا لأي أحد من أعضاء حكومته ، أن يصطفوا منها ما شاؤ ا لأنفسهم وذوي قرباهم ، فإن في ذلك خيانة لله ، وخيانة للمسلمين .

أما نظام الحكم العباسي ـ ففي جميع أدواره ـ قد تبنى سياسة اقتصادية خاصة شذت بجميع مخططاتها عن منهج الإسلام الأصيل ، وابتعدت عما قنّنه من وجوب الاحتياط الكامل في أموال الدولة ، ووجوب انفاقها على نشر الرخاء بين الناس . . وفي ما يلي عرض موجز لهيكل الاقتصاد العام في العصر العباسي .

واردات الدولة :

كان أكثر واردات الدولة تجبى من الخراج والصدقات ، وهي تقدر بملايين الدنانير ، فكان متوسطها ـ فيما يقول بعض المؤرخين ـ يبلغ في كل عام ثلاثمائة وستين ألف ألف درهم [1] وربما زادت في بعض الأعوام فبلغت

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٥/٧٩ .

خمسمئة ألف ألف درهم [١] ، وكانت للدرهم قيمة ملحوظة في ذلك العصر فكان يساوي قيمة شاة ، أو قيمة زق من العسل ، أو قيمة زق من السمن ، كما كان الدينار يساوي قيمة جمل [٢] ، ومن المؤسف أن هذه الأموال الطائلة لم تكن تنفق على تطوير الحياة العلمية والصحية والاقتصادية حسبما يريده الإسلام ، وإنما كانت تذهب إلى جيوب الحكام ، فينفقونها بسخاء على بناء القصور الشاهقة كما كان يفعل المتوكل ، وعلى الماجنين والمغنين ، والعابثين ، وغير ذلك من شؤون الحياة الفاسقة .

العنف في جباية الخراج :

أما العنف والظلم والتنكيل ، فهو اللغة السائدة في جباية الخراج في أغلب العصور العباسية ، وقد عانى المواطنون ضروباً مرهقة من الجباة السود الذين عدمت الرأفة والرحمة من قلوبهم ، فكانوا يفرضون الضرائب حسب رغباتهم وأطماعهم ، ومن يمتنع أو يتخلف عن أداء ما فرض عليه فمصيره القبور أو السجون ، يقول الجهشياري : كان أهل الخراج يعذبون بصنوف العذاب من السباع والزنابير ، وكان محمد بن مسلم خاصاً بالمهدي فلما تقلد الخلافة ، ووجد أهل الخراج يعذبون شاور محمد بن مسلم فيهم ، فقال له : يا أمير المؤمنين هذا موقف له ما بعده ، وهم غرماء المسلمين ، فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء ، فأمر برفع العذاب عنهم [٣] ، وفي عهد الرشيد طعن الناس في الفضل بن يحيى البرمكي ، وكان والياً على خراسان ، وقد أكثروا من الشكوى منه ، فعزله الرشيد ، وولى مكانه علي بن عيسى ، فقتل وجوه

---

(١) الوزراء والكتاب (ص ٢٨٨).

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر .

(٣) الوزراء والكتاب (ص ١٤٢).

أهل خراسان ، وجمع أموالاً خطيرة ، وحمل إلى الرشيد ألف بدرة معمولة من الحرير وفيها عشرة آلاف ألف درهم[1] ، وقد عانى أهل الموصل في جباية الخراج أشد ألوان الظلم ، فقد كان الوالي عليهم من قبل الرشيد يحيى بن سعيد فطالبهم بخراج سنين مضت ، وجلد أكثرهم[2] .

إن شريعة الإسلام قد ألزمت الولاة بالرفق بالرعية ، وإصلاح أوضاعهم الاقتصادية ، وأن لا يتعرضوا لأي ضغط من الحكام في جلب الخراج والصدقات منهم ، ولكن أكثر ملوك بني العباس لم يعنوا بذلك ، وساسوا الأمة في جباية الخراج منها بالعنف والقهر .

زيادة الخراج :

أما زيادة الخراج فظاهرة منتشرة بين عمال العباسيين ، فقد كان العمال يطالبون الناس بأكثر مما عليهم ليقطعوا قسماً من الأموال لأنفسهم ، ولما ولي أبو عبيد الله بن يسار الوزارة من قبل المهدي جعل الخراج على النخل والشجر ، واستمرت الحال من بعده على ذلك[3] .

وعانت مصر أشق ألوان المحن والخطوب في أمر الخراج فقد زاد حاكمها موسى بن مصعب على كل فدان ضعف ما تقبل به ، وجعل خراجاً على أهل الأسواق ، وعلى الدواب ، وعاد إلى الرشوة في الأحكام ، وقد هجاه أحد شعراء ذلك العصر بقوله :

لو يعلم المهدي ماذا الذي   لم يفعله موسى وأيوب

---

(١) الوزراء والكتاب (ص ٢٦٨) .

(٢) الكامل التاريخ : ٢٦٨/٦ .

(٣) الفخري (ص ١٦٤) .

بـأرض مصر حين حلا بها لم يتهم في النصح يعقوب [١]

وقد ثار عليه اليمانية والقيسية من جراء ظلمه [٢] ويقول ابن تغري : إنه شدد على الناس في استخراج الخراج ، وزاد على كل فدان ضعف ما كان أولاً ، ولقي الناس منه شدائد ، وساءت سيرته ، وارتشى في الأحكام . . فكرهه الجند ، وتشغبوا عليه ونابذوه لأنه كان غاشماً ظالماً [٣] .

إن هذه الأعمال بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وواقعه وهي لا تمثل إلا عصابة من اللصوص وقطاع الطرق من الذين أوغلوا في الجريمة والاثم . . يقول عمر بن عبيد للمنصور الدوانيقي : إن من وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور ، وما يعمل من وراء بابك بكتاب الله ، ولا بسنة نبيه [٤] .

إستئثار العباسيين بأموال الدولة :

واستأثر العباسيون بأموال الدولة ، واصطفوا لأنفسهم وأرحامهم ما شاءوا ، فقد كان محمد بن سليمان العباسي دخله في اليوم مائة ألف درهم [٥] ، ولما هلك أبقى تركة عظيمة أخذ منها الرشيد ستين إلف درهم [٦] ، ويقول المؤرخون : أنه تدافقت الأموال على الخيزران حتى بلغت غلتها مائة ألف ألف وستين ألف درهم وقدر بعض المؤلفين هذا المبلغ

---

(١) يعقوب بن داود هو وزير المهدي ، وفيه يقول الشاعر :

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

(٢) الولاة والقضاة (ص ١٢٥ ـ ١٢٦).

(٣) النجوم الزاهرة : ٢/٥٤، خطط المقريزي: ٢/٩٤.

(٤) الأخبار الطوال (ص ٣٨٤).

(٥) الوزراء والكتاب (ص ٢٥٠).

(٦) النجوم الزاهرة :٢/٧٥.

بما يعادل نصف خراج المملكة آنئذ وثلثي غلّة روكفلر في هذا القرن ، وقد وجد عند قبيحة زوجة المتوكل مليون وثمان مائة ألف دينار ، وكانت أم المقتدر في غاية الغنى والثروة [١] ، يقول فيها ابن الجوزي : كانت لها أموال عظيمة تفوق حد الإحصاء وكان يرفع لها من ضياعها في كل عام ألف ألف دينار [٢] .

وقد أغدق ملوك العباسيين على أرحامهم الأموال الطائلة ، فقد فرق الرشيد في أعمامه وأهله أموالاً لم يفرقها أحد من الخلفاء قبله [٣] ، وقد فرض المنصور الدوانيقي لكل واحد من أعمامه ألف ألف درهم [٤]، وقد تنامت الأسرة العباسية حتى بلغت في عصر المأمون ثلاثة وثلاثين ألفاً [٥] ، وقد استأثرت هذه الأسرة التي لا نعرف لها أية جهة من الامتياز على بقية المسلمين، بأموال الدولة ، وتمتعت بالثروات الهائلة في حين أن بقية أفراد الشعوب الإسلامية غارقون في البؤس والفقر والحرمان .

الهبات الهائلة للجواري :

وبالغ ملوك العباسيين في هباتهم للجواري والمغنيات ، فقد وهب الرشيد لجاريته «دنانير» في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار [٦] وأعطى المقتدر بعض حظاياه الدرة اليتيمة ، وكان وزنها ثلاثة مثاقيل [٧] . وذكر

---

(١) نشوار المحاضرات ١/٢٩٣ .
(٢) المنتظم ٦/٢٥٣ .
(٣) النجوم الزاهرة ٢/٦٥ .
(٤) الكامل في التاريخ ٦/٣١٩.
(٥) الكامل في التاريخ : ٦/٣١٩.
(٦) المستظرف من أخبار الجواري (ص ٢٨) لصلاح الدين .
(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٨٤).

الأصفهاني أن حمويه استأجر لجاريته ذات الخال من بعض الجوهريين بدنة وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف ألف دينار فلما رآها الرشيد أعجب بها ، وسأل عنها فأخبره بأنها حلى مستأجرة فأمر بشرائها ، ووهبها للجارية [1] . وكان المقتدر العباسي يدعو بالأموال فيلعب بها ويمحقها ويهبها للنساء والجواري [2] . وكانت للمتوكل جارية تسمى (فضل) تجلس على كرسي ، وهي تعارض الشعراء بحضرته ، فقال لها حينما اشتراها : - « أشاعرة أنت ؟» .

- « كذا يزعم من باعني واشتراني » .

فضحك المتوكل ، وقال لها : « انشديني من شعرك » فانشدت :

استقبل الملك أمام الهدى   عام ثلاث وثلاثينا
خلافة أفضت إلى جعفر   وهو ابن سبع بعد عشرينا
إنا لنرجو بإمام الهدى   أن يملك الملك ثمانينا
لا قدَّر الله أمرأً ألم يقل   عند دعائي لك آمينا

فاستحسن المتوكل الأبيات ، وأمر لها بخمسين ألف درهم [3] .

ونكتفي بهذه النماذج اليسيرة من الهبات للجواري للتدليل على تبديد العباسيين لثروات الأمة ، وإنفاقها على شهواتهم من دون أن يعنوا بصالح المجتمع وتطوير وسائل حياته .

هبة قرية من الفضة :

ولنقرأ هذه القصة التي هي من عجائب العصر العباسي . وتمثل مدى

---

(١) الأغاني : ١٦/٢٢٦ .

(٢) سمط النجوم العوالي ٣/٣٥٤ .

(٣) نساء الخلفاء (ص ٨٦) لابن الساعي .

استهتار أولئك الملوك بأموال الأمة ، فقد روى المؤرخون أنه صنعت قرية من فضة فيها كل ما في القرى من بقر وغنم وجمال وجواميس وأشجار ونبات ومساحة، وقد صنع كل ذلك بأدق صنعة من الفضة ، وأنفق عليها الأموال الطائلة ، وقد صنعت للخليفة المقتدر ليرى كيف تكون القرى .

وكان لأم المقتدر خادمة تُسمى (نظم) وكانت بارعة ذكية ، وقد استولت على زمام الأمور ، لها رفيق يُسمى أبو القاسم يوسف بن يحيى ، فرفعته ، وقربته إلى البلاط ، وعرفته على أم المقتدر ، حتى صار من المقربين عندها ، وعزم أبو القاسم على ختان ولده ، فأعد وليمة كبيرة للختان ، وأنفق على ذلك ما لم يسمع أن فعل مثله من حواشي الخلفاء ، وقد جاءته رفيقته (نظم) بما يحتاجه من الأموال والثياب والآنية ، وسألتها أم المقتدر : هل بقي شيء يريده ؟ فقالت لها : نعم ، فأمرتها بأن تحمل له ما يريده من القصر فحملت له الأموال الكثيرة وقالت له : هل بقي في نفسك شيء ؟ فقال لها : « نعم ولكن لا أجسر على مسألته » .

- « وما هو ؟ » .

- « اشتهي إعارة القرية الفضية التي عُملت لأمير المؤمنين ليراها الناس في داري ، ويشاهدوا ما لم يشاهدوا مثله فيعلموا ما لي من الأختصاص والعناية . . » .

فوجئت نظم ، وقالت له : هذا شيء عمله الخليفة لنفسه ، ومقداره عظيم ، وفي هذه القرية مئات الآلاف من الدراهم ، ولكني اسأل السيدة . ولما جاء الليل أقبلت نظم فقال لها أبو القاسم :

« ما الخبر ؟ » .

« كل ما تحب ، جئتك بالقرية هدية لك، لا عارية، مع صلة جزيلة من أمير المؤمنين . . » .

وسارع أبو القاسم قائلاً :

« ما الخبر ؟ . . » .

مضيت من عنـدك وأنـا منكسـرة القلب ، فـدخلت على السيـدة فقـالت لي :

- « من أين جئت ؟ . . » .
- « من عند عبدك يوسف على أن يختن أبناءه غداً » .
- « أراك منكسرة . . » .
- « ببقائك ما أنا منكسرة . . » .
- « ففي وجهك حديث ! » .
- « خير . . » .
- « بالله عليك ماذا ؟ » .

فـأخبرتهـا بالأمـر ، فأمسكت أم المقتـدر قليلاً ، ثم قـالت : هذا شيء عمله الخليفة لنفسه كيف يحسن أن يُرى في دار غيره ، وكيف يحسن أن يقال إن الخليفة استعاره منه بعض خدمه ، ثم استرده منـه ، وليس يجوز أن اسـأله هبتها له ، لأني لا أدري إن كان قد ملها وشبع منهـا أو لا ، فإن كـان قد ملهـا فقيمتها عليه هينة ، وإن لم يملها لم أرض أن آخذها منه ، وسأسبر ما عنده ، واستدعت جـارية فأمرتها أن تتعرف على خبر الخليفـة ، فمضت وقالت لهـا : إنه عند فلانة إحدى جواريـه ـ فأخـذت نظم معهـا ، ودخلت عليه ، فقـابلها بمزيد من التكريم والاحترام وقال لها :

« ليس هذا من أوقات تفضلك وزيارتك » .

فـالتفتت إلى نظم ، وقـالت لها : متى عـزم يوسف على ختـان ولـده ؟ فقالت لها : غداً ، فقال المقتـدر : إن كان يحتـاج إلى شيء آخر أمـرت به ، فقالت : إنه مستكفٍ وواع ، ولكنه التمس شيئاً ما استحسن خطابك فيه .

ـ « ما هو ؟».

ـ « إنه يريد أن يشرف على أهل المملكة ، ويروا عنده ما لم ير في العالم مثله . . ».

ـ « ما هو ؟».

ـ « أن تعيره القرية فإذا رآها الناس، ارتجعت. . ».

فتبسم المقتدر وقال لأمه : هذه والله طريفة يستعيرها خادم لنا ، وتكونين أنت شفيعة ، فأعيره ثم ارتجعه ، هذا من عمل العوام لا الخلفاء ، وهبت له القرية فمري بحملها بجميع آلاتها إليه ، وقد رأيت أن أشرفه بشيء آخر يحمل إليه غداً جميع وصائفنا ، ولا يطبخ لنا شيء . . .

وأمرت السيدة بنقل القرية فتملكها أبو القاسم [1] ، وهذه القصة تكشف عن مدى تبذير أولئك الملوك بأموال المسلمين ، وإنفاقها بلا حساب على رغبات نسائهم وجواريهم .

الهبات الضخمة للشعراء :

وتكاد وسائل الأعلام في ذلك العصر تنحصر بالشعراء ، فهم الذين كانوا يدعمون الحكم العباسي ، ويذيعون الفضائل المفتلعة لملوك العباسيين ، ويقدمونهم على خصومهم العلويين دعاة العدل الاجتماعي في الإسلام ، وكان العباسيون يكيلون للشعراء الأموال كيلاً ، ويمنحونهم الثراء العريض ، ومن بين الشعراء الذين حظوا بالأموال الطائلة :

١ ـ أبو الشبل البرجمي :

وفد أبو الشبل البرجمي الكوفي على المتوكل فأنشده قصيدة مؤلفة من

(١) بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي (ص ١٧ ـ ٢٢) نقلاً عن المنتظم لابن الجوزي ٧٢/٦.

ثلاثين بيتاً استهلها بقوله :

أقبلي فالخير مقبل واتركي قول المعلل
وثقي بالنجح إذ أبـ ـصرت وجهَ المتوكل

فأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم (١) .

٢ ـ الصولي :

ولما عقد المتوكل البيعة لأبنائه الثلاثة من بعده وهم : المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد ، أذن للناس إذناً عاماً ليهنئوه بذلك ، فانبرى الصولي وأنشد قصيدته التي يقول فيها :

أصبحت عرى الإسلام وهي منوطة بالنصر والإعزاز والتأييد
بخليفة من هاشم وثلاثة كنفوا الخلافة من ولاة عهود
قمر توالت حوله أقماره فحففن مطلع سعده بسعود
كنفتهم الآباء واكتنفت بهم فسعوا بأكرم أنفس وجدود

فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم ، وأمر له ولاة عهده بمثلها (٢) .

٣ ـ إبراهيم بن المدبر :

وممن حظي بالثراء العريض إبراهيم بن المدبر فقد وفد على المتوكل ، وكان مريضاً وابل من مرضه ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

اليوم عاد الدين غـ ـض العود ذو ورق نضير
يا رحمة للعالمـ ـمين ويا ضياء المستنير
يا حجة الله التي ظهرت له بهدى ونور

---

(١) الأغاني ١٤/١٩٣ طبع دار الكتب المصرية .
(٢) الأغاني .

ومتى كان المتوكل رحمة من الله للعالمين ، وضياء للمستنيرين . أبلياليه الحمراء التي اقترف فيها كل ما حرمه الله من الإدمان على الخمور ، والعزف والغناء . أم بحرثه لقبر ريحانة رسول الله (ص) وتنكيله بزائريه ؟ وطرب المتوكل من هذا المديح وأمر للشاعر بخمسين ألف درهم وأوعز إلى وزيره عبيد الله بن يحيى أن يوليه عملاً جليلاً ينتفع به .

٤ ـ مروان بن أبي الجنوب :

وممن أغدق عليهم المتوكل الأموال الطائلة مروان بن أبي الجنوب فقد هام في مدح المتوكل ، وقد مدحه بقصيدة جاء فيها :

كانت خلافة جعفر كنبوة جاءت بلا طلب ولا بتنحل
وهب الإله له الخلافة مثلما وهب النبوة للنبي المرسل

لم تكن خلافة المتوكل كالنبوة ، فالنبوة رحمة وهداية إلى الناس ، وإنما كانت بالعكس والضد فهي قطعة من الظلم والطغيان والاستبداد والجبروت ، ولم يهب الله له ولا لأمثاله الخلافة ، وإنما وهبها للصالحين من عباده .

وعلى أي حال فما أن أنهى مروان قصيدته حتى وهب له المتوكل خمسين ألف درهم . . . ولما عقد المتوكل ولاية العهد لأبنائه أنشده مروان قصيدة جاء فيها :

ثلاثة أملاك فأما محمد فنور هدى يهدي به الله من يهدي
وأما أبو عبد الإله فإنه شبيهك في التقوى ، ويجدي كما تجدي
وذو الفضل إبراهيم للناس عصمة تقي ، وفي بالوعيد ، وبالوعد
فأولهم نور وثانيهم هدى وثالثهم رشد وكلهم مهدي

فأمر له المتوكل بمائة وعشرين ألف درهم ، وخمسين ثوباً ، وبغلة ، وفرس ،

وحمار ، . . . ومدحه مروان بقوله :

تخشى الإلــه فمــا تـنــام عنــايــة بــالـمسـلمـيـن وكلهـم بـك نــائـم
لــو كــان لـهــاشم فـيـمــا مـضـى سلف ســواك لقـدمت بــك هــاشم

ومتى كان المتوكل يخشى الله أو يرجو له وقاراً ، وهو صاحب الأحداث الجسام في الإسلام ، والذي قضى حياته كلها باللهو والطرب والمجون ؟ . .

وعلى أي حال فقد أعطى المتوكل هذا الشاعر المرتزق مائة ألف دينار من ورق (١) وذهب .

٥ ـ البحتري :

أما البحتري فهو أمير الشعراء في عصره ، وقد جند مواهبه الفكرية والأدبية للثناء على المتوكل ، فأضفى عليه الألقاب الكريمة والنعوت الحسنة ، وديوانه مليء بما قاله فيه ، وقد أغدق عليه المتوكل الأموال الطائلة ، ووهبه الثراء العريض .

٦ ـ علي بن الجهم :

ومنح المتوكل الأموال الكثيرة إلى على بن الجهم ، وقربه إليه وذلك لمديحه إياه، ونصبه العداء لأهل البيت عليهم السلام فقد هجاهم هجاءً مراً، وقدم عليهم العباسيين الذين ليست لهم أية مأثرة أو فضيلة يعتزون بها سوى الظفر بالحكم الذي جاروا فيه ، وقادوا فيه الأمة إلى متاهات سحيقة من الظلم والجور .

ونكتفي بهذا العرض الموجز من الهبات الهائلة للشعراء ، الذين كانوا من أهم وسائل الأعلام في ذلك العصر . . وهذا الإنفاق يصور مدى تبذير أولئك الملوك وتبديدهم لثروات المسلمين ، وتلاعبهم بالاقتصاد العام وتسخيره لدعم ملكهم ، دون أن ينفق شيء منه على تطوير الاقتصاد

(١) أي : فضته .

العام ، وإشاعة الرخاء بين الناس .

بناء القصور :

وأسرف العباسيون إسرافاً هائلاً في بناء القصور فأنفقوا مئات الملايين من الدنانير على بنائها وتزيينها بمختلف أنواع الزينة التي لم ير مثلها في جميع فترات التاريخ ، فقد بنى المتوكل - الذي يسمونه بمحيي السنة - قصره المعروف بالمرج ، فجعل حيطانه من داخل القصر وخارجه ملبسة بالفسيفساء والرخام الملون المذهب ، وجعل فيه صوراً عظاماً من الذهب ، وجعل فيه شجرة عظيمة من الذهب عليها صورة كل طائر ، وهو يصوت ، مكللة بالجواهر . . . وجعل له سريراً من ذهب ، يحمله صورة إنسان ، وصورة أسد ، وصورة ثور ، وصورة نسر ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجواهر ، وقد شبه سريره بكرسي سليمان بن داود ، وقد بلغت نفقاته على البناء والذهب والفضة ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، وقد أمر أن لا يدخل أحد القصر إلا وهو في ثياب من الديباج والوشي وقد أحضر أصحاب الملاهي ، والمعازف والمبطلات فلما جلس في هذه الجنة قال له يحيى بن خاقان : «أرجو يا أمير المؤمنين أن يشكر الله لك بناء هذا القصر ، فيوجب لك به الجنة» ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : «لأنك شوقت الناس بهذا القصر إلى الجنة ، فيدعوهم ذلك إلى الأعمال الصالحة التي يرجون بها دخول الجنة» ، فسر بذلك المتوكل (١) .
ومن القصور التي بناها المتوكل (الجعفري) وقد أنفق على بنائه أكثر من ألفي دينار وأحضر أصحاب الملاهي فلعبوا ، ووهب لهم ألفي درهم (٢) .

وعلى أي حال فقد ذكرنا النفقات الهائلة التي انفقها المتوكل على بناء

---

(١) عيون التواريخ ٦/ورقة ١٧٠ مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين .
(٢) مرآة الزمان : ١٥٨/٦ .

قصوره في كتابنا (حياة الإمام على الهادي عليه السلام) وهي تمثل جانباً كبيراً من عدم التوازن الاقتصادي في ذلك العصر فقد حظيت الأسرة العباسية بواردات الدولة ، وانفقتها على شهواتها وملاذها .

ترف العباسيات :

وكان الجانب الأكبر من اقتصاد الدولة ينفق على سيدات البلاط العباسي ، وقد أغرقن بالترف ، والنعيم ، فكانت السيدة زبيدة مولعة بالوشي الثمين حتى بلغ ثمن الثوب الواحد الذي تلبسه خمسين ألف دينار (١) ، ولم يقتصر هذا الترف على العباسيات ، وإنماسرى إلى نساء الوزراء ، فقد كانت عتابة أم جعفر البرمكي لها مائة جارية ، وكانت كل جارية تلبس من الحلي والجواهر ما يختلف عن الأخرى (٢) .

وعلى أي حال فإنا إذا عرضنا هذا الاقتصاد على النظم الإسلامية لوجدناه منافياً لها ، وبعيداً عنها كل البعد .

بؤس العامة :

وكان من الطبيعي أن تعاني الأغلبية الساحقة من الشعوب الإسلامية البؤس والحرمان بعدما حرمت من خزينة الدولة وانفقت على شهوات الملوك والوزراء وأجهزة الإعلام ، وقد شاع الفقر ، وانتشر في جميع الأوساط ، فقد رأى الأصمعي شاعراً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول :

يا رب إني سائل كما ترى ... مشتمل شملتين كما ترى
وشيختي جالسة فيما ترى ... والبطن مني جائع كما ترى

---

(١) مروج الذهب ٢/٣٦٦ .
(٢) الوزراء والكتاب (ص ١٩٢ .

فمــا تـرى يــا ربنـا فيمــا تـرى [1]

وشكا هذا الشاعر إلى الله ما يعانيه هو وزوجته من ألم الجوع فقد خوت بطناهما وعري جسداهما، وهو يطلب من الله النجدة بالثراء. . وروى الأصمعي أيضاً أنه رأى شاعراً متعلقاً بأستار الكعبة وهو ينشد :

أيــا رب النــاس والمـن والهــدى أمــا لي في هــذا الأنــام قسيم [2]
أمـا تستحي مني وقـد قمت عــارياً أنــاجيــك يـا ربي وأنـت كـريـم
أتــرزق أبنـاء العلوج وقــد عصــوا وتتـرك قـرمـاً [3] من قـروم تميم [4]

ونهش الفقر كبد هذا الشاعر البائس ، فخرج من حدود الأدب والإيمان فعاتب الله عتاباً حاراً ، فـاتهمه بـأنه يـرزق العلوج ، ويحرم سيـداً من سادات بني تميم ، ولم يعلم أن الله يرزق من يشاء من عباده بغير حساب .

وقد صور شعراء ذلك العصر من الذين حرموا من الاتصال بالدولة سوء الحالة الاقتصادية التي كانوا يعانونها ، يقول أبو فرعون الساسي :

وصـبـيـة مـثـل صـغـار الـذر سـود الـوجـوه كـسـواد الـقـدر
جـاء الـشـتـاء وهـم بـشـر بـغـيـر قـمص وبـغـيـر أزر
تـراهـم بـعـد صـلاة الـعـصـر وبـعـضـهـم مـلـتـصـق بصدري
وبـعـضـهـم مـلـتـصـق بـظـهـري وبـعـضـهـم منحـجـر بـحـجـري
إذا بـكـوا عـللتـهـم بـالـفـجـر حـتـى إذا لاح عـمـود الـفـجـر
ولاحـت الشمس خـرجت أسـري عـنـهـم وحـلوا بـأصـول الـجـدر

---

(١) المحاسن والمساوي (ص ٥٨٥).
(٢) القسيم : الحظ.
(٣) القرم : السيد .
(٤) المحاسن والمساوي (ص ٥٨٥) مع ملاحظة اختلاف حركة الروي بين البيتين الأولين ، والثالث).

كأنهم خنافس في جحر ... هذا جميع قصتي وأمري
فارحم عيالي وتول أمري ... فأنت أنت ثقتي وذخري
كنيت نفسي كنية في شعري ... أنا أبو الفقر وأم الفقر[1]

وكأن هذا الشاعر البائس قد عاش في منطقة أصابها الجفاف ، ولم تصلها أية إسعافات ، وقد صور حالة صبيته الصغار بصورة مثيرة ومؤلمة فقد اسودت وجوههم ، وانعدمت نضارة الصبا منهم ، وأقبل عليهم الشتاء وليس عندهم قميص يتقون به من البرد ، قد التصقوا بأبيهم يطلبون منه الغذاء لينقذهم من الجوع ، وهو لا يجد سبيلاً لأغاثتهم ، ويتضرع إلى الله أن يرحمه ، وينقذه من هذه المحنة الحازبة ، وقد كنى نفسه بأنه أبو الفقر وأمه ، فأي مأساة أفظع من هذه المأساة ؟ .

ومن الشعراء الذين عانوا الضيق والحرمان عمرو بن الهدير ، قال مصوراً بؤسه :

وقفت فلا أدري إلى أين أذهب ... وأي أمور بالعزيمة أركب
عجبت لأقدار علي تتابعت ... بنحس فأفنى طول عمري التعجب
ولما طلبت الرزق فانجذ جبله ... ولم يصف لي من بحره العذب مشرب[2]
خطبت إلى الإعدام إحدى بناته ... لدفع الغنى إياي إذ جئت أخطب
فزوجنيها ثم جاء جهازها ... وفيه من الحرمان تخت ومشجب[3]
فأولدتها الحرف النقي فما له ... على الأرض غيري والدُّحين ينسب[4]

---

(١) طبقات ابن المعتز (ص ٣٧٧) كتاب الورقة (ص ٥٧).
(٢) أنجذ حبله : أي انقطع حبله.
(٣) المشجب : خشبات منصوبة توضع عليها الثياب .
(٤) الحرف : الحرمان .

فلو تهت في البيداء والليل مسبل علَيَّ جناحيه لما لاح كوكب
ولو خفت شراً فاستترت بظلمة لأقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد إنسان علي بدرهم لرحت إلى رحلي وفي الكف عقرب
ولو يمطر الناس الدنانير لم يكن بشيء سوى الحصباء رأسي يحصب
ولو لمست كفاي عقداً منظماً من الدر أضحى وهو ودع مثقب
وأن يقترف ذنباً ببرقة مذنب فإن برأسي ذلك الذنب يعصب

إلى أن يقول :

أمامي من الحرمان جيش عرمرم ومنه ورائي جحفل حين أركب (١)

وصور الشاعر بهذه الأبيات ما كان يعانيه من الضياع وتعاسة الزمان ومعاكسته في جميع الأحوال ، وقد غرق بالجوع والفقر في حين أن ذهب الأرض كان يذهب إلى المخنثين والعازفين وغيرهم من أصحاب اللهو والفسق والفجور .

ومن الشعراء البائسين في ذلك العصر أبو الشمقمق ، قال يصف فقره :

ولقد قلت : حين أقفر بيتي من جراب الدقيق والفخاره
فأره قد تجنبن بيتي عائذات منه بدار الإماره
ودعا بالرحيل ذبان بيتي بين مقصوصة إلى طيارة
وأقام السنور في البيت حولاً ما يرى في جوانب البيت فاره
ينفض الرأس فيه من شدة الجو ع وعيش فيه أذى ومرارة
قلت ، لما رأيته ناكس الرأ س كئيباً في الجوف منه حراره
ويك صبراً فأنت من خير سنو ر رأته عيناي قط بحاره
قال لأصبر لي وكيف مقامي وسط بيت قفر كجوف الحماره (٢)

---

(١) العقد الفريد ٦/٢١٦ .

(٢) حياة الحيوان ٥/٢٦٤ .

وحكت هذه الأبيات مدى الفقر الهائل ـ أعاذنا الله منه ـ الذي ألم بهذا الشاعر فترك بيته صحراء موحشة لا طمع فيها للذباب ولا للفار والسنور إذ ليس فيها أي طعام .

ومن الشعراء البائسين في ذلك العصر إسماعيل بن إبراهيم المشهور بالحمدوني قال يصف فقره :

من كان في الدنيا أخا ثروة ... فنحن من نظارة الدنيا
نرمقها من كثب حسرة ... كأننا لفظ بلا معنى [1]

أرأيتم كيف يصعد آهاته وحسراته حينما ينظر إلى أهل الثراء ، فقد عاد في الدنيا كأن لا وجود له ، فهو كلفظ لا معنى له .

استجداء الشعراء :

ونظراً لسوء الحياة الاقتصادية ، وشيوع الفقر والحاجة بين الناس ، فقد أخذ الشعراء الذين لا صلة لهم بالبلاط العباسي يستجدون بشعرهم ، وجعلوه وسيلة للتكسب والحصول على المال ، ونشير إلى بعضهم .

أبو فرعون الساسي :

وافتقر أبو فرعون الساسي : وضاقت به الأرض بما رحبت فوفد على الحسن بن سهل وزير المأمون ومدحه بقصيدة عرض فيها سوء حاله ، وتعاسة أبنائه يقول :

إليك أشكو صبية وأمهم ... لا يشبعون وأبوهم مثلهم
قد أكلوا اللحم ولم يشبعهم ... وشربوا الماء فطال شربهم

(١) المحاسن والمساوي (ص ٢٧٧) .

وامتــذقــوا المــذق فمــا أغنــاهم　　　والمضـغ إن نالـوه فهـو عـرسهم[1]
لا يعـرفـون الخبـز إلا بـاسمـه　　　والتمـر هـيهـات فـليس عنـدهـم
ومـا رأوا فـاكهـة في سـوقهـا　　　ومـا رأوهـا وهي تنحـو نحـوهـم
زعـر الـرؤوس قـرعت هـامـاتهم　　　من البلا واستـك منهـم سمعهـم
كـأنهـم جنـاب أرض مجـدب　　　محـل فلو يعطون أوجى سهمهم[2]
بـل لـو تـراهـم لعلمت أنهـم　　　قـوم قـليـل ريهـم وشبـعهـم
وجحشهم أجـرب منقـور القـرى　　　ومثـل أعـواد الشكـاعي كلبهم[3]
كـأنهـم كـانـوا ـ وإن وليتـهـم　　　طـراً ـ مـوالي وكـنت عـبـدهـم
مـجتـهـداً بـالنصـح لا آلـوهـم　　　أدعـو لهم يـا رب سـلم أمهـم[4]

أرأيتم هـذا الاستجداء المقيت الـذي ألمَّ بالشـاعر فجعله يصـور نفسـه وأبناءه بهذه الصورة المحزنة من الجوع والفقر .

واشتد الفقر بأبي فرعون فكتب إلى بعض قضاة البصرة يسألهم العون . وجاء في رسالته هذه الأبيات :

يـا قـاضي البصـرة ذا الـوجـه الأغـر　　　إليـك أشكـو مـا مضى ومـا غبـر
عـفـا زمـان وشتـاء قـد حـضـر　　　إن «أبا عمرة» في بيتي انحجـر[5]
يضـرب بـالـدف وإن شـاء زمِـر　　　فـأطـرده عني بـدقيق ينـتـظر[6]

إن من العـار على أولئك الملوك الـذين كانت بأيـديهم خـزائن الـدنيـا

---

(١) المذق : اللبن الممزوج بالماء .
(٢) الجنـاب: الناحية ، وجى سهمهم أي أخطأ ولم يصب الهدف .
(٣) القرى : الظهر ، الشكاعي : نبت دقيق العيدان .
(٤) طبقات ابن المعتز (ص ٣٧٨).
(٥) أبو عمرة : من أسماء الجوع والفقر .
(٦) الإمتاع والمؤانسة ٣/ ٣٤ .

يتركون شعوبهم تشيع فيهم الحاجة والحرمان .

أبو الشمقمق :

ومن شعراء ذلك العصر أبو الشمقمق ، فقد كان مملقاً ، وقد قصد بعض ملوك ذلك العصر فأنشدهم قصيدته التي جاء فيها :

يا أيها الملك الذي ... جمع الجلالة والوقاره
إني رأيتك في المنام ... وعدتني منك الزيارة
فغدوت نحوك قاصداً ... وعليك تصديق العباره
إن العيال تركتهم ... بالمصر خبزهم العصاره
وشرابهم بول الحمار ... مزاجه بول الحماره
ضجوا فقلت : تصبروا ... فالنجح يقرن بالصباره
حتى أزور الهاشمي ... أخا الغضارة والنضارة(١)

ومن الطريف أن هذا الشاعر دخل بغداد فرأى بعض الناس لابساً أفخر الثياب إلا أنه عار من النبل ، ورأى بعض القرشيين يرومون المدح والثناء ، ولكن ذلك مجاناً ، فقال في هجائهم :

ليس فيها(٢) مروءة لشريف ... غير هذا القَناع بالطيلسان
وبقينا في عصبة من قريش ... يشتهون المديح بالمجان(٣)

إن هؤلاء الشعراء كانوا يمثلون حياة شعوبهم ، وما يعانونه من جوع وضياع ، وألم ، لأن الحياة الاقتصادية لم تكن سليمة ولا مستقيمة وإنما كانت

---

(١) طبقات ابن المعتز (ص ١٢٧) .
(٢) الضمير في فيها : يرجع إلى بغداد .
(٣) تاريخ بغداد ١٣/١٤٦ .

مشلولة ومضطربة ، فلم تحقق الحكومات العباسية الرخاء بين الناس ، ولم توفر لهم الحياة الكريمة ، فقد كانت واردات الدولة تنفق على أبناء الأسرة العباسية ، وعلى الوزراء ، وكبار رجال الدولة ، في حين أن الأكثرية الساحقة كانت تعيش في فقر وبؤس وشقاء ولم تظفر بالضروريات المعاشية فضلاً عن الكماليات .

موقف الإمام :

أما الإمام أبو محمد عليه السلام فكان يمثل الجبهة المعارضة للحكم العباسي التي كانت تنعى على الحكام استبدادهم بثروات الأمة وسرقتهم لأقواتها .

وكان من أبرز ألوان المعارضة التي اتخذها الإمام أنه حرم على نفسه الاتصال أو التعاون بجميع صوره مع أولئك الملوك الذين اتخذوا مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، وقد جهدوا على إدراج الإمام عليه السلام في جهازهم ، وضمه إليهم ، فلم يستطيعوا ذلك ، فقابلوه بمنتهى الشدة والقسوة ، وضيقوا عليه حياته الاقتصادية وتركوه في ضائقة مالية خانقة ، فقد منعوا وصول المال إليه من شيعته ، إلا أن بعض المحسنين من الشيعة قد قام بدور مشرف فكان يرسل إلى الإمام عليه السلام زقاقاً من السمن ، ويجعل المال فيها [1] ، مما أوجب رفع تلك الضائقة عن الإمام .

وعلى أي حال ، فقد وقف الإمام عليه السلام إلى جانب الفقراء والمحرومين الذين كانوا يعانون الضيق والبؤس من جراء فقدان التوازن في الحياة الاقتصادية ، بسبب نهب أولئك الملوك لثروات الأمة ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الحياة الاقتصادية في عصر الإمام عليه السلام .

---

(١) سفينة البحار ٢/١٥٨ .

الحياة السياسية :

أما الحياة السياسية في عصر الإمام أبي محمد عليه السلام فقد كانت بشعة ومظلمة ، فقد ساد الأرهاق ، وانتشر الجور ، وعمت الفتن ، وكثرت الثورات الداخلية التي تنم عن عدم الاستقرار السياسي ، وفيما أحسب أن ذلك ناشىء مما يلي :

أ ـ تسلط الأتراك على زمام الحكم ، واستبدادهم بجميع شؤون الدولة ، وهم لا يفقهون السياسة ، ولا يعرفون الإدارة ، فظلموا الرعية ، وجاروا في الحكم ، ونشروا الإرهاب .

ب ـ جهل الملوك العباسيين ، وانغماسهم في الشهوات واللذات ، وإهمالهم لجميع شؤون الرعية ، مما سبب حدوث الأزمات السياسية ، في ذلك العصر ، ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض معالم الحياة السياسة السائدة في عصر الإمام عليه السلام .

اضطهاد العلويين :

لقد امتحن العلويون كأشد ما يكون الامتحان ، وأرهقوا إرهاقاً شديداً في أكثر فترات الحكم العباسي ، إذ قام ملوك العباسيين باضطهادهم رسمياً ، وملاحقتهم ومطاردتهم ، وإنزال أقصى العقوبة بهم ، يقول عيسى بن زيد :

إلى الله أشكو ما نلاقي وإننا ... نقتل ظلماً جهرة ونخاف
ويسعد أقوام بحبهم لنا ... ونشقى بهم والأمر فيه خلاف [1]

---

(١) سر السلسلة العلوية (ص ٦٥).

وحكى هـذا الشعر مـا كان يعـانيه العلويـون من القتـل والتنكيـل ظلمـاً وعدواناً من قبل العباسيين الـذين ما نـالوا الملك والسلطان إلا باسم العلويين الذين قدموا المزيد من التضحيات في سبيل تحرير الشعـوب الإسلامية من نيـر الاستبداد الأموي .

ومن الإجـراءات القاسيـة التي اتخذهـا العبـاسيـون ضـد العلويين أنهم فرضوا عليهم الحصار الاقتصادي ، فكانوا في ضائقة مالية مؤلمـة ، يقول يحيى بن عمر العلوي مخاطباً العباسيين :

أبـلغ بنـي العـبـاس قـول امـرىء ... مـا مـال مـن حـق إلـى ظـلـم
إن كـانـت الـدنيـا لهم فـاسمحـوا ... مـنـهـا بـقـوت لـبـنـي الـعـم
وأوسـعـونـا الـقـوت مـن مـالكـم ... فـإنـه أعـدل فـي الـحـكـم [1]

ومعنى هذا الشعر أن العباسيين لم يسمحوا بـالقوت بـل ولا بسد الـرمق للعلويين ، وتـركوا الفقـر جـاثمـاً عليهم ينهش أجسـادهم ، وتشيـر بعض المصـادر إلى أن العلويين في أيام الـطاغية المتـوكل قـد عانـوا من الضيق والحـرمان مـا لا يوصف لفـظاعته ومـرارته ، فكـانوا لا يمكلون إلا عبـاءة واحـدة فإذا أراد العلوي الخـروج من البيت لبسهـا ، وكـذلـك إذا أرادت العلويـة لبستها ، وقـد تحاشى النـاس من الاتصال بهم خـوفـاً من السلطة العـاتية ، فقـد سأل محمـد بن صالـح الحسين إبراهيم بن المـدبر كـريمة عيسى بن موسى الجرمي ومضى إليـه خاطباً ، فأبى أن يجيبه وقال له : لا أكذبك والله إني لا أرده لأني لا أعرف أشرف وأشهر منه ، لمن يصاهره ، ولكني أخاف المتوكل وولده بعـده على نعمتي ونفسي ، وإلى ذلك يشيـر محمد في أبيات نظمها :

(١) سر السلسلة العلوية (ص ٦٣).

خطبت إلى عيسى بن موسى فردني ... فلله والي مرة وعتيقها
لقد ردني عيسى ويعلم أنني ... سليل بنات المصطفى وعريقها
وإن لنا بعد الولادة بيعة ... بني الإله صنوها وشقيقها [1]

وقد امتنع المسلمون من الاتصال بالعلويين بل حتى من السلام عليهم فإن السلطة العباسية تنزل أقصى العقوبات بمن يقابلهم بأي لون من ألوان الحفاوة والتكريم .

وأشد الفترات المظلمة التي مرت على العلويين كانت أيام المتوكل فقد صب عليهم جام غضبه ، وقابلهم بمزيد من القسوة ، والتنكيل ، وقد هاموا على وجوههم في المدن والقرى [2] خوفاً من أن تلقي السلطة عليهم القبض فتسوقهم إلى المقابر أو السجون .

حجاب الإمام :

وعانى الإمام أبو محمد عليه السلام ، صنوفاً شاقة وعسيرة من الظلم والجور أيام المتوكل ، وغيره من الملوك الذين عاصرهم ، فتسلح عليه السلام بهذا الدعاء الشريف ، والتجأ إلى الله تعالى أن يحميه من كيده ، وينجيه من شرهم ، وهذا نصه .

«احتجبت بحجاب الله النور الذي احتجب به عن العيون ، واحتطت على نفسي ، وأهلي وولدي ، ومالي ، وما اشتملت عليه عنايتي ، ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأحرزت نفسي ، وذلك كله ، ما أخاف وأحذر بالله الذي ﴿ لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات

---

(١) مقاتل الطالبيين (ص ٦٠٤).
(٢) مقاتل الطالبيين (ص ٦١٥).

والأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم ، وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه ، إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ، ونسي ما قدمت يداه ﴾ ، ﴿ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة إن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً ، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً ﴾ ، ﴿ أفرأيت من اتخذ إلٓهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وأولئك هم الغافلون﴾ ، ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ، وَلَّوا على أدبارهم نفوراً ﴾ ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين . . . » (١) .

وكشف هذا الدعاء عن مدى المخاوف التي كانت تراود الإمام عليه السلام من العباسيين ، فالتجأ إلى الله تعالى ، وانقطع إليه لينقذه وأهله وولده من ظلمهم ، ويجعله بمأمن من كيدهم ، . . وكان عليه السلام يحترز بالدعاء ، ويتقي به من العباسيين .

« يا عدتي عند شدتي ، ويا غوثي عند كربتي ، ويا مؤنسي عند وحدتي أحرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك الذي لا يرام . . » (٢) .

ويلمس في هذا الدعاء الجليل ما أحاط بالإمام عليه السلام من الخطوب والشدائد من قبل العباسيين فاستجار بالله تعالى ليحرسه ويحميه من

---

(١) مهج الدعوات (ص ٤٤ ـ ٤٥) .
(٢) مهج الدعوات (ص ٤٥) .

ظلمهم وجورهم .

اضطهاد القميين :

واضطهد العباسيون القميين ، وأشاعوا فيهم الجور والإرهاب ، فقد استعملوا عليهم والياً ، موسى بن يحي ، وكان ظالماً شريراً ، تنفر منه النفوس لسوء أخلاقه وتجرده من كل خلق إنساني ، وقد سار فيهم سيرة لم يألفوها من ذي قبل ، فنشر الظلم ، واعتدى عليهم بغير حق ، وقد فزع وجوه القميين وخيارهم إلى الإمام أبي محمد عليه السلام ، وعرضوا عليه ذلك ، فتألم ، وتأثر ، وتضرع إلى الله تعالى أن ينقذهم من شر هذا الباغي اللئيم .

تزويدهم بهذا الدعاء :

وزود الإمام أبو محمد عليه السلام القميين بهذا الدعاء الجليل وطلب منهم أن يدعوا به الله في أثناء قنوتهم ليكشف عنهم هذه المحنة الحازبة ، وهذا نصه :

« الحمد لله شكراً لنعمائه ، واستدعاءً لمزيده ، واستجلاباً لرزقه ، واستخلاصاً له ، وبه دون غيره ، وعياذاً من كفرانه والإلحاد في عظمته وكبريائه ، حمدَ من يعلم أن ما به من نعمائه فمن عند ربه ، وما مسه من عقوبته فبسوء جناية يده ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وذريعة المؤمنين إلى رحمته ، وآله الطاهرين ولاة أمره .

اللهم : إنك ندبت إلى فضلك ، وأمرت بدعائك ، وضمنت الإجابة لعبادك ، ولم تخيب من فزع إليك برغبته ، وقصد إليك بحاجته ، ولم ترجع يداً طالبة صفراً من عطائك ، ولا خائبة من نحل هباتك ، وأي راحل رحل إليك فلم يجدك قريباً ، ووافد وفد عليك فاقطعته عوائق الرد دونك . بل أي

محتفٍ (١) لم يمهه (٢) فيض جودك ، وأي مستنبط لمزيدك دون استماحة سجال (٣) عطيتك .

اللهم : وقد قصدت إليك برغبتي ، وقرعت باب فضلك يدُ مسألتي ، وناجاك بخشوع الاستكانة قلبي ، ووجدتك خير شفيع لي إليك ، وقد علمت ما يحدث من طلبتي قبل أن يخطر بفكري ، أو يقع في خلدي ، فصِلِ اللّهم دعائي إياك بإجابتي ، واشفع مسألتي بنجح طلبتي . . » .

وحوى هذا المقطع على تمجيد الله وحمده ، وبيان نعمه وألطافه على عباده التي منها استجابة دعائهم ، وكشف ما ألمَّ بهم من عظيم المحن والبلوى ، وكان ذلك بأبلغ بيان عرفته اللغة العربية ، وهو مما تتميز به أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ولنستمع إلى بند آخر من هذا الدعاء الجليل :

« اللهم : وقد شملنا زيغ الفتن ، واستولت علينا غشوة الحيرة ، وقارعنا الذل والصغار ، وحكم علينا غَيرُ المأمونين في دينك ، وابتز أمورنا معادن الأبن ممن عطل حكمك ، وسعى في إتلاف عبادك ، وإفساد بلادك ، اللهم وقد عاد فيئنا دولة بعد القسمة ، وإمارتنا غلبة بعد المشورة ، وعدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة ، فاشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة ، وحكم في إيثار(٤) المؤمنين أهل الذمة ، وولي القيام بأمورهم

---

(١) الاختفاء : الاستقصاء والإلحاح في المسألة .

(٢) لم يمهه : أي لم يشمله ويعمه .

(٣) سجال : مفرده سجل الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر ، ولا يقال لها فارغة سجل ، وقوله : وسجال عطيتك من هذا المعنى على الاستعارة مجمع البحرين .

(٤) الابن : العيب .

فاسق كل قبيلة ، فلا ذائد يذودهم عن هلكة ، ولا راع ينظر إليهم بعين الرحمة ، ولا ذو شفعة يشبع الكبد الحرى من مسغبة، فهم أولو ضرع بدار مضيعة ، وأسراء مسكنة ، وخلفاء كآبة ، وذلة . . . » .

وتحدث الإمام العظيم عليه السلام في هذا المقطع عن الأوضاع السياسية الخطيرة السائدة في ذلك العصر ، والتي قلبت المعايير الاجتماعية ، ونسفت القيم ، والمبادىء ، وعادت بالأضرار البالغة على الشعوب الإسلامية، وكان منها ما يلي :

١ ـ انتشار الفتن المروعة بين المسلمين .

٢ ـ ذل المسلمين وهوانهم .

٣ ـ إن الحكم ـ في ذلك العصر ـ قد استولى عليه السفلة والمجرمون ، فحكموا بغير ما أنزل الله ، وكان البارز في سياستهم ما يلي :

أ ـ تعطيل أحكام الله .

ب ـ إن فيء المسلمين صار دولة بأيدي أعوان السلطة ، وعملائها .

د ـ إن أموال الخزينة العامة في الدولة التي يجب أن تنفق على إنعاش اليتامى ، وإعالة الأرامل ، قد صرفت إلى شراء المعازف ، والملاهي ، وانفقت على المغنين واللاهين ، كما أوضحنا ذلك في البحث عن السياسة المالية في ذلك العصر .

هـ ـ إن أغلبية الوظائف في الدولة قد عهد بها إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وحرم منها المسلمون .

و ـ إن الحكومة العباسية في ذلك العصر ، قد ولت الفسقة والفجار ، ومكنتهم من رقاب المسلمين ، فصاروا أسارى لا ذائدَ يذودهم عن هلكة ، ولا راع ينظر إليهم بعين الرحمة ، فأي كارثة أعظم من هذه الكارثة التي حلت بالمسلمين ؟ . . ولنعد بعد هذا لنقرأ لوحة أخرى

من هذا الدعاء الجليل ، ونتأمل فيها .

« اللهم : وقد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نهايته **واستحكم عوده،** واستجمع طريده ، وخذرف [١] وليده ، وبسق [٢] فرعه ، وضرب بجرانه [٣] .

اللهم : فاتح له من الحق حاصدة ، تصدع [٤] قائمه ، وتهشم سوقه [٥] وتجب سنامه ، وتجدع مراغمه ليستخفي الباطل بقبح صورته ، ويظهر الحق بحسن حليته .

اللهم : ولا تدع للجور دعامة إلا قصمتها ، ولا جُنة إلا هتكتها ، ولا كلمة مجتمعة إلا فرقتها ، ولا سرية ثقل [٦] إلا خففتها ، ولا قائمة علو إلا حططتها ، ولا رافعة علم إلا نكستها ، ولا خضراً إلا أبرتها[٧] .

اللهم : فكور شمسه ، وحط نوره ، واطمس ذكره ، وارم بالحق رأسه ، وفض جيوشه ، وأرعب قلوب أهله .

اللهم : ولا تدع منه بقية إلا أفنيت ، ولا بنية إلا سويت، ولا حلقة إلا قصمت ، ولا سلاحاً إلا أكللت ، ولا حداً ولا كراعاً [٨] إلا اجتحت [٩] ولا حاملة علم إلا نكست .

---

(١) خذرف : أسرع .

(٢) بسق النخل : ارتفعت أغصانه وطالت .

(٣) ضرب بجرانه : أي ثبت واستقر .

(٤) هكذا ورد في الأصل ، ولعل الصحيح تحصد قائمه .

(٥) سوقه : هو ساق الشجرة وجذعها .

(٦) السنام : حدبة في ظهر البعير .

(٧) السرية : قطعة من الجيش .

(٨) أبرتها : أي أهلكتها .

(٩) الكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

اللهم : وأرنا أنصاره عباديد بعد الإلفة ، وشتى بعد اجتماع الكلمة ، ومُقْنعي الرؤوس بعد الظهور على الأمة . . » .

وحكى هذا المقطع عن عظيم الألم الذي يجيش في صدر الإمام عليه السلام من أولئك الحكام الظالمين الذين غيروا معالم الدين ، وأحالوا حياة الأحرار والمصلحين إلى جحيم لا يطاق ، وقد دعا عليهم بهذا الدعاء الحار متضرعاً إلى الله تعالى أن لا يدع لهم ظلاً على الأرض ، وأن ينزل بهم عذابه ، وعقابه ، فيجعلهم حصيداً تذروهم الرياح ، ليشفي بذلك صدور المؤمنين الذين ذاقوا منهم مرارة الظلم ، والجور . . ولنستمع إلى بند آخر من هذا الدعاء الجليل .

« وأسفر لنا عن نهار العدل ، وأرناه سرمداً لا ظلمة فيه ، ونوراً لا شوب معه [١] ، وأهطل علينا ناشئته ، وأنزل علينا بركته وادل له ممن ناواه [٢] وانصره على من عاداه .

اللَّهم : وأظهر الحق ، وأصبح به في غسق الظلم ، وبهم الحيرة .

اللَّهم : وأَحْيِ به القلوب الميتة ، واجمع به الأهواء المتفرقة والآراء المختلفة ، وأقم به الحدود المعطلة ، والأحكام المهملة ، واشبع به الخماص [٣] الساغبة [٤] ، وأرح به الأبدان اللاغبة [٥] المتعبة ، كما ألهجتنا بذكره ، وأخطرت ببالنا دعاءك ، ووفقتنا للدعاء إليه ، وحياشة أهل الغفلة عنه ، وأسكنت في قلوبنا محبته ، والطمع فيه ، وحسن الظن به لإقامة

---

(١) لا شوب معه : أي لا خليط معه .

(٢) ناواه : أي عاداه .

(٣) الخماص : الذين خوت بطونهم جوعاً.

(٤) الساغبة : الجائعة .

(٥) الأبدان اللاَّغبة : هي الضعيفة .

مراسيمه .

اللهم : فآت لنا منه على أحسن يقين ، يا محقق الظنون الحسنة ، ويا مصدق الآمال المبطئة ، اللهم واكذب المثالين عليك فيه ، وأخلف به ظنون القانطين من رحمتك والآيسين منه .

اللهم : اجعلنا سبباً من أسبابه ، وعلماً من أعلامه ، ومعقلاً من معاقله ، ونضر وجوهنا بتحليته ، وأكرمنا بنصرته ، واجعل نيتنا خيراً تظهرنا لنا به ، ولا تشمت بنا حاسدي النعم ، والمتربصين بنا حلول الندم ، ونزول المثل ، فقد ترى يا رب براءة خلو ساحتنا ، وخلو ذرعنا من الإضمار لهم على إحنة ، والتمني لهم وقوع جائحة [1] وما تنازل من تحصينهم بالعافية ،وما أخبأ لنا من انتهاز الفرصة ، وطلب الوثوب بنا عند الغفلة . . . » .

وأعرب الإمام عليه السلام في هذا المقطع عن دعائه لمن يسوس الأمة بسياسة العدل والأنصاف ، ويزيح عنها الظلم والجور ، ويقيم فيها حكم الله تعالى الذي تنتعش فيه الآمال ، وتحيا به البلاد والعباد ، بالنصر والتأييد ، والتوفيق والتسديد ، وأن لا يحول بينه وبين ما يرومه من الإصلاح الشامل حائل، ولا مانع . . . ولنعد إلى مواصلة كلام الإمام عليه السلام .

« اللهم : وقد عرفتنا من أنفسنا ، وبصرتنا من عيوبنا خلالاً نخشى أن تقعد بنا عن اشتهار إجابتك ، وأنت المتفضل على غير المستحقين ، والمبتدىء بالإحسان على السائلين ، فأت لنا من أمرنا على حسب كرمك وجودك وفضلك ، وامتنانك إنك تفعل ما تشاء ، وتحكم ما تريد إنا إليك راغبون ، ومن جميع ذنوبنا تائبون . . » .

---

(١) الجائحة .

وحكى الإمام عليه السلام في هذه الفقرات المشرقة من دعائه عن ضعف النفس البشرية ، وخوفه من التهاون في إجابة ما أمر الله به ، ونهى عنه ، طالباً منه أن يفيض عليه بكرمه ويشمله بجوده وامتنانه ، ثم واصل الإمام عليه السلام حديثه عن الإمام العادل قال :

«اللّهم : والداعي إليك، والقائم بالقسط من عبادك، الفقير إلى رحمتك ، المحتاج إلى معونتك على طاعتك ، إذ ابتدأته بنعمتك وألبسته أثواب كرامتك ، وألقيت عليه محبة طاعتك ، وثبت وطأته في القلوب من محبتك ، ووفقته للقيام بما أغمض فيه أهل زمانه من أمرك ، وجعلته مفزعاً لمظلوم عبادك ، وناصراً لمن لا يجد ناصراً غيرك، ومجدداً لما عطل من أحكام كتابك ، ومشيداً لما دثر من أعلام دينك ، وسنن نبيك عليه وآله سلامك ، وصلواتك ، ورحمتك ، وبركاتك ، فاجعله اللّهم في حصانة من بأس المعتدين ، وأشرق به القلوب المختلفة من بغاة الدين وبلغ به أفضل ما بلغت به القائمين بقسطك من اتباع النبيين ، اللهم وأذلل به من لم تسهم له في الرجوع إلى محبتك ، ومن نصب له ، العداوة ، وارم بحجرك الدافع من أراد التأليب على دينك بإذلاله وتشتيت أمره ، واغضب لمن لا ترة له ، ولا طائلة ، وعادى الأقربين والأبعدين مناً منك عليه ، لا مناً منه عليك . . . » .

وفي هذا المقطع واصل الإمام عليه السلام دعاءه بالتأييد الشامل للإمام العادل الذي يحكم بين المسلمين على ضوء كتاب الله ، وسنة نبيه ، فقد دعا له بأن يلقي الله محبته في قلبه ليسعى لإحياء الدين وإقامة شعائره ، كما دعا بأن يجعله مفزعاً للمظلومين ، وملاذاً وكهفاً لمن لا يجد ناصراً إلا الله ، كما طلب من الله تعالى أن يجعله في حصانة من بأس المعتدين ، وكيد الماكرين ، ودعا بالذل والتمزيق لمن أراد أن يؤلب عليه ، وينصب له العداوة

والبغضاء . . . ويستمر الإمام عليه في الدعاء له فيقول :

«اللهم : فكما نصب نفسه غرضاً فيك للأبعدين ، وجاد ببذل مهجته لك في الذب عن المؤمنين ، ورد شر بغاة المرتدين المريبين حتى أخفى ما كان جهر به من المعاصي ، وأبدى ما كان نبذه العلماء وراء ظهورهم مما أخذت ميثاقهم على أن يبينوه للناس ولا يكتموه ، ودعا إلى إفرادك بالطاعة ، وألا يجعل لك شريكاً من خلقك يعلو أمره على أمرك ، مع ما يتجرعه فيك من مرارات الغيظ الجارحة بحواسي القلوب ، وما يعتوره من الغموم ، ويفزع عليه من أحداث الخطوب ، ويَشْرَق به من الغصص التي لا تبتلعها الحلوق ، ولا تحنو عليها الضلوع ، من نظرة إلى أمر من أمرك ، ولا تناله يده بتغييره ، ورده إلى محبتك ، فاشدد اللهم أزره بنصرك ، وأطل باعه فى ما قصر عنه ، من اطراد الراتعين في حماك ، وزده في قوته بسطة من تأييدك ، ولا توحشنا من أنسه ، ولا تخترمه دون أمله من الصلاح الفاشي في أهل ملته ، والعدل الظاهر في أمته . . .» .

عرض الإمام عليه السلام في هذه الفقرات المضيئة إلى سمو منزلة الإمام العادل ، وعظيم مكانته لأنه قد نصب نفسه غرضاً في جنب الله ، فعادى الأقربين ، وتولى الأبعدين ، وناجز البغاة المرتدين ، وتحمل من المصاعب ما تنوء بحمله الرقاب كل ذلك في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، ودحض القوى المناهضة للإصلاح الاجتماعي والعدل السياسي ويواصل الإمام عليه السلام دعاءه له بالتأييد والعزة قائلاً :

« اللهم : وشرف بما استقبل به من القيام بأمرك ليرى موقف الحساب مقامه ، وسر نبيك محمد صلواتك عليه وآله برؤيته ومن تبعه على دعوته ، وأجزل على ما رأيته قائماً به من أمرك ثوابه ، وابن قرب دنوه منك في حياته ، وارحم استكانتنا واستخذاءنا لمن كنا نقمعه به إذا فقدتنا وجهه ، وبسطت أيدي من

كنا نبسط أيدينا عليه لنرده عن معصيته ، وافترقنا بعد الإلفة والاجتماع تحت ظل كنفك،وتلهفنا عند الغوث محل ما أقعدتنا عنه من نصرته ، واجعله اللهم في أمن مما يشفق عليه منه ، ورد عنه من سهام المكائد ما يوجهه أهل الشنآن إليه وإلى شركائه في أمره ، ومعاونيه على طاعة ربه الذين جعلتهم سلاحه وحصنه ، ومفزعه وأنسه ، الذين سلوا عن الأهل والأولاد ، وجفوا الوطن ، وعطلوا الوثير من المهاد ، ورفضوا تجارتهم ، وأضروا بمعايشهم وفقدوا في أنديتهم بغير غيبة عن مصيرهم، وخالطوا البعيد ممن عاضدهم على أمرهم ، وقلوا القريب ممن صدّ عن وجهتهم فائتلفوا بعد التدابر والتقاطع في دهرهم ، وقطعوا الأسباب المتصلة بعاجل حطام الدنيا ، فاجعلهم اللهم في أمن من حرزك ،وظل كنفك، ورد عنهم بأس من قصد إليهم بالعداوة من عبادك ، واجزل لهم على دعوتهم من كفايتك ومعونتك وأمدهم بتأييدك ونصرك ، وازهق بحقهم باطل من أراد إطفاء نورك ، اللّهم واملأ بهم كل أفق من الآفاق وقطر من الأقطار قسطاً وعدلاً ، ومرحمة وفضلاً ، واشكرهم على حسب كرمك وجودك ، وما مننت به على القائمين بالقسط من عبادك ، وادخرت لهم من ثوابك ما يرفع لهم به الدرجات . إنك تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد . . . » (١) .

وبهذا انتهى هذا الدعاء الجليل الذي هو من ذخائر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن مناجم الفكر الإسلامي ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه من أهم الوثائق السياسية الحافلة بما عاناه المسلمون في ذلك العصر من الظلم والاضطهاد والجور ، وما يتوخاه الإمام عليه السلام لهم من إقامة العدل السياسي والاجتماعي على يد إمام عادل يسير بين المسلمين بسياسة الحق المحض . . وإني لا أكاد أعرف وثيقة سياسية أهم من هذه الوثيقة ، ولا

---

(١) مهج الدعوات (ص ٦٣ ـ ٦٧).

اسمى فكراً وأعود نفعاً منها على المجتمع ، فقد رسمت الشروط الدولية للحاكم العادل ، وبينت أهدافه والمبادىء التي يجب أن يحققها على مسرح الحياة الإسلامية ولو لم يكن للإمام أبي محمد عليه السلام من تراث إلا هذا الدعاء الجليل لكفى في التدليل على إمامته ، وما يملكه من طاقات علمية ، وفكرية هائلة .

ظلم الوزراء وجبروتهم :

وأغلب وزراء بني العباس كانوا من الظالمين الطغاة ، فقد احتقروا الرعية ، وبالغوا في إذلالها وقهرها ، ففي زمان المنتصر العباسي خرج وزيره أحمد بن الخصيب وكان راكباً فتظلم إليه شخص فأخرج الوزير رجله من الركاب فزج بها في صدره فقتله فتحدث الناس بذلك ، وقال بعض الشعراء :

قل للخليفة يابن عم محمد   اشكل وزيرك إنه شكال
اشكله عن ركل الرجال وإن ترد   مالاً فعند وزيرك الأموال(١)

وفي زمن الواثق عمل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات تنوراً فيه مسامير كان يعذب فيه الناس(٢) وبالإضافة إلى ذلك فقد اختلسوا أموال الدولة ونهبوها ، فقد كان عثمان بن عمارة والياً على سجستان في أيام الرشيد فطولب بخمسة آلاف درهم ، وحبس عليها فقال يستشفع إلى الرشيد ويعترف ضمناً بالخيانة :

أغثني أمير المؤمنين بنظرة   تزول بها عني المخاوف والأزل(٣)

---

(١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (ص ٢٧٠).
(٢) المحاسن والمساوي (ص ٥٣١) الفخري (ص ٢١٤).
(٣) الأزل : الحبس والشدة .

ففضلك أرجو لا البراءة إنه أبى الله إلا أن يكون لك الفضل
وألا أكن أهلاً لما أنت أهله فأنت أمير المؤمنين له أهل

وقد احتذى الوزراء بأسيادهم من ملوك بني العباس الذين نهبوا أموال المسلمين ، وتركوا الفقر مخيماً عليهم ، يقول المؤرخون : إن المنصور أخذ أموال الناس حتى ما ترك عند أحد فضلةً وكان مبلغ ما أخذه منهم ثمانمائة ألف ألف درهم (١) .

وعلى أي حال فقد جهد الوزراء على ظلم المسلمين وإذلالهم ، ونهب ما عندهم من أموال .

الثورات الداخلية :

وكان من الطبيعي أن تنطلق الشعوب الإسلامية في مسيرتها النضالية ، وترفع علم الثورة ضد الحكم العباسي الذي استأثر بمقدراتها الاقتصادية ، وقد حدثت ثورات محلية متعددة كان باعثها التخلص من الاستعباد ، والظلم والجور ، ونقتصر على ذكر بعضها للتدليل على ما ذكرناه في أول هذا البحث من عدم الاستقرار السياسي ، واضطراب الأمن العام في ذلك العصر .

ثورة الشهيد يحيى :

رفع الشهيد العظيم يحيى بن عمر الطالبي راية الثورة على الحكم العباسي ، مطالباً بتحقيق العدالة الاجتماعية ، وتوزيع فيء المسلمين على الفقراء والضعفاء ، وقد احتفى به المحرومون ، وتولاه العامة والخاصة ، وذلك لحسن طويته ، وما كان يرومه من رفع مستوى الحياة العامة ، وقد استولى على الكوفة ، وأخرج من كان في سجونها من المظلومين

(١) اليعقوبي : ٣ / ١٢٥ .

والمضطهدين ، وقد أجهزت عليه الحكومة العباسية فقتلته ، وسير رأسه الشريف إلى محمد بن عبد الله بن طاهر أحد جلادي ذلك العصر ، فصيره الطاغية إلى المستعين ، ونصب في سامراء ليكون عبرة لمن يفكر بالثورة على العباسيين ، وقد دخل الانتهازيون على ابن طاهر يهنّئونه بهذا الظفر والنصر ، ودخل عليه أبو هاشم الجعفري ، فقال له :

«أيها الأمير إنك لتهنأ بقتل رجل ، لو كان رسول الله (ص) حيّاً لعزي به . . .» ووجم الجميع ، وود ابن طاهر أن الأرض قد ساخت به ونهض أبو هاشم وهو يقول :

يا بني طاهر كلوه وبيلاً ... إن لحم النبي غير مري
إن وتراً يكون طالبه الله ... لوتر نجاحه بالحري

وقد كان مصرع هذا العلوي العظيم من الأحداث الجسام في ذلك العصر ، وقد انبرى الشعراء إلى تأبينه ، وتعداد مزاياه ، وما لحق بالمسلمين من الخسارة العظمى بفقده فمن ذلك قول بعضهم :

بكت الخيل شجوها ... وبكاه المهند المصقول
وبكاه العراق شرقاً وغرباً ... وبكاه الكتاب والتنزيل
والمصلى والبيت والركن والحـ ... ـجر جميعاً له عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا ... يوم قالوا : أبو الحسين قتيل
وبنات النبي تندبن شجواً ... موجعات دموعهن همول
قطعت وجهه سيوف الأعادي ... بأبي وجهه الوسيم الجميل
إن يحيى أبقى بقلبي غليلاً ... سوف يؤذي بالجسم ذاك الغليل
قتله مذكر لقتل علي ... وحسين ويوم أودى الرسول [1]

(١) تاريخ ابن الأثير ٥/٣١٤ ـ ٣١٦.

ورثاه شاعر العصر ابن الرومي بقصيدة عصماء تعد من ذخائر الأدب العربي ، أثبتنا بعضها في كتابنا (حياة الإمام علي الهادي عليه السلام) .

ثورة الزنج :

ومن الثورات المحلية التي دوخت الحكم العباسي في ذلك العصر ثورة الزنج ، وقد تزعمها علي بن عبد الرحيم من بني عبد القيس ، وقد أدعى أنه علوي ينتهي نسبه إلى الشهيد الخالد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، وذلك لتلتف حوله الجماهير ، وتؤيد ثورته ، فإن الانتماء إلى هذه الأسرة الكريمة التي تبنت القضايا المصيرية للعالم الإسلامي ، وأصبحت رمزاً للثورة والتمرد على الظلم ، والطغيان يعطي دعماً كبيراً لنجاح الثورة .

وعلى أي حال فقد نفى الإمام أبو محمد عليه السلام مزاعم علي بن محمد زعيم الثورة الزنجية بأنه علوي ، قال عليه السلام : صاحب الزنج ليس منا أهل البيت (١) أما تفصيل هذه الثورة ، وبيان الشعارات التي رفعها الثوار فقد عرضت لها موسوعات التاريخ الإسلامي ، وقد ألمحنا إليها للتدليل على اضطراب الأمن في ذلك العصر ، وعدم الاستقرار السياسي .

ثورة الشام :

واستعمل المتوكل على الشام ذئباً من عملائه ومرتزقته فأحال حياة المواطنين إلى جحيم ، فوثب عليه الأحرار فأخرجوه ولما علم المتوكل بذلك جهز جيشاً مكثفاً في سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل ، وعهد إلى القائد العام بإباحة دمشق ثلاثة أيام كما فعل أخوه في الإثم والشر يزيد بن معاوية في مدينة النبي (ص) (٢) . لقد ابتلى المسلمون بهؤلاء الملوك الذين جهدوا في

---

(١) هامش الكنى والألقاب ٢/٤٠٢ .

(٢) مرآة الزمان ٦/ ورقة ١٦٩ .

ظلمهم وإذلالهم ، وقهرهم بغير حق .

هذه بعض الثورات التي حدثت في ذلك العصر ، وهي تنم عن شيوع الجور وانتشار الظلم ، وعدم الاستقرار السياسي ، فإن الثورة أو الانتفاضة الشعبية إنما هي ـ على الأكثر ـ وليدة هذه العوامل .

تسلط الأتراك على الحكم :

ومن أهم العوامل في الفساد الإداري والسياسي في جهاز الحكم العباسي في عصر الإمام أبي محمد عليه السلام ، تسلط الأتراك على زمام الحكم ، وتلاعبهم بمقدرات الدولة ، وقد خضع دست الملك العباسي لإرادتهم ورغباتهم ، فهم الذين يقدمون لزعامة الدولة من شاؤوا ، ويعزلون عنها من أرادوا ، وأصبحت السلطات الدستورية كلها بأيديهم ، والملك إنما هو بالاسم لا غير ، فقد نزعت منه جميع الصلاحيات الإدارية ، وجرد من كل شيء عدا الانغماس في اللهو والطرب ، والمجون ، وقد صور المعتمد العباسي نفسه من العجز أمام الأتراك بقوله :

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً ... وما من ذاك شيء في يديه [1]

لقد جُمد هذا الملك ، ومنع من التصرف في المال حتى في القليل منه ، في حين أن الدنيا كانت تحت ملكه ، فقد استولى الأتراك على جميع مقدرات الدولة ، ولم يعد للملك أي شأن فيها . . . وصور شاعر حالة المستعين العباسي بقوله :

خليفة في قفص ... بين وصيف وبغا

---

(١) الديارات للشابشتي (ص ١٠١) .

يقــول مــا قــالا لــه كمــا يقــول الببغــا [1]

ومن الطريف أن المعتز بـالله لما ولي الخـلافة استـدعى بعض أصحابـه جماعة من المنجمين فسألوهم كم يبقى الخليفـة في الحكم ؟ وكم المدة التي يعيش فيها ؟ فانبرى بعض الظرفاء فقال لهم :

«أنا أعرف ذلك . . . » .

«أخبرنا . . . » .

«إن الأمر بيد الأتراك ، فهم الذين يقررون مدة حكمه وحياته . . » وغرق الجميع في الضحك ، وعرفوا صدق قوله [2] .

إلى هنـا ينتهي بنا الحـديث عن بعض معالم الحيـاة السياسيـة في عصر الإمـام أبي محمد عليـه السلام ، وهي ـ كمـا ذكرنـا ـ كـانت بشعـة ومـرهقـة ومظلمة .

الحياة العقائدية :

أما الحياة العقـائديـة في عصر الإمـام أبي محمد عليـه السلام فلم تكن سليمة ولا مستقيمة ، فقد منيت بالاضطراب من جراء بعض المنحـرفين الذين أثاروا الشبه حول العقيدة الإسلامية الناصعة كما قام بعض المشعوذين من غير المسلمين بشعوذة لتضليل المسلمين وإفساد عقيدتهم ، وقد تصدى الإمـام أبو محمـد عليه لـاسلام للذب عن الإسـلام ، والدفـاع عنه ، فـأبطل أوهـامهم ، وزيف شبههم وأبرز الواقع المشرق للإسلام .

كمـا أن هناك ظـاهرة أخـرى في عصر الإمـام عليه السـلام ، وهي قيام

---

(١) مروج الذهب ٤/٦١ .

(٢) الفخري (ص ١٨١) .

بعض الدجالين بالكذب على الإمام وعلى أبيه من قبله ، وذلك لإفساد عقيدة أتباع أهل البيت ، فانبرى الإمام عليه السلام إلى لعنه ، وأمر شيعته بلعنه والبراءة منه ،ونعرض في ما يلي إلى ذلك ، وإلى بعض الجهات الأخرى التي ترتبط بالموضوع .

إبطال الإمام لشبه الكندي :

كان إسحاق الكندي فيلسوف العراق قد راودته بعض الشبه حول القرآن الكريم، فأشاع في الأوساط العلمية أنه ألف كتاباً أسماه (تناقض القرآن) وقد أشغل نفسه بذلك ، وانتهى الخبر إلى الإمام أبي محمد عليه السلام فالتقى ببعض تلامذة الكندي ، فقال عليه السلام له : أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن ؟ فقال التلميذ : نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره ، فقال له الإمام عليه السلام :

- «أتؤدي إليه ما ألقيه إليك ؟».
- «نعم».

وأدلى الإمام عليه السلام بالحجة القاطعة ، والدليل الحاسم الذي ينسف جميع شبه الكندي ، فقال لتلميذه :

«صر إليه ، وتلطف في مؤانسته ، ومعونته على ما هو بسبيله فإذا وقعت الأنسة ، فقل : قد حضرتني مسألة أسألك عنها فإنه يستدعي ذلك منك ، فقل له : إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن ، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها ، فإنه سيقول لك إنه من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع ، فإذا أوجب ذلك فقل له : فما يدريك لعله أراد غير هذا الذي ذهبت أنت إليه ، فيكون واضعاً لغير معانيه . . .» .

ونسف الإمام عليه السلام بهذه الحجة الدامغة شبهة الكندي ، وسد فيها كل ثغرة يسلك منها لإثبات التناقض في كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فإن إيهام ذلك إنما يكون حسب ما يفهمه الكندي من المعنى ، ويجوز أن يكون له معنى آخر لم يفهمه ، ولم يتوصل إلى معرفته يرتفع به التناقض ، ولا يبقى حينئذ أي مجال للإشكال .

وسار الرجل حتى التقى بأستاذه الكندي ، وتلطف معه وألقى عليه ما تفضل به الإمام عليه السلام ، وأخذ يفكر ويطيل النظر في الأمر في أي الحق والصواب في ذلك ، فإنه أمر محتمل ، وسائغ في اللغة ، والتفت إلى تلميذه فقال له :

- «أقسمت عليك إلا ما أخبرتني من أين لك هذا ؟ . .»
- «إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك . . .» .
- «كلا ما مثلك من يهتدي إلى هذا . . . عرفني من أين لك هذا ؟ . .» .
- «أمرني به الإمام أبو محمد . . .» .
- «الآن جئت به ، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت . . .» .

وعمد الكندي إلى كتابه فأحرقه وأتلفه [1] فقد رأى المنطق والصواب في كلام الإمام عليه السلام .

إبطاله لشعوذة راهب :

وكشف الإمام أبو محمد عليه السلام النقاب عن شعوذة راهب أراد أن يضلل المسلمين ، ويشككهم في دينهم ، وبيان ذلك حسبما ذكره الرواة أن الناس أصابهم قحط شديد ، فأمر المعتمد العباسي بالخروج إلى الاستسقاء

(١) المناقب ٤/٤٢٤.

ثلاثة أيام فخرجوا ، ولم يغاثوا بالمطر ، وخرج النصارى ومعهم راهب كلما مدّ يده إلى السماء هطلت ، وفعل ذلك مكرراً فشك بعض الجهلة في دينهم ، وارتد البعض الآخر ، وشق ذلك على المعتمد ، ففزع إلى الإمام أبي محمد عليه السلام وكان في سجنه وقال له : أدرك أمة جدك رسول الله (ص) قبل أن يهلكوا ، فقال له الإمام : يخرجون غداً ، وأنا أزيل الشك إن شاء الله وأخرجه المعتمد من السجن ، وطلب منه أن يطلق سراح أصحابه من السجن فاستجاب له ، وأخرجهم ، وفي اليوم الثاني خرج الناس للاستسقاء ، فرفع الراهب يده إلى السماء ، فغيمت ، ومطرت ، فأمر الإمام بإلقاء القبض على يده ، وأخذ ما فيها ، وإذا فيها عظم آدمي فأخذه منه، وأمره بالاستسقاء ، فرفع يده إلى السماء ، فزال ما فيها من غيم ، وطلعت الشمس ، فعجب الناس من ذلك ، وبادر المعتمد قائلاً :

- «ما هذا يا أبا محمد ؟»

- «هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور ، وما كشف عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر . . .» .

وتفحص المعتمد عن ذلك ، فكان كما أخبر الإمام عليه السلام فزالت الشبهة ، وانتفى الشك [1] .

الكاذبون والوضاعون :

ومن آفات ذلك العصر انتشار الكاذبين والوضاعين ، وهو مما ينم عن ضعف العقيدة الإسلامية في النفوس ، ومن أشهر الوضاعين والكذابين عروة بن يحيى الدهقان البغدادي ، فقد كان يكذب على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وعلى أبي محمد الحسن بن علي من بعده ، وكان يختلس

(١) جوهرة الكلام (ص ١٥٤) أخبار الدول (ص ١١٧) .

الأموال التي ترد للإمام من شيعته ، ويكذب عليه ، وقد لعنه الإمام ، وأمر الشيعة بلعنه والبراءة منه لئلا يفسد عقيدتهم [١] .

وبهذا العرض الموجز ينتهي بنا الحديث عن الحياة العقائدية في عصر الإمام عليه السلام ، وهي كما ذكرنا كانت مضطربة وغير سليمة .

اللهو والطرب :

وظاهرة أخرى في عصر الإمام أبي محمد عليه السلام ، وهي أنه قد ساد فيه اللهو والطرب ، فكانت بغداد وسامراء تعجان بالدعارة والمجون ، وقد جر المجتمع إلى هذه الحياة العابثة ملوك بني العباس الذين استسلموا للذاتهم وشهواتهم ، فكانت لياليهم الحمراء حافلة بجميع صنوف الآثام والمنكرات .

إن معظم ملوك بني العباس قد خلدوا إلى الطرب واللهو ، ولنستمع إلى بعض ما أثر عنهم . فهذا المهدي ، وهو أول من فتح باب الطرب لملوك العباسيين ، كان يقضي لياليه بالغناء والعزف والخمر ، وكان مشغوفاً بجارية مغنية تسمى جوهر ، وفيها يقول :

ألا يا جوهر القلب ... لقد زدت على الجوهر
وقد أكملك الله ... بحسن الدل والمنظر
إذا ما هلت يا أحسن ... خلق الله بالمزهر
وغدت، ففاح البيت ... من ريحك بالعنبر
فلا والله ما المهدي ... أولى منك بالمنبر
فإن شئت ففي كفك ... خلع ابن أبي جعفر [٢]

---

(١) رجال الكشي (ص ٣٥٣).
(٢) البيان والتبيين ٣/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

لقد بلغت الشهوة بالمهدي إلى مستوى سحيق ، فقد جعل هذه المغنية أولى بالخلافة ، وأحق بها منه ، فأي استهتار مثل هذا الاستهتار ؟ وأي مضيعة لحقت بالمسلمين مثل هذه المضيعة ؟ ومثل المهدي حاكماً ووالياً عليهم .

أما الرشيد فهو من أشهر ملوك بني العباس في اللهو والطرب ، وقد حفلت لياليه بجميع ضروب العزف والغناء والرقص ، وتعاطي الخمر ، وكان كلفاً بجارية تسمى «ذات الخال» فحلف لها يوماً أن لا تسأله شيئاً إلا قضاه ، فسألته أن يولي رجلاً الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك ، وكتب عهده ، وشرط على ولي العهد من بعده أن يتمها له إن لم تتم له في حياته [1] .

أما المأمون الذي يقال عنه إنه كان متوازناً في سلوكه فإنه قضى الكثير من لياليه في الطرب والمجون ، وكان مغرماً بجارية يقال لها عريب وقد قال فيها :

أنا المأمون والملك الهمام ... على أني بحبك مستهام
أترضي أن أموت عليك وجداً ... ويبقى الناس ليس لهم إمام[2]

وخرج المأمون في يوم الشعانين وهو من أعياد النصارى فخرجت بين يديه عشرون وصيفة رومية ، قد زين بالديباج الرومي ، مزنرات الأوساط ، قد علقن في أعناقهن صلبان الذهب وفي أيديهن سعفات النخل وأغصان الزيتون ، فقال :

ظباء كالدنانير ... ملاح في المقاصير

(١) الأغاني ١٩/١١٦ .
(٢) محاضرة الأبرار ١/١٢٦ .

جـلاهـنَّ الشعـانيـن   علينـا في الـزنـانيـر
وقـد زرفن أصـداغـاً   كـأذنـاب الـزرازيـر
وأقـبـلن بـأوسـاط   كـأوساط الـزنـابيـر[1]

أما المتوكل الذي كان معاصراً للإمام أبي محمد عليه السلام فقد كان مائعاً منساباً وراء شهواته ، وهو أخلع بني العباس وسوف نتحدث عن هذه الظاهرة وغيرها من معالم حياته في البحوث الآتية ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عصر الإمام عليه السلام ، وقد بحثنا عن الكثير من مظاهر هذا العصر.

(١) الألحان (ص ٢٩٨) لعبد الرحمن صدقي .

لا بـد لنا من وقفة قصيرة للحديث عن الملوك الذين عاصرهم الإمام أبو محمد عليه السلام ، وإعطاء صورة عن سلوكهم ، وما عاناه الإمام من بعضهم من المحن والبلوى ، فإن ذلك ـ فيما أحسب ـ من أهم ما يريد أن يتعرف عليه القراء ، وفي ما يلي ذلك :

المتوكل :

تقلـد المتـوكـل بن المعتصم الملك والسلطان في سنــة (٢٣٢ هـ) [١] وهي السنة التي ولد فيها الإمام الزكي أبو محمـد عليه السـلام [٢] وحينما ولي المتوكل الملك أصيب الناس بكارثة سماويـة لم يعهدوهـا من ذي قبل ، فقـد هبت ريح بالعراق شديدة السموم أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد ، وقتلت المسافرين ، ودامت خمسين يوماً ، وسرت إلى همدان ، والموصل ، وسنجار وأحـرقت الزرع والمـواشي ، ومنعت الناس من المعـاش في الأسواق ، ومن المشي في الطرقات ، وأهلكت خلقاً عظيماً [٣] ولعلها كانت إنذاراً من السماء

(١) تاريخ الخلفاء (ص ٣٤٦).

(٢) أخبار الدول (ص ١١٧).

(٣) تأريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٤٦).

بشؤم ملكه ، وعهده .

وحينما بويع بالملك أهدى إليه عبيد الله بن طاهر أربعمائة جارية قيان وسواذج [١] تتقدمهن محبوبة ، وهي التي هام بها [٢] ونتحدث - بإيجاز - عن بعض شؤونه وسيرته .

صفاته النفسية :

أما صفاته ، ونزعاته النفسية فهي كما يلي :

ميله إلى اللهو :

عاش المتوكل حياة عابثة ليس فيها أي ميل إلى الجد ، وإنما كانت مترعة باللهو والهزل، وكان ذلك من عناصره، ومن مقوماته الذاتية، يقول المؤرخون : إنه لم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب ، والمضاحك والهزل ، فلما جاء المتوكل أحدث ذلك كله ، وتبعه فيه أكثر خواصه [٣] وكان يدخل السماجة في مجلسه ، وهم أناس كانوا يحاكون حركات بعض الناس ويمثلونهم في أصواتهم ، ويظهرون في مظاهر مضحكة [٤] (له ملحق) .

انهماكه في اللذات :

ومن أبرز مظاهره النفسية أنه كان منهمكاً في اللذات والشراب انهماكاً كثيراً [٥] وكان بنان وزنام غلامين من غلمانه بارعين في العزف والغناء لا

---

(١) السواذج : هي الجواري التي لم تدرب على الغناء .
(٢) نساء الخلفاء (ص ٩٢).
(٣) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (ص ٢٦٥ - ٢٦٦).
(٤) الديارات (ص ٢٦).
(٥) بين الخلفاء والخلعاء (ص ١١٥).

يفـارقانـه هذا يضـرب له بـالعود ، وذاك يـزمر لـه ، وكـان لا يشـرب إلا على سماعهما [١] .

وكانت حاشيته تتقرب إليه بإهدائه الجـواري الملاح والخمـور المعتقة، لأن ذلـك من أحب ما يصبـو إليه ، فقـد أهدى إليـه الفتح بن خافـان ، وكـان المتوكل قد أبل من مرضه ، جارية في منتهى الحسن ،وجاماً من ذهب ، ودن بلور فيه شراب لم ير مثله ورقعة مكتوب فيها :

إذا خـرج الإمـام مـن الـدواء وأعـقـب بـالـسـلامـة والـشـفـاء
فـليس لـه دواء غـيـر شـرب بـهـذا الـجـام مـن هـذا الـطلاء
وفض الـخـاتـم الـمـهـدى إلـيـه فـهـذا صـالـح بـعـد الـدواء

واستطرف المتوكل ذلك واستحسنه ، وكان بحضرته يـوحـنـا بـن ماسويه طبيبه الخاص ، فقال له : يا أمير المؤمنين الفتح والله أطب مني فلا تخالف ما أشار به[٢] .

الانهماك في الحياة الجنسية :

وكـان المتوكـل منهمكاً في الحيـاة الجنسية ، فقـد ذكر المؤرخـون أنـه كانت له خمسـة الآف سريـة ، يقال إنـه وطىء الجميع ، وكـان عبد يقـول : أحلف بالله لو لم يقتل المتوكل لما عاش من كثرة جماعه[٣] .

ولعه بالجواري :

ومن مظاهر حياته أنه قد هام بحب الجواري المـلاح والتحدث معهن ،

---

(١) ثمار القلوب (ص ١٢٢).
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ١٠/٩٦٤.
(٣) مرآة الزمان ٦/ورقة ٦٩.

فقد كان مغرماً بجارية يقال لها قبيحة ، وقال لعلي بن الجهم : إني دخلت على قبيحة فوجدتها قد كتبت اسمي على خدها بالغالية ، فوالله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد ، فقل في هذا شيئاً . وكانت محبوبة وهي إحدى جواريه جالسة من وراء الستار تسمع الكلام فقالت على البديهة :

وكاتبة بالمسك في الخد جعفراً ... بنفسي مخط المسك من حيث أثرا
لئن كتبت في الخد سطراً بكفها ... لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا
فيا من لمملوك لملك يمينه ... مطيع له في ما اسر وأظهرا
ويا من مناها في السريرة جعفر ... سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا(١)

ويقال إنه من شدة ولعه وهيامه بالجواري غضب على جاريته محبوبة، فتركها وقتاً إلا أنه رأى في النوم أنها صالحته، فدعا بخادم له فقال: اذهب إلى محبوبة ، وتبين لي خبرها ، فذهب إليها ، وعرفها بالأمر ثم رجع فأخبره أنها جالسة تغني ، فقال المتوكل : كيف تغني وأنا عليها غضبان ؟ ثم قال لغلامه : قم معي حتى نسمع غناءها ، فقاما وإذا بها تغني بهذه الأبيات :

أدور في القصر لا أرى أحداً ... أشكو إليه ولا يكلمني
حتى كأني ركبت معصية ... ليست لها توبة تخلصني
فهل لنا شافع إلى ملك ... قد زارني في الكرى فصالحني
حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره فصارمني

فطرب المتوكل ، ولما أحست به خرجت إليه ، واعلمته أنها رأته في النوم ، وقد جاء فصالحها ، فقالت هذا الشعر وغنت له ، فطرب المتوكل ، وأقام معها يحتسي الخمر ، وأهدى إلى خواصه الجوائز السنية(٢) .

---

(١) نساء الخلفاء لابن الساعي (ص ٩٤ ـ ٩٥) .
(٢) نساء الخلفاء (ص ٩٥ ـ ٩٦) .

تجاهره بالمعاصي :

وكان المتوكل يتجاهر بالمعاصي ، ولا يستحي من الناس ، فقد كان يلعب بالنرد مع الفتح بن خافان ، فاستؤذن للقاضي أحمد بن دؤاد فأراد الفتح رفع النرد، فمنعه المتوكل، وقال له: أجاهر الله بشيء واستره عن عباده[1]؟ أنه كان لا يرجو لله وقاراً ، وكان مستهتراً ، فكان ندماؤه يلعبون بين يديه بالشطرنج[2] ولو علموا بغضه لذلك لما قدموا عليه أمامه .

وشاع استهتاره بالمعاصي بين الناس ، فقد طلب من زوجته ريطة بنت العنبس أن تسفر ، وتضفر شعرها مثل الغلمان فأبت فطلقها[3] وتحدث الناس بذلك ، فلم يحفل به ، ولم يعن بأي نقد يوجه إليه .

الجبروت والكبرياء :

وظاهرة أخرى من صفات المتوكل ، وهي الجبروت والكبرياء خصوصاً في أيامه الأخيرة حينما استتب الملك ، وصفا له السلطان ، فقد طغى وتكبر ، واستعلى على الناس[4] بغير حق ، وكان من تجبره أنه احتقر أمير الشعراء في عصره البحتري الذي سخر مواهبه الفكرية والأدبية في مدحه ، والإشادة به ، فقد أغرى المتوكل أبا العنبس في الاعتداء عليه ، والنيل من كرامته ، فانهزم البحتري وقد ضاقت عليه الدنيا وراح يقول : لقد ضاع العلم ، وهلك الأدب[5] .

---

(١) زهر الآداب ٤/٣١ .
(٢) بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي (ص ١٠٨) .
(٣) مرآة الزمان ٦/ورقة ١٦٩ .
(٤) عيون التواريخ ٦/ورقة ١٧٠ .
(٥) أخبار البحتري للصولي (ص ٨٩) .

عداؤه للعلويين :

واترعت نفس المتوكل بالعداء العارم ، والبغض الشديد لعترة رسول الله (ص) وذريته ، فكان يتحرق غيظاً وغضباً عليهم ، وقد جهد في ظلمهم وإرهاقهم ، وقد عانوا في عهده ضروباً قاسية من الجور والظلم لم يعهدوها في حكم أئمة الظلم من قبله ، وقد فرض عليهم الحصار الاقتصادي ، فقد منع رسمياً من البر بهم والإحسان إليهم ، وكان لا يبلغه أن أحداً برّ بهم إلا أنهكه عقوبة وأثقله غرماً[1] وقد امتنع الناس من صلتهم ، وإكرامهم خوفاً من سلطة الطاغية وعقابه .

وقد ضاقت الدنيا على العلويين ، فقد بلغ بهم الحال من البؤس والفقر أن القميص يكون بين جماعة من العلويات تصلي فيه واحدة بعد واحدة ، وكن يرقعنه ، ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر[2] في حين أن الطاغية كان ينفق على لياليه الحمراء الملايين من الدنانير ، وكان يكيل الأموال كيلاً للمغنين واللاهين والمخنثين ، ويمنع ذرية رسول الله (ص) من الحصول على أدنى مقومات الحياة ، كما سخر المتوكل جميع أجهزة الإعلام في حكومته لانتقاص العلويين ، والحط من شأنهم ، وقد انبرى المرتزقة من الشعراء أمثال الوضيع مروان بن أبي الجنوب إلى ذم أهل البيت وانتقاصهم وتقديم السفكة الجلادين أمثال المتوكل عليهم ، وقد أغراهم بالذهب والأموال ، متوهماً بأن هذه الإجراءات القاسية ستصرف المسلمين عن عترة نبيهم ، وقد أخطأ في ذلك إلى حد بعيد ، فقد زادتهم إيماناً بأن أهل البيت هم القادة الواقعيون لهذه الأمة ، والحريصون على إسعادها وتطوير حياتها ، وقد عملت

---

(١) مقاتل الطالبيين (ص ٥٩٧) .

(٢) مقاتل الطالبيين (ص ٥٩٩) .

الأمة بجميع طبقاتها على تعظيمهم وتبجيلهم ، وتقديمهم بالفضل على غيرهم ، ولم ينل أحد هذه المنزلة ولم يصل إلى هذا المقام سواهم ، وقد صار المتوكل وغيره من أعداء أهل البيت ، في مزبلة التاريخ ، لا يذكرون إلا مع الاستهانة ، والتحقير وذلك هو سوء المصير الذي وعد الله به الظالمين .

بغضه للإمام أمير المؤمنين :

وأترعت نفس المتوكل بالبغض والحقد والعداء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، رائد الحق والعدل في الإسلام ، فقد تنكر هذا الطاغية له ، وجاهر ببغضه ، وبالاستهانة به ، وقد اتخذ مخنثاً من حاشيته وقروده يرقص له ، ويشبه نفسه بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو نفس رسول الله (ص) ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى ، فأثار هذا العمل الشنيع حفيظة ولده المنتصر الشهم الغيور فأنكر عليه ذلك ، وكان ذلك من جملة الأسباب التي أدت إلى قتله ، والإجهاز عليه .

هدمه لقبر الإمام الحسين :

وكان المتوكل يتحرق غيظاً لما يسمعه من تهافت الناس على زيارة قبر ريحانة رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام ، فقد حظي هذا المرقد العظيم بازدحام الزائرين على اختلاف طبقاتهم وميولهم في حين أن قبور العباسيين في مزبلة من مزابل الأرض ، صارت مأوى للوحوش الضارية وهي ببؤسها تحكي ظلمهم وجورهم ، واستبدادهم بأمور المسلمين .

وروى المؤرخون السبب في إقدامه على هدم القبر الشريف هو أن بعض المغنيات كانت تبعث إليه بجواريها ليغنين له إذا شرب الخمر ، وذلك قبل أن يتقلد الملك والسلطان ، فلما سار ملكاً بعث إليها لترسل له مغنية ،

فأخبر أنها غائبة ، وكانت قد مضت إلى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام ، وانتهى إليها الخبر وهي في كربلاء فأسرعت راجعة إلى بغداد ، وبعثت إليه بإحدى جواريها التي كان يألفها ، فقال لها : أين كنتم ؟ قالت : إن مولاتي قد خرجت إلى الحج ، وأخرجتنا معها ، وكان ذلك في شهر شعبان فبهر المتوكل وراح يقول :

- «إلى أين حججتم في شعبان ؟ . .» .
- «إلى قبر الحسين . .» .

فانتفخت أوداجه وورم أنفه ، وأمر باعتقال مولاة الجارية ، ومصادرة أموالها ، وأوعز إلى العمال بهدم القبر الشريف ، فامتنع العمال المسلمون وتحرجوا كأعظم ما يكون التحرج ، فأوعز إلى اليهود ، وعلى رأسهم الديزج ، فاستجابوا له ، وإلى ذلك يشير ابن الرومي في رائعته التي رثى بها الشهيد الخالد يحيى :

ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم   كلابكم منها بهيم وديزج

وقام اليهود الأرجاس بهدم القبر الشريف وذلك في سنة (٢٣٧ هـ) كما هدموا كل بناء حول القبر ، وخربوا ما حوله نحو مئتي جريب ، وأجرى الماء حوله، إلا أن الماء دار حول القبر الشريف، ولم يصل إليه ومن ثم سمي الحائر ، وقد خرجت من الضريح رائحة من الطيب لم يشم الناس عطراً مثلها ، أنها نسيم الرسالة الإسلامية ، ونسيم الشرف والكرامة ، يقول الجواهري :

شممت ثراك فهب النسيم   نسيم الكرامة من بلقع

وتشرف أعرابي من بني أسد بزيارة القبر الشريف بعد أن عفي أثره فجعل يأخذ قبضة من التراب يشمها لترشده إلى القبر الشريف ، وحينما انتهى إليه أخذ قبضة من التراب الطاهر فشمها فإذا هي مليئة بالعطور، فبكى وخاطب

الإمام عليه السلام قائلاً :

«ما أطيبك ، وأطيب قبرك ، وتربتك !!» .

ثم أنشد :

أرادوا ليخفوا قبره عن وليه   وطيب تراب القبر دل على القبر

لقد أراد الطاغية المتوكل أن يمحو قبر سيد الشهداء ، ويزيل أثره ، ولكن خاب سعيه ، وتربت يداه ، فإن قبر سيد الشهداء ظل شامخاً على الدهر ، وهو أسمى مرقد تقدسه البشرية على اختلاف اتجاهاتها وعقائدها ، وتأويَ إليه بلهفة الملايين من الناس ، أكثر مما تأوي إلى بيت الله الحرام ، يقول الجواهري :

تعاليت من مفزع للحتوف   وبورك قبرك من مفزع
تلوذ الدهور فمن سجد   على جانبيه ومن ركع

وتذمر المسلمون في ذلك العصر من المتوكل ، وسبوه في الأندية والمجالس ، ودعوا عليه عقيب الصلاة ، وكتبوا سبه على الجدارن ، وعلى الجوامع ، وقد شاعت في جميع الأوساط هذه الأبيات قيل أنها لابن السكيت[1] وقيل للبسامي[2] وقيل لغيرهما :

تالله إن كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوماً
فلقد أتى بنو أبيه بمثلها   هذا لعمرك قبره مهدوماً
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميماً[3]

تدول الدول ، وتفنى الممالك ، ويبقى الحسين وذكره وقبره كوكباً مضيئاً

---

(١) مرآة الزمان ٦/ورقة ١٣٦ .

(٢) فوات الوفيات ١/٢٠٣ .

(٣) حياة الإمام علي الهادي (ص ٢٠٢) مخطوط .

في دنيا العرب والإسلام ، فليس أحد يساويه أو يضارعه في سمو منزلته ومكانته ، فقد احتل قلوب المسلمين وعواطفهم وسرى حبه في مشاعرهم ، أما المتوكل وشبيهه يزيد، فتطاردهما اللعنة ، ويلاحقهما غضب الله ، ونقمته وعذابه .

وكان الإمام أبو محمد عليه السلام في شرخ الشباب ، وقد سمع ما اتخذه طاغية العباسيين من الإجراءات القاسية ضد قبر جده الإمام الحسين عليه السلام ، وما أنزله من العقوبة الصارمة تجاه الزائرين ، ومن المؤكد أنها قد كوت قلبه ، وأضافت إليه الآلام والخطوب .

مع الإمام الهادي :

أما الإمام الهادي عليه السلام فهو سيد العترة الطاهرة في عصره وذلك لوفرة علمه ، وعظيم حلمه ، وشدة ورعه وتقواه ، وقد أجمعت الأمة على تعظيمه ، وتبجيله ، وتقديمه بالفضل على غيره ، كما وإن شطر من هذه الأمة بإمامته ، وهم الشيعة الإمامية ، وقد ساء المتوكل أن يرى شخصية لامعة في الأمة الإسلامية من أعدائه العلويين ، تتحدث الركبان بفضله ، وتعج الأندية بذكر مواهبه وعبقرياته ، وقد كثرت الوشاية بالإمام من المرتزقة ، والانتهازيين والعملاء فراحوا يقولون للمتوكل : إنه تجبى له الأموال الطائلة وأنه عازم على إحداث ثورة تطيح بالحكم العباسي فانتفخت أوداجه ، وورم أنفه ، وتميز غيظاً ، وغضباً ، وقام بالإجراءات القاسية ضد الإمام عليه السلام والتي منها :

١ ـ حمله إلى سامراء :

أمر الطاغية بحمل الإمام إلى سامراء ، فحمل إليها مع أفراد أسرته ، وقابله الإمام ، وجرت بينهما محادثة أتينا على ذكرها وتفصيلها في كتابنا حياة الإمام على الهادي .

فرض الإقامة الجبرية عليه :

وفرض المتوكل الإقامة الجبرية على الإمام عليه السلام فلم يسمح له بمغادرة سامراء ، كما أحاطه بقوى مكثفة من الأمن والمباحث تحصي عليه أنفاسه وضيق على شيعته من الإتصال والالتقاء به .

٣ ـ الحصار الاقتصادي :

وفرض الطاغية على سليل النبوة ، ومعدن الحكمة ، الحصار الاقتصادي ، فلم يكن يصل إليه المال من شيعته إلا بعد جهد شاق ، وعناء مرهق ، وكان المحسنون من الشيعة يتوصلون بشتى الطرق والوسائل لإيصال المال إلى الإمام ورفع الضائقة عنه ، ومن بين تلك الطرق أنهم كانوا يتظاهرون ببيع السمن ، ويبيعون الإمام ظروفاً منه ، وقد جعلوا فيها الأموال وذلك خوفاً من السلطة الحاكمة .

٤ ـ مداهمة دار الإمام :

وسعى بعض الأوغاد إلى المتوكل ، فقال له : إن عند الإمام الهادي عليه السلام كتباً وسلاحاً وأموالاً ، ولا يؤمن من قيامه بثورة مسلحة ضد حكومته، ففزع المتوكل ، وأوعز إلى جماعة من شرطته الأتراك بمداهمة دار الإمام ليلاً، وتفتيشها تفتيشاً دقيقاً، وحمل الإمام إليه بعد أن أحاطت الشرطة بدار الإمام ، وطوقته وهجموا عليه على حين غفلة ، فوجدوه في بيت مغلق ، وعليه مدرعة من شعر ، وليس بينه وبين الأرض من بساط إلا الرمل والحصا [1] وهو مستقبل القبلة ، يتلو قوله تعالى : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم**

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٤٣٧/٦ .

ومماتهم ساء ما يحكمون﴾[1] وحملوا الإمام وهو بتلك الحالة التي تمثل زهد الأنبياء ، وروحانية المرسلين ، فادخل على المتوكل وكان على موائد الخمر سكران ثملاً ، وتناول الطاغية الخليع كأساً من الخمر فقدمه إلى الإمام ، فصاح به وزجره ، وقال له بنبرات تقطر غيظاً وغضباً قائلاً :

- «والله ما خامر لحمي ودمي قط . .» .

وقال المتوكل :

- «أنشدني شعراً . .» .

- «أنني قليل الرواية للشعر . .» .

- وأصر الطاغية على رأيه قائلاً :

- «لا بد أن تنشدني . .» .

ولم يجد الإمام بداً من إنشاده ، فأنشده هذه الأبيات الحزينة التي أزالت السكر من رأس المتوكل وحولت أنسه إلى بكاء وحزن قائلاً :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل؟
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل؟
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا ... فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة ... وساكنوها إلى الأحداث قد رحلوا

---

(١) الجاثية : ٢١ .

والتاع المتوكل ، ولم يملك أهابه ، وأخذ يبكي بكـاءً مراً ، وأشفق من حضر المجلس على الإمام ، وخافوا عليه من بطش المتوكل ، وظنـوا أن بادرة سوء تصدر منه ضد الإمام .

وأمر المتوكل برفـع كؤوس الخمر ، عن المجلس ، والتفت إلى الإمـام فقال له :

- «يا أبا الحسن عليك دين ؟ . .» .
- «نعم أربعة الآف دينار . .» .

وأمر بدفعها له ، ورده إلى منزله لم يمسسه بسوء[1] وكشفت هذه البادرة عن جهاد الإمام عليه السلام وموقفه الجهادي المشرف ، فلم يتهيب الطاغية ، ولم يصانعه ، ويتزلف إليه وإنما راح يـعظه ، ويذكره الدار الآخـرة ، ويعرفـه بما يصير إليه من مفارقة هذه الحياة ، فلا تدفع عنه جيوشـه ولا سلطانه المنيـة إذا نـزلت به ، وأن بـدنـه الـرقيق سـوف يـوارى في التـراب ، ويكـون طعمـة للحشرات والديدان .

ومن المؤكـد أن المتوكـل لم تمر على سمعـه أمثال هـذه المواعظ فقـد أترع سمعه بعزف المغنين والمغنيات ، وقد وافته المنية وهو بين كؤوس الخمر وجوقات المغنين .

وعلى أي حال فقد شاهد الإمام الزكي أبو محمد عليـه السلام مـا جرى على أبيه من صنوف الإرهاق والتنكيل من قبل المتوكل الذي كـان يتميز غيـظاً وغضباً على الإمام حينما سمع بتعظيم الجماهير واكبارهم له ، في حين أنه لم يظفر بشيء من ذلك ، وهو زعيم الدولة ، والحـاكم المطلق في البـلاد ، وقد

---

(١) مروج الذهب ٤/٤٤ ـ ٤٥ .

ذكرنا عرضاً مفصلاً لما جرى على الإمام الهادي من قبل المتوكل في كتابنا ، «حياة الإمام علي الهادي» ولا حاجة إلى ذكر ذلك .

هلاك المتوكل :

وهلك المتوكل العباسي ، فقد مزقته سيوف الأتراك هو والفتح بن خاقان في مؤتمرات رهيبة دبرها ولده المنتصر ، مع وصيف ، وبغا التركيون ، فهجموا عليه ليلاً ، وقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً ، ولم يعرف لحمه من لحم رئيس وزرائه الفتح بن خاقان ، وقد وافته المنية وبطنه مليئة بالخمر ، وقد رثاه شاعره البحتري بهذه الأبيات :

هكذا فلتكن منايا الكرام　　بين ناي ومزهر ومدام
بين كأسين أورثاه جميعاً　　كأس لذاته وكأس الحمام
لم يذل نفسه رسول المنايا　　بصنوف الأوجاع والأسقام[1] .

وكان الملوك قبل ذلك يرثون بفقد العدل وخسارة الأمة ، وأفول نجمها بموتهم ، أما المتوكل فقد رثي بخسارة الناي والمزهر وسائر الآت الطرب بموته .

وعلى أي حال فقد انطوت أيام المتوكل ، وانطوت معه الخلاعة والمجون ، وسائر ما يضر الناس في سلوكهم من الفساد والظلم .

ومن نوادر حياته التافهة ما رواه المؤرخون أنه قال لأبي العنبس أخبرني عن حمارك ووفاته وما كان من شعره في الرؤيا التي رأيتها ، قال : نعم يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة، ولم يكن له جريرة ولا زلة فاعتل علي غفلة ، فمات منها ، فرأيته فيما يرى النائم فقلت له : ياحماري ألم أبرد لك

---

(١) روضة الأعيان (ص ١٠٨).

الماء ، وأنق لك الشعير ، وأحسن إليك جهدي ، فلم مت على غفلة ، وما خبرك ؟ قال : نعم لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا ، مرت بي اتان حسناء فرأيتها ، فأخذت بمجامع قلبي فعشقتها ، واشتد وجدي بها فمت كمداً متأسفاً فقلت له : يا حماري فهل قلت في ذلك شعراً ؟ قال نعم وأنشدني :

هام قلبي بأتان عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنا بثناياها الحسان
وبخد ذي دلال مثل خد الشيفران
فبها مت ولو عشت إذاً طال هواني

قال : قلت : يا حماري فما الشيفران ؟ فقال : هذا من غريب الحمير ، فطرب المتوكل ، وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار ، وفرح في ذلك اليوم فرحاً وسروراً لم ير مثله وزاد في تكرمة أبي العنبس وجائزته[1] .

أف للزمان وتعساً للدهر أمثل هذا الإنسان التافه في سلوكه يكون والياً على المسلمين وحاكماً عليهم ، ويبعد عن الساحة الإمام أبو محمد عليه السلام الذي كان مثالاً للفكر والعلم والتقى والصلاح؟

حكومة المنتصر :

وتسلم المنتصر قيادة الحكم بعد الانقلاب الذي قام به ضد أبيه وقد عم الفرح والسرور جميع الأوساط الشيعية ، فقد زال عنهم كابوس الظلم والجور ، وقد قام بما يلي :

---

(١) مروج الذهب ٤/٤٣ .

١ ـ رد فدك إلى العلويين .

٢ ـ رفع الحجر عن أوقاف العلويين وإرجاعها إليهم .

٣ ـ عزل والي المدينة صالح بن علي الذي كان يسيء إلى العلويين .

وجعل مكانه علي بن الحسين بن إسماعيل ، وقال له : إنما وليتك لتخلفني في بر آل أبي طالب ، وقضاء حوائجهم ، فقد نالتهم جفوة وخذ هذا المال ففرقه فيهم ، وفي أهلك على أقدارهم ، فقال : سأبلغ بعون الله رضاء أمير المؤمنين ، فقال : إذن تسعى بذلك عند الله تعالى .

وكانت هذه السياسة المشرقة تجاه العلويين قد نال بها رضاء العامة والخاصة ، وأنبرى الشعراء إلى مدحه والثناء عليه ، يقول البحتري :

تبسم عن واضح ذي أشر ... وتنظر من فاتر ذي حور
وآل أبي طالب بعد ما ... أريغ بسر لهم فابذعر
ونالت أدانيهم جفوة ... تكاد السماء لها تنفطر
وصلت شوابك أرحامهم ... وقد أوشك الحبل أن ينبتر
فقربت من خطهم ما نأى ... وصفيت من شربهم ما كدر

وقال البحتري :

وأن علياً لأولى بكم ... وأزكى يداً عندكم من عمر
وكل له فضله والحجو ... ل يوم التراهن دون الغرر[1]

وأجزل المنتصر العطاء للبحتري على مدحه له ببره وإحسانه إلى السادة

(١) ديوان البحتري ١/٦٢.

العلويين ، وانبرى يزيد بن محمد المهلبي ، وكان من الشيعة ، فمدح المنتصر بهذه الأبيات :

ولقد بررت الطالبية بعدما ... ذموا زماناً بعده وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم ... بعد العداوة بينهم إخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم ... حتى نسوا الأحقاد والأضغانا
لو يعلم الأسلاف كيف بررتهم ... لرأوك أثقل من بها ميزانا[1]

لقد قوبلت هذه المكرمة بمزيد من الاعجاب والإكبار من مختلف الأوساط الشعبية ، فقد أسدى الى آل النبي (ص) يداً بيضاء تذكر بالخير على امتداد التاريخ .

ولم يقتصر المنتصر علي هذا اللطف الذي خص به العلويين ، وإنما شمل المسلمين بلطف آخر ، فقد أصدر إعلاناً يقضي بالسماح بزيارة قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومرقد الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة ، وذلك بعد أن منع المتوكل رسمياً زيارة هذين المرقدين[2] وتهدد بأقصى العقوبة من يزورهما ، وقد سجل له بذلك صفحات بيضاء ناصعة في تاريخ حياته .

وفاته :

ولم تطل أيام هذا الرجل الشريف الذي أنعش قلوب العلويين ببره ومعروفه فقد وافته المنية ، وهو في بداية ملكه ، ويذهب أكثر المؤرخين إلى أنه لم يمت حتف أنفه ، وإنما مات مسموماً ، فقد اغتاله الأتراك خوفاً من أن يفتك بهم ، ويقضي على نفوذهم ، فقد رشوا طبيبه ابن طيفور فأعطوه ثلاثين

---

(١) أخبار البحتري للصولي (ص ١٠٠ ـ ١٠١) مورج الذهب ٤/٨٢ .
(٢) حياة الإمام الهادي (ص ١٨٣) .

ألف دينار إذا قام باغتياله ، وكان المنتصر مريضاً ، فأشار عليه بفصده ، فاستجاب له ، ففصده بريشة مسمومة ، وتوفي في الحال[1] .

وكانت وفاته يوم السبت لأربع خلون من ربيع الآخر سنة (٢٤٨ هـ) ودفن بالجوسق[2] وقد خسر المسلمون بفقده قائداً فذاً غيوراً قد حطم عرش أبيه القائم على الظلم والجبروت ومعاداة أئمة الحق .

وعلى أي حال فإن المصادر التي بأيدينا لم تذكر أي التقاء للمنتصر بالإمام أبي محمد عليه السلام ولكن من المؤكد أن الإمام كان مسروراً لما أسداه إلى العلويين من الألطاف التي أعادت لهم الأمن والاستقرار في عهد حكومته القصيرة الأمد .

حكومة المستعين :

وتقلد المستعين زمام الحكم ، وبويع له بالملك والسلطان في يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة (٢٤٨ هـ) وكان مسرفاً متلافاً ، معانداً للحق ، مبغضاً لأئمة الهدى عليهم السلام كأسلافه ، وكان فيما يقول المؤرخون آلة بيد الأتراك ، ولم يكن له أي نفوذ في جهاز دولته ، وفي ذلك يقول الشاعر :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قاله له : كما يقول الببغا[3]

لقد كان المستعين أمام الأتراك كالميت بيد الغاسل لا حول له ولا قوة

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص ٣٥٧).
(٢) الأنباء في تأريخ الخلفاء مصور .
(٣) مروج الذهب ٤/ ٩٠.

فالدولة يديرها الأتراك ، وقد خلد هو إلى الشهوات والملذات من شرب الخمر وسماع الغناء .

وعلى أي حال فإنا نعرض إلى بعض شؤونه مع الإمام الزكي أبي محمد عليه السلام ، وفي ما يلي ذلك :

حقده على الإمام :

لقد حقد المستعين كأشد ما يكون الحقد على الإمام الزكي أبي محمد عليه السلام وتميز غيظاً منه ، أما أسباب ذلك فهي :

١ ـ انتشار فضل الإمام عليه السلام ، وتحدث الأندية والمجالس عن سمو مكانته ، وعظيم منزلته ، وما يتمتع به من من المواهب والعبقريات ، وذهاب شطر من الأمة إلى القول بإمامته ، والتدين بالولاء له ، في حين أنه مع سيطرته على الحكم لم يحظ بأي منزلة أو مكانة في نفوس المسلمين .

٢ ـ كثرة الوشاية بالإمام من المرتزقة والعملاء الذين يتزلفون إلى السلطة ، وإخبارها بأن الإمام عليه السلام ترد إليه الأموال الطائلة من شيعته ، وأنه لا يؤمن أن يقوم بثورة عارمة ضد الحكم العباسي مما أوجب ذعر المستعين من الإمام .

٣ ـ وكان من عوامل حقد المستعين على الإمام أبي محمد عليه السلام هو الخوف من ولده الإمام المنتظر عليه السلام الذي بشر به الرسول الأعظم (ص) ، وتواترت الأخبار عنه بأنه هو الذي يقيم اعوجاج الدين ، ويزيل كابوس الظلم والجور عن المظلومين والمضطهدين ، وقد ملئت قلوب العباسيين ذعراً وخوفاً منه ، معتقدين بأنه هو الذي يقضي على حكمهم المنحرف ، فلذاكانوا يكنون العداء للإمام أبي محمد عليه السلام ، وقد

وضعوا عليه الرقابة الشديدة ، وأحاطوا حرمه وأهله بقوى مكثفة من النساء للتعرف على ولادةولده الإمام المنتظر عليه السلام لالقاء القبض عليه .

هذه بعض العوامل التي أدت إلى حقد المستعين العباسي على الإمام الزكي أبي محمد عليه السلام .

اعتقاله للإمام :

وأصدر الطاغية المستعين أمراً إلى إلى جلاوزته وشرطته باعتقال الإمام أبي محمد عليه السلام ، فاعتقل وأودع في سجن علي أوتامش ، وكان من أنصب الناس ، وأشدهم عداوة لآل أبي طالب ، وقد شددت عليه السلطة بالتنكيل بالإمام والتضييق عليه ، إلا أنه تأثر بهدي الإمام عليه السلام فنزع ما في قلبه من حقد وغل ، وكان يضع خده على الأرض تواضعاً له ، ولا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً ، وعاد وهو من أحسن الناس بصيرة ، وأحسنهم فيه قوة[١] .

وكان معه في السجن عيسى بن الفتح ، فقال له الإمام : يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان ، فبهر عيسى ، وكان معه كتاب فيه تاريخ ولادته ، فراجعه ، فكان كما أخبر الإمام ثم قال له : هل رزقت ولداً ؟ فأجابه بالنفي ، فدعا له الإمام قائلاً :

«اللهم أرزقه ولداً يكون له عضداً ، فنعم العضد الولد ، ثم أنشد :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ... أن الذليل الذي ليست له عضد

وأنبرى عيسى فقال :

«يا سيدي ، وأنت لك ولد . .» .

(١) أصول الكافي ١/٥٠٨.

وأجابه الإمام :

«والله سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، أما الآن فلا . .»[1] .

فزع الشيعة :

وسرى النبأ المروع باعتقال الإمام في الأوساط الإسلامية ، وكان له صدى أسى ونقمة على العباسيين ، وقد فزعت الشيعة الإمامية التي تدين بإمامة الزكي أبي محمد عليه السلام ، وقد بلغها أن المستعين عازم على قتله وأنه أوعز إلى سعيد الحاجب بحمله إلى الكوفة وأن يغتاله في الطريق .

فكتب إليه محمد بن عبد الله والهيثم بن سبابة : بلغنا جعلنا الله فداك خبراً أقلقنا وغمنا ، وبلغ منا . . فهدأ الإمام روعهم ، وبشرهم أنه لا خوف عليه وأن عدوه الباغي اللئيم سوف يخلع بعد ثلاثة أيام فكان كما أخبر[2] .

ونقل مثل ذلك عمرو بن محمد بن ريان ، قال : دخلت على أبي أحمد بن عبد الله بن طاهر ، وبين يديه رقعة أبي محمد عليه السلام فيها «إني نازلت الله - أي راجعته وطلبت منه - في هذا الطاغي - يعني المستعين - وهو أخذه بعد ثلاث» .

فلما كان الثالث قدم الأتراك على خلعه كما سنبينه[3] .

---

(١) جوهرة الكلام (ص ١٥٥) .

(٢) مهج الدعوات (ص ٢٧٣) نقلاً عن كتاب الأوصياء للسعيد علي بن محمد بن زياد الصيمري ، والمؤلف ممن رافق الإمامين العسكريين عليهما السلام ، وقام بخدمتهما ، وتوجد نسخة من الكتاب عند السيد ابن طاووس مؤلف مهج الدعوات .

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي (ص ١٣٢) .

خلع المستعين :

وكانت نهاية هذا الطاغية الخسران المبين ، فقد تنكر له الأتراك ، وخافوا منه فصمموا على خلعه ، وكان قد اتجه إلى بغداد ، فأرسلوا إليه أن يرجع إلى سامراء فأبى ، ومضى ميمماً وجهه نحو بغداد ، فبادروا إلى خلعه ، وأخرجوا المعتز من السجن ، وبايعوه خليفة ، وجهزوا جيشاً كثيفاً لاحتلال بغداد ، والقاء القبض عليه ، ولما علم ذلك جهز جيشاً لمناجزة الأتراك ، وجرت بين الجيشين حرب طاحنة مُني كلا الفريقين بخسائرفادحة ، واستمرت الحرب بينهما ، وجرت وساطة بين المستعين والأتراك ، فاتفقا على أن يخلع المستعين نفسه ، ويتنازل إلى المعتز ، واشترط عليه شروطاً ، وخلع المستعين نفسه من الملك ، ولكن المعتز لم يف بما شرط عليه ، وأمر بالقاء القبض عليه وإيداعه في السجن ، وقد أكثر شعراء ذلك العصر في وصف هذه الحادثة ، يقول الشاعر الكناني :

إني أراك من الفراق جزوعاً ... أمسى الإمام مسيراً مخلوعاً
وغدا الخليفة أحمد بن محمد ... بعد الخلافة والبهاء خليعا
كانت به الأيام تضحك زهرة ... وهو الربيع لمن أراد ربيعاً
فأزاله المقدور من رتب العلا ... فثوى بواسط لا يحس رجوعا[1]

ويقول مروان بن أبي الجنوب :

إن الأمور إلى المعتز قد رجعت ... والمستعين إلى حالاته رجعا
قد كان يعلم أن الملك ليس له ... وأنه لك لكن نفسه خدعا[2]

وأوجس الأتراك من المستعين وهو في السجن خيفة ، فاخرجوه منه

---

(١) مروج الذهب ٤/١١١ .

(٢) مروج الذهب ٤/١١٢ .

وجاؤا به إلى سامراء، فندب المعتز حاجبه سعيد إلى قتله ، فقتله وكان له من العمر إحدى وثلاثون سنة[1] .

وانتهت بذلك حياة المستعين ، وقد وصفه صاحب الفخري بأنه كان مستضعفاً في رأيه ، وعقله ، وتدبيره ، وأن أيام حكمه كانت كثيرة الفتن ، وأن دولته كانت شديدة الاضطراب[2] .

حكومة المعتز :

وهو الزبير بن جعفر المتوكل ، تسلم زمام الحكم ، وهو في ريعان الشباب وغضارة العمر، لم تصقله التجارب ، ولم تهذبه الأيام ، ولم تكن له أية خبرة في الشؤون السياسية والإدارية ، قد نصبه الأتراك جسراً يعبرون عليه لنيل أهدافهم ومقاصدهم ، لا شأن له ، ولا إرادة له ، ولا اختيار، ويشير إلى ذلك بعض شعراء سامراء بقوله :

لله در عصابة تركية ... ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد ... وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فأصبح ملكنا متقسماً ... وإمامنا فيه شبيه الضيف[3]

ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض شؤونه مع الإمام أبي محمد عليه السلام .

عداؤه للإمام :

وورث المعتز من آبائه العداء والنصب لأهل البيت عليهم السلام فقد

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩).
(٢) الفخري (ص ١٣٢).
(٣) مروج الذهب ٤ /.

أترعت نفسه ببغضهم ، والحقد عليهم ، وكان من مظاهر عدائه للإمام أبي محمد عليه السلام أنه حاول قتله ، فقد أوعز إلى سعيد الحاجب أن يأخذ الإمام إلى قصر ابن هبيرة ، ويغتاله فيه ، ولكن الله أنجاه منه[1] فقد مني ببعض الأحداث التي شغلته عن ذلك .

اعتقاله للإمام :

وعمد المعتز إلى اعتقال الإمام أبي محمد عليه السلام ، وأودعه في السجن ، وذلك لما يسمعه من فضله وتحدث الناس عن علومه وورعه ، وتقواه ، بالإضافة إلى ما قرع سمعه من أن الإمام (ع) هو والد الإمام المنتظر الذي يقضي على الظلم والجور ، ويطيح بدول الظالمين فخاف كأشد ما يكون الخوف منه .

دعاء الإمام عليه :

وضاق الإمام عليه السلام ذرعاً من المعتز ، فقد أسرف في ظلمه ، والاعتداء عليه ، فتضرع عليه السلام إلى الله ، ودعاه بإخلاص أن ينقذه من شروره ، ولم تتعرض الكتب التي بأيدينا إلى تسجيل دعائه ، وإنما أشارت إلى أنه دعا عليه .

وعلى أي حال فقد استجاب الله دعاء سليل النبوة ، وبقية الإمامة ، فخلع الملك عنه ، وقد أخبر عليه السلام شيعته بذلك قبل نزول الكارثة على المعتز فقد كتب إليه أبو الهيثم بن سبابة يسأله عن الأنباء التي انتشرت في عزم المعتز على اغتياله فأجابه الإمام «بعد ثلاثة يأتيكم الفرج» فخلع المعتز

---

(١) دلائل الإمامة (ص ٢٢٥) مهج الدعوات .

في اليوم الثالث[1]

خلع المعتز :

وانتقم الله من المعتز كأشد ما يكون الانتقام ، فقد طلب منه جماعة من قادة الأتراك أن يعطيهم أرزاقهم ولم يكن في بيت المال شيء ، فخف إلى أمه ، وكانت تملك الملايين فطلب منها ذلك فأبت عليه ، وشحت بما عندها ، ولما يئس الأتراك منه ، هجموا عليه ، وجروه من رجله ، وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف شديد الحرارة ، وهم يقولون له : اخلع نفسك ، ثم احضروا قاضي بغداد ، وجماعة ، وخلعوه ، وبعد خمس ليال من خلعه أدخلوه الحمام ، فلما اغتسل عطش ، فمنعوه الماء ، ثم سقوه ماءً مثلجاً فتوفي[2] .

وتتبع صالح بن وصيف قبيحة أم المعتز فظفر بها واستولى على أموالها فكانت خمسمئة ألف دينار ، وظفروا لها بخزائن تحت الأرض فيها أموال طائلة، ووجدوا لها داراً تحت الأرض، وجدوا فيها ألف ألف دينار وثلاثمئة ألف دينار ، ووجدوا في سفط قدر مكوك زمرد لم ير الناس مثله ، وفي سفط إخر مقدار مكوك من اللؤلؤ الكبار ، وفي سفط مقدار كليجة من الياقوت الأحمر الذي لم يوجد مثله ، فحمل الجميع إلى صالح بن وصيف فسبها ، وقال : عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار ، وعندها هذه الأموال ، وغادرت قبيحة بغداد متجهة إلى مكة فسمعت وهي تدعو بصوت عال على صالح بن وصيف قائلة : اللهم خذ صالحاً كما هتك ستري ، وقتل ولدي ، وشتت

---

(١) دلائل الإمامة (ص ٢٢٥) أخبار الدول (ص ١١٧).

(٢) تاريخ الخلفاء (ص ٣٦٠).

شملي ، وأخذ مالي ، وغربني ، وركب الفاحشة مني[1] .

وهكذا كانت عاقبة الظالمين الذين لا يرجون لله وقاراً ، لقد كانت عاقبتهم الخسران المبين .

حكومة المهتدي :

وبعد الانقلاب العسكري الذي قام به الأتراك ضد حكومة المعتز تسلم الدولة بعده المهتدي ، وله من العمر سبع وثلاثون سنة[2] .

وورث المهتدي النصب والعداء لآل البيت عليهم السلام من آبائه الذين صبوا جام غضبهم عليهم ، وأغرقوهم بالمحن والخطوب ، ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى ما جرى على الإمام عليه السلام من هذا الطاغية .

اعتقاله للإمام :

أوعز الطاغية إلى جلاوزته باعتقال الإمام أبي محمد وإيداعه في السجن ، وقد عزم على قتله ، كما عزم على إبادة شيعة أهل البيت عليهم السلام ، ومكث الإمام في السجن حفنة من الأيام ، وكان معه في السجن الزكي أبو هاشم ، فقال له الإمام : يا أبا هاشم أن هذا الطاغية أراد قتلي في هذه الليلة، وقد بتر الله عمره ، وليس لي ولد ، وسيرزقني الله ولداً[3] .

وكتب إليه بعض شيعته «أنه قد بلغنا أنه ـ أي المهتدي ـ يتهدد شيعتك ، ويقول : والله لأجلينهم عن جديد الأرض» .

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٥/٣٤٤ .

(٢) مروج الذهب ٤/١٢٤ .

(٣) مهج الدعوات (ص ٢٧٤) .

فوقع عليه السلام «أن ذلك أقصر لعمره ، عد من يومك هذا خمسة أيام ، فإنه يقتل في اليوم السادس ، بعد هوان واستخفاف وذل يلحقه» وتحقق ذلك كما أخبر عليه السلام[١] .

هلاك المهتدي :

ونقم الأتراك على المهتدي ، وثاروا عليه ، وهجموا عليه بالخناجر فكان أول من جرحه ابن عم (لبايكيال) القائد التركي ، وقد جرحه في أوداجه ، فالتقم الجرح ، والدم يفور منه ، وأقبل يمص الدم حتى روي منه ، وكان التركي سكراناً ، فقال له صحابه : قد رويت من دم المهتدي ، كما رويت في هذا اليوم من الخمر[٢] وانتهت بذلك حياة المهتدي الذي نصب العداء لأهل البيت ، ولشيعتهم .

حكومة المعتمد :

وأفضت الخلافة إلى المعتمد ، وهو ابن خمس وعشرين سنة[٣] وكان فيما يقول المؤرخون : خليعاً ميالاً إلى اللهوواللذات ، وقد انشغل عن الرعية وانصرف إلى العزف والغناء ، واقتراف ما حرم الله مما أوجب كراهية الشعب له[٤] .

وفي عهده توفي الإمام الزكي أبو محمد عليه السلام ، وقد لاقى (ع) محناً شاقة وعسيرة منه ، وفي ما يلي بعض ما عاناه .

(١) مهج الدعوات (ص ٢٧٤).
(٢) مروج الذهب ٤/١٢٧ .
(٣) مروج الذهب ٤/١٣٨ .
(٤) تاريخ الخلفاء (ص ٣٦٣).

اعتقاله للإمام :

أمـر الطاغية المعتمد بـاعتقال الإمـام أبي محمد عليـه السلام مـع أخيه جعفر ، وأوعز إلى مدير السجن (علي جرين) أن ينقل إليه أخباره ، وما يتجدد من أحـاديثه وشؤونـه في كل وقت ، فكـان يخبره بـأنه لم يقم بـأي شيء ممـا يتصادم مع السياسة العباسية ، وأنه قد انصرف عن الدنيـا ، واتجه صـوب الله تعالى ، فكان يصوم نهاره ، ويحيي ليله بالعبادة ، وسأله مرة أخرى عنه فأخبره بمثل ذلك ، فأمره بإطلاق سراحه ، وأبـلاغه تحيـاته ، والاعتـذار منه ، وجـاء مدير السجن مسرعاً فوجد الإمام جالساً متهيئاً للخروج قد لبس ثيـابه وخفـه ، فبهر من ذلك فـأدى إليه رسـالة المعتمـد ، ونهض الإمام فـاعتلى جواده ، ثم وقف فأنبرى السجان قائلاً :

- «ما وقوفك ؟ . .» .
- «حتى يجيء جعفر . .» .
- «إنما أمرني بإطلاق سراحك دونه . .» .

« إمضِ إليه وأخبره أني أخذت وإياه من الدار ، فإذا رجعت وحدي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك . .» .

ومضى السجـان إلى المعتمد فـأخبره بمقـالـة الإمـام ، فـأمـره بـإخـلاء سبيله ، وخـرج الإمـام عليـه السـلام من السجن ، وهـو يتـلو قـولـه تعـالى : **﴿ يـريـدون ليـطفئـوا نـور الله بـأفـواههم ، والله متم نـوره ولـو كـره الكافرون ﴾** [١] .

وظل الإمام أبـو محمد عليـه السلام يعـاني صنوفـاً مرهقـة من الخطوب والتنكيـل من المعتمد العبـاسي ، فقد أحـاطه بقـوى مكثفـة من الأمن ، وهي

---

(١) مهج الدعوات (ص ٢٧٤) .

تحصي عليه أنفاسه ، وتطارد كل من يريد الإتصال به من الفقهاء والعلمـاء من شيعته ويبقي تحت المراقبة الشديـدة ، حتى اغتالـه الطاغيـة المعتمد بـالسم ، كما سنتحدث عن ذلك .

وعلى أي حال فقد عـاصر الإمـام الزكي أبـو محمد عليـه السلام هؤلاء الملوك من بني العبـاس ، وقـد جهـدوا على ظلمـه ، فـأودعـوه في ظلمـات السجـون ، وحاولـوا الفتك بـه ، ولكن الله صرف ذلـك عنـه ، فقـد ابتـلاهم بأحداث جسام ، كالثورات الداخلية ، واستبداد الأتراك .

إِلَى الجَنَّةِ المَأْوَى

وقضى الإمام الزكي أبو محمد عليه السلام أيام حياته القصيرة الأمد بالمحن والخطوب ، فقد جهد ملوك العباسيين على ظلمه وإنزال أقصى العقوبات به، فكانوا ينقلونه من سجن إلى سجن وضيقوا عليه في حياته الاقتصادية وحجبوه عن الالتقاء بشيعته ، كما منعوا العلماء والفقهاء من الانتهال من نمير علومه ، وكان ذلك ـ فيما أعتقد ـ من أعظم ما عاناه من المحن والخطوب ، وقد حاولوا ، جاهدين ، اغتياله ، ولكن الله تعالى صرف ذلك عنه ، وشغلهم بالأحداث الجسام التي منوا بها ويعود السبب في حقدهم عليه إلى ما يلي :

١ ـ خوف العباسيين من ولده الإمام المنتظر عليه السلام الذي بشر به النبي الأعظم (ص)، وأخبر عنه غير مرة من أنه أعظم مصلح اجتماعي تشاهده البشرية في جميع أدوارها فهو الذي ينشر العدل السياسي ، والعدل الاجتماعي ، ويقضي على جميع ألوان الظلم والغبن ، ويحطم قوى البغي ، ويزيل دول الشرك ويرفع راية الإيمان والحق ، ويقيم المعطلة من حدود الله ، وقد حاولوا قتله ليقضوا على نسله ، وقد أدلى عليه السلام . بذلك في توقيع خرج منه جاء فيه « زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل وقد كذب الله قولهم ، والحمد لله [1] .

---

(١) كفاية الأثر .

٢ ـ حسد العباسيين للإمام أبي محمد علي ما يتمتع به من شعبية هائلة واحترام بالغ من جميع الأوساط ، في حين أن السلطة بأيدي العباسيين ، ولم يظفروا بأي لون من ألوان ذلك التكريم والتبجيل، والحسد ـ كما هو معروف ـ داء وبيل ألقى الناس في شر عظيم . لقد نخر الحسد قلوب العباسيين على الإمام أبي محمد عليه السلام الذي كان ألمع شخصية إسلامية في عصره ، فراحوا يبغون له الغوائل ويكيدونه في غلس الليل ، وفي وضح النهار .

٣ ـ قيام العلويين بثورات عارمة ضد الحكم العباسي منذ فجر تسلطه على رقاب المسلمين ، مطالبين بتحقيق العدل السياسي في الإسلام ، وتطبيق برامجه الاقتصادية والاجتماعية على واقع الحياة، وقد قوبلت ثوراتهم بتأييد شامل من جميع الأوساط الإسلامية مما أوجب سقوط هيبة الحكم ، وتعرضه لهزات عنيفة كادت تطوي وجوده ، وتطيح به .

وقد أوغرت تلك الثورات صدور العباسيين بالحقد والضغينة على العلويين فأوعزوا إلى جلاوزتهم بمطاردة كل علوي وملاحقته، وكان من الطبيعي أن يعاني الإمام أبو محمد عليه السلام أعظم المشاكل وأشدها محنة وصعوبة من العباسيين لأنه سيد العلويين وإمام المسلمين في عصره. هذه بعض الأسباب التي أدت إلى حقد العباسيين على الإمام عليه السلام وبغضهم له .

ولنعد بعد هذا إلى الحديث عن النهاية الأخيرة من حياة الإمام أبي محمد عليه السلام .

نصه على الإمام المهدي :

أما الإمام المهدي عليه السلام ، فهو الأمل لا للإسلام فحسب وإنما للبشرية المعذبة التي ترزح تحت وطأة العبودية والقهر والاستغلال ، فهو

الفاتح العظيم الذي يحرر أرادة الإنسان وينقذ الأمم والشعوب من جور المبادىء والنظم الفاسدة التي حولت الحياة إلى جحيم لا يطاق ، إن الإمام المهدي عليه السلام في جميع مراحل حياته معجزة من معجزات الإسلام الكبرى فقد أخفى الله ولادته كما أخفى ولادة نبيه موسى عليه السلام وذلك لصعوبة الوقت ، وشدة طلب السلطة العباسية له . . . كما أن في بقائه حياً عبر الأجيال الصاعدة معجزة للإسلام ، وفي ظهوره وإعلانه للمبادىء المشرقة التي جاء بها الإسلام أيضاً معجزة ، عجل الله فرجه ، واتحف البشرية بظهوره وعلى أي حال فإنا نعرض لبعض النصوص التي أثرت عن الإمام الحسن الزكي عليه السلام في النص على إمامة ولده المهدي عليه السلام وفي مايلي ذلك :

١ ـ روى الثقة أحمد بن إسحاق بن سعيد الأشعري ، قال : دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ، وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده ، فقال لي : مبتدياً ، يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه ، به يدفع البلاء عن أهل الأرض ، وبه ينزل الغيث ، وبه يخرج بركات الأرض . فقلت له: يابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك ؟ فنهض (ع) مسرعاً فدخل البيت ، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر ، من أبناء ثلاث سنين ، فقال : يا أحمد لولا كرامتك على الله عز وجل ، وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا ، إنه سمي باسم رسول الله (ص) وكنيته الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، يا أحمد مثله في هذه الأمة مثل الخضر ، ومثل ذي القرنين ، والله ليغيبن غيبةً ، لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبته الله على القول بإمامته ، ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه .

فقال أحمد بن إسحاق : فهل من علامة يطمئن إليها قلبي فنطق الغلام ، فقال : أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه ، ولا تطلب أثراً بعد عين ! . . .

قال أحمد : فخرجت مسروراً فرحاً ، فلما كان في الغد ، عدت إليه فقلت: يا ابن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به علي فما السنة الجارية في الخضر وذي القرنين ؟.

قال: طول الغيبة، قلت: « يابن رسول الله وإن غيبته لتطول؟» قال: «أي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ، ولا يبقى إلا من أخذ الله عزَّ وجلَّ منه عهداً لولايتنا، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه. يا أحمد هذا أمر من الله ، وسر من سر الله ، وغيب من غيب الله ، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا في عليين» (١).

أما محتويات هذا الحديث الشريف فهي :

أولاً : إن الله تعالى منذ خلق الإنسان على هذه الأرض وإلى أن تفنى لا بد وأن يقيم الحجة على عباده وذلك ببعثه للأنبياء والمرسلين والأوصياء ليبلغوا رسالة ربهم التي تتضمن نجاتهم وسلامتهم وهذا من باب اللطف وهو قاعدة عقلية أقامها المتكلمون على لزوم إقامة الحجة من الله حتى يحيا من حيى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ولتكون الحجة من الله على عباده لا لهم عليه وبالإضافة لذلك ، فإن في وجود الحجة من الثمرات والبركات ما لا يحصى والتي منها دفع البلاء عن أهل الأرض وإنزال الغيث من السماء وإخراج بركات الأرض .

---

(١) إكمال الدين للصدوق (٢١٦ ـ ٢١٧).

ثانياً : إن الإنسانية تظفر بمكاسب هائلة بخروج الإمام المنتظر عليه السلام ، ومن أهمها أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، وما أعظم هذه الفائدة والعائدة على البشرية .

ثالثاً : إن الله تعالى يمد في عمر الإمام المنتظر وليس ذلك بعسير عليه فقد أمدَّ في عمر الخضر وذي القرنين .

رابعاً : إن الله تعالى يمتحن عباده بطول غيبة وليه وناصر دينه الإمام المنتظر عليه السلام فلا يثبت على ولايته وإمامته كلها إلاّ من امتحن قلبه للإيمان . هذه بعض محتويات هذا الحديث الشريف .

٢ ـ روى الثقة الجليل محمد بن عثمان العمري عن أبيه يقول سئل أبو محمد الحسن بن علي وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه أن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى قوم القيامة وإن من مات ولم يعرف أمام زمانه مات ميتة جاهلية إن هذا حق كما أن النهار حق وانبرى إليه شخص فقال له : « . . يابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك . . » .

« أبني محمد هو الإمام والحجة بعدي ، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية ، أما أن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقاتون ، ثم يخرج فكأني أنظر إلى البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة» [1] .

وهذا الحديث الشريف كالحديث السابق في عطائه ومضمونه .

٣ ـ قال الإمام أبو محمد عليه السلام « الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي أشبه الناس برسول الله (ص) خَلْقاً وخُلُقاً

---

(١) كفاية الأثر .

يحفظه الله في غيبته ، ويظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً »[1] .

لقد أعرب الإمام عليه السلام في هذا الحديث عن سروره البالغ بمولوده العظيم الذي يشابه جده الرسول (ص) في جمال صورته وبهاء منظره ، كما يشابهه في سمو آدابه ومعالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين .

٤ ـ روى موسى بن جعفر البغدادي قال سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري . يقول :

« كأني بكم قد اختلفتم بعدي في الخلف مني ، ألا أن المقر بالأئمة بعد رسول الله (ص) المنكر لولدي ، كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة رسول الله (ص) لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا أما أن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله »[2] .

هذه بعض الأخبار التي أثرت عن الإمام أبي محمد عليه السلام في النص على إمامه ولده الإمام المنتظر (ع) .

الإمام ينعى نفسه :

واستشف الإمام أبو محمد (ع) من وراء الغيب أنه سوف يفارق الحياة ويفد على الله ، فأخذ ينعى نفسه لوالدته فقال لها : « تصيبني في سنة ستين ومائتين حرارة أفاقه أن انكب منها نكبة . . . » .

وطاش لبها بهذا النبأ المروع، وبدا عليها الجزع ، وانطوت على الحزن والبكاء فأخذ الإمام يهدىء روعها قائلاً لها : « لا بد من وقوع أمر الله لا

---

(١) كفاية الأثر (كمال الدين ص ٢٢٨) .
(٢) كفاية الأثر .

تجزعي . . . » .

ونزلت الكارثة في سنة ستين ومئتين فقد توفي (ع) فيها كما تنبأ [١] .

اغتيال الإمام :

ونقل الإمام أبو محمد (ع) على الطاغية المعتمد العباسي الذي أزعجه ما يسمع من إجماع الأمة على تعظيم الإمام وتبجيله وتقديمه بالفضل على جميع العلويين والعباسيين ، فأجمع رأيه على الفتك بالإمام ، واغتياله فدس له سماً قاتلاً [٢] . فلما تناوله الإمام تسمم بدنه الشريف ولازم الفراش وأخذ يعاني آلاماً مريرة وقاسية وهو صابر محتسب قد الجأ أمره إلى الله .

اضطراب السلطة :

واضطربت السلطة العباسية كأشد ما يكون الاضطراب من تردي الحالة الصحية لأبي محمد (ع) . فقد أوعز المعتمد إلى خمسة من ثقاته ورجال دولته وفيهم نحرير بملازمة دار الإمام والتعرف على جميع شؤونه وإخباره بكل بادرة تحدث كما أوعز إلى لجنة من الأطباء بإجراء الفحوص عليه صباحاً ومساءً ، ولما كان بعد يومين عهد إلى الأطباء أن لا يفارقوا داره كما عهد إلى الأطباء بملازمته وذلك لثقل حاله [٢] . .

إلى جنة المأوى :

وثقل حال الإمام أبي محمد (ع) .ويئس الأطباء منه وأخذ يدنو إليه الموت سريعاً وكان في تلك المرحلة الأخيرة من حياته يلهج بذكر الله ويمجده

---

(١) مهج الدعوات (ص ٢٧٤) .

(٢) الإرشاد (ص ٣٨٣) .

ويدعو ربه ضارعاً أن يقربه إليه زلفى ولم تفارق شفتاه تلاوة كتاب الله العظيم واتجه الإمام (ع) صوب القبلة المعظمة وقد صعدت روحه الطاهرة إلى الله تعالى كأسمى روح صعدت إلى الله تحفها ملائكة الرحمن .

وهكذا كان موته أعظم خسارة مني بها المسلمون في ذلك العصر. فقد فقدوا القائد والموجه والمصلح الذي كان يحنو على ضعفائهم وأيتامهم وفقرائهم وارتفعت الصيحة من دار الإمام وعلت أصوات العلويات والعلويين بالنحيب والبكاء .

تجهيزه :

وغسل جسد الإمام وحنط وأدرج في أكفانه وحمل للصلاة عليه فانبرى أبو عيسى بن المتوكل فصلى عليه بأمر من المعتمد العباسي وبعد الفراغ من الصلاة كشف وجه الإمام وعرضه على بني هاشم من العلويين والعباسيين وقادة الجيش وكتاب الدولة ورؤساء الدوائر والقضاة والمتطببين وقال لهم : هذا الحسن بن محمد بن الرضا عليهم السلام مات حتف أنفه على فراشه وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ، ومن القضاة فلان وفلان ، ومن المتطببين فلان وفلان ، ثم غطى وجهه الشريف [1] .

مواكب التشييع :

وسرى النبأ المفجع في جميع أرجاء سامراء فكان كالصاعقة في هوله وهرع المسلمون إلى دار الإمام وهم ما بين باك ونائح وقد عطلت الدوائر الرسمية والمحلات التجارية وأغلقت جميع الأسواق ، وكانت سامراء شبيهة

---

(١) الإرشاد (ص ٣٨٣) .

بالقيامة [1] . ولم تشهد في جميع فترات تاريخها مثل ذلك التشييع الذي ضم موجات من البشر على اختلاف طبقاتهم وميولهم ونزعاتهم وهم يعددون فضائل الإمام الزكي ومآثره ومناقبه ويذكرون بمزيد من الأسى واللوعة الخسارة العظمى التي مني بها المسلمون .

في مقره الأخير :

وجيء بالجثمان الطاهر تحت هالة من التكبير والتعظيم إلى مقره الأخير فدفن في داره إلى جانب أبيه الإمام علي الهادي (ع) وقد واروا معه صفحة مشرقة من صفحات الرسالة الإسلامية وواروا فلذة من كبد رسول الله (ص) .

لقد حظيت سامراء ببدرين من أئمة المسلمين وقادتهم وصارت في طليعة الأماكن المقدسة في دنيا الإسلام وهي حافلة في كل وقت بالزائرين من جميع الأقاليم والأقطار وقد زار المرقدين العظيميين الخليفة العباسي الناصر لدين الله متبركاً ومتقرباً إلى الله تعالى وقد أشار عليه بعض وزرائه بزيارة قبور أبائه من ملوك بني العباس فأجابه إلى ذلك ولما انتهى إليها وجدها مظلمة قد عششت فيها الغربان وعادت مزبلة لما فيها من أوساخ وقمامة وهي ببؤسها تحكي جور أولئك الملوك وظلمهم ، فطلب منه الوزير العناية بها وبذل الأموال لإصلاحها ولمن يزورها فأجابه الناصر بالجواب الحاسم المركز على الواقع قائلاً :

- « هيهات لا ينفع ذلك ولا يجدي شيئاً » .
- « لماذا يا أمير المؤمنين ؟ . . » .
- « نظرت إلى أزدهار قبور الأئمة الطاهرين » .
- « نعم » .

---

(١) الإرشاد (ص ٣٨٣) دائرة المعارف للبستاني ٧/ ٤٥ .

- « اتعرف السر في ذلك ؟ » .

- « لا » .

- « إن آبائي اتصلوا بالشيطان وهؤلاء السادة اتصلوا بالله وما كان لله يبقى وما كان للشيطان يفنى ويزول »[1] .

إنها حقيقة لا ريب ولا شك فيها وستبقى قبور الأئمة الطاهرين عليهم السلام على امتداد التاريخ تحمل شارات العظمة والخلود .

وعلى أي حال فقد وقف السادة العلويون وبنو العباس وجعفر أخو الإمام على حافة القبر وأقبلت الجماهير تعزيهم وتواسيهم بمصابهم الأليم وهم يشكرونهم على ذلك وانصرف المشيعون وقد نخر الحزن قلوبهم لفقدهم الإمام عليه السلام .

عمر الإمام :

توفي الإمام (ع) وهو في عمر الزهور ، فقد كان في شرخ الشباب وزهرته ، إذ وافته المنية وهو ابن ثمان وعشرين سنة[2] .

سنة وفاته :

انتقل الإمام أبو محمد (ع) إلى جنة المأوى سنة ستين ومائتين من الهجرة[3] في شهر ربيع الأول لثمان ليال خلون منه[4] وبهذا ينتهي بنا الحديث عن حياة هذا الإمام الزكي أبي محمد (ع) .

---

(١) كشف الغمة .

(٢) جامع الأخبار (ص ٤٢) أخبار الدول (ص ١١٧) الإرشاد ص ٣٨٩) .

(٣) مرآة الجنان ٢ / ٤٦٢ تاريخ الخميس ٢ / ٣٤٣ تاريخ ابن الوردي ١ / ٣٢٥ .

(٤) تاريخ بغداد ٧ / ٣٦٦ .

مَصَادِرُ البَحْثِ

- أ -

اسم الكتاب	اسم المؤلف
أصول الكافي	للكليني
أعلام الورى	للطبرسي
أخبار الدول	للقرماني
الإرشاد	للشيخ المفيد
أخبار البحتري	للصولي
الألحان	لعبد الرحمن صدقي
الأخبار الطوال	للدينوري
أبو جعفر محمد بن علي الهادي	للغروي
أعيان الشيعة	للسيد محسن الأمين العاملي
الاستبصار	للطوسي
الإتحاف بحب الأشراف	للشبراوي

- ب -

البيان والتبيين	للجاحظ

بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي لصلاح الدين

بحر الأنساب (مصور) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين
٦/ورقة ١٧٠

بحار الأنوار للمجلسي

- ت -

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

تاريخ الخميس

تاريخ ابن الوردي لابن الوردي

تاريخ ابن الفداء لابن الفداء

تحفة الأنام للقافوري

تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان

تاريخ اليعقوبي لليعقوبي

تذكرة الخواص لابن الجوزي

التهذيب للطوسي

- ث -

ثمار القلوب

الثاقب في المناقب للجرجاني
مخطوط في مكتبة الإمام أمير المؤمنين
(تسلسل : ٣٥٧)

- ج -

جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام للقراغولي

جامع الأخبار؟
جامع كرامات الأولياء؟
جوامع الكلم؟

- ح -

حياة الإمام موسى بن جعفر	للمؤلف
حياة الإمام علي الهادي	للمؤلف
حياة الحيوان	للجاحظ

- خ -

خطط المقريزي	للمقريزي

- د -

دلائل الإمامة	للطبري
ديوان البحتري	للبحتري
دائرة المعارف	للبستاني
دائرة معارف القرن العشرين	لفريد وجدي
الديارات	للشابشتي

- ذ -

الذريعة	لآغا بزرك الطهراني

- ر -

رجال البرقي	للبرقي
رجال ابن داود	لابن داود

رجال الطوسي	للطوسي
في مناقب الأئمة	ليوسف بن حاتم الشامي
روضات الجنات	لمحمد باقر الخوانساري

- ز -

زهر الآداب		للحصري
زهرة المقول	؟	

- س -

سر السلسلة العلوية		لابن نصر البخاري
سفينة البحار		للشيخ عباس القمي
سمط النجوم العوالي	؟	

- ص -

صحيح الترمذي		للترمذي
الصحاح	؟	للجوهري

- ط -

طبقات ابن المعتز	لابن المعتز
طبقات الأطباء	لابن أبي أصيبعه

- ع -

عيون المعجزات	
العروة الوثقى	للسيد كاظم اليزدي
عيون التواريخ	لابن شاكر الكتبي

العقد الفريد	لابن عبد ربه
علل الشرايع	للصدوق

- غ -

الغيبة	للطوسي
الأغاني	لأبي الفرج الأصفهاني

- ف -

فلاح السائل	لابن طاووس
فوات الوفيات	
الفهرست	لابن النديم
الفهرست	للطوسي
الفخري	؟
الفصول المهمة	لابن الصباغ

- ك -

كفاية الأثر	للخزا
الكامل في التاريخ	لابن الأثير
كشف الغمة	للأربلي
الكنى والألقاب	للشيخ عباس القمي

- ن -

نور الأبصار	للشبلنجي
نزهة الناظر في تنبيه الخواطر	
النجوم الزاهرة	

رجال النجاشي	للنجاشي
نساء الخلفاء	لابن السباعي

- م -

مروج الذهب	للمسعودي
من لا يحضره الفقيه	للصدوق
مقتضب الأثر	
المناقب	لابن شهرشوب
المجدي (في النسب)	(مصدر في مكتبة الإمام أمير المؤمنين) (تسلسل ٢٨٧٩)
معجم رجال الحديث	للإمام الخوئي
مجمع البحرين	للطريحي
مباني تكملة المنهاج	للخوئي
مرآة الزمان	لابن الجوزي : مصور في مكتبة أمير المؤمنين تسلسل ٢٨٦٥
مقاتل الطالبيين	لأبي الفرج الأصفهاني
المجالس السنية	للعاملي
مجمع الزوائد	
معجم البلدان	للحموي
مستدرك الحاكم	للحاكم
المنتظم	لابن الجوزي
المحاسن والمساوي	للبيهقي
المستظرف من أخبار الحواري	لصلاح الدين
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية	للخضري

الأمتاع والمؤانسة	لأبي حيان التوحيدي
مهج الدعوات	لابن طاووس
محاضرة الأبرار	؟

- هـ -

الهاشميات	للكميت

- و -

الوزراء والكتاب	للجشباري
الولاة والقضاة	للكندي

بحوث الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع . . . . الصفحة

الموضوع . . . . الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع . . . . الصفحة